
إسرائيل
إلى زوال
دكتور
عبد الفتاح مقلد الغنيمى
Bibliotheca Alexandrina
0130869


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

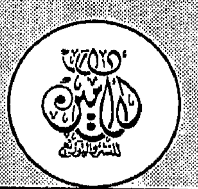
إسرائيل إلى زوال

(الماضي - الحاضر - المستقبل)

بسم الله الرحمن الرحيم

فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

صدق الله العظيم



DAR AL AMEEN

طبع * نشر * توزيع

القاهرة : ١٠ ش بستان الدكة من شارع الألفى (مطابع سجل العرب)
تليفون : ٩٣٢٧٠٦
ص.ب :١٣١٥ العتبة ١١٥١١

الجيزة : ٨ ش أبو المعالى (خلف المعهد البريطانى) العجوزة
تليفون / فاكس : ٣٤٧٣٦٩١
١ ش سوهاج من ش الزقازيق خلف قاعة سيد درويش بالهرم
ص.ب : ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

رقم الإيداع ٨٣٦٤/ ١٩٩٦

ISBN

977-279-087-4

الإخراج الفنى :

نصر حسن سليمان

دكتور
عبد الفتاح مقلد الغنيمى

إسرائيل إلى زوال

(الماضى - الحاضر - المستقبل)

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

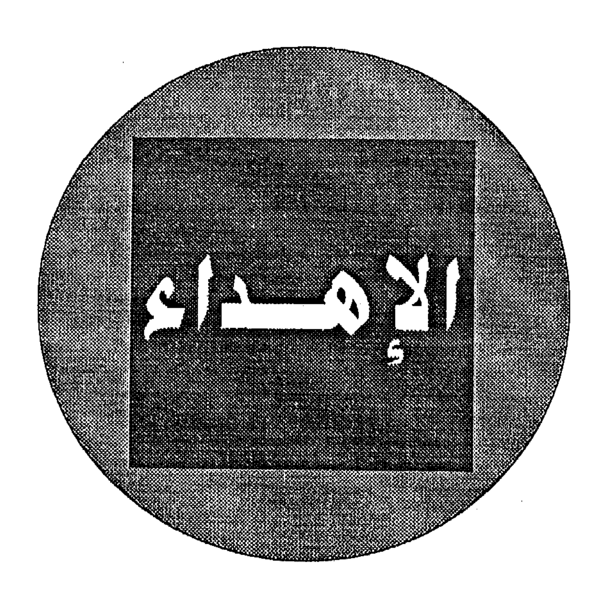




الفهرست

الموضوع	صفحة
الإهداء	٧
التمهيد	١١
المقدمة	٢٥
الفصل الأول : عروبة فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد	٣١
الفصل الثانى : الفكر الصهيونى واغتصاب فلسطين	٤٥
الفصل الثالث : إسرائيل والمأزق التاريخى	٥٩
الفصل الرابع : السلاح النووى والذّرّى هل يضمن بقاء إسرائيل ؟	٦٧
الفصل الخامس : الولايات المتحدة الأمريكية والتوازن العالمى	٧٩
الفصل السادس : العالم العربى والتحديات المستقبلية	٩٥
الفصل السابع : إسرائيل والانفجار من الداخل	١١٣
الفصل الثامن : إسرائيل والانفجار من الخارج (هل تكون حرب عربية إسرائيلية أخرى) ..	١٣٥
الخاتمة	١٤٧





إلى كل قطـــرة دم أريقت مـن أجل فلسطين عبر الحروب والمعـــارك وعبر الصراعات الداخلية وعبر المهمات السرية .

إلى مائة ألف شهيد مصرى وكل شهيد عـربى ومسلم ومن شتى أرجاء العالم قاتل من أجل نصرة فلسطين .

وإلى الذين يدركـون بعد الصراع القائم فى ظل اختلال ميزان القـوى العالمية فكانت مرحلة السلام ، إدراكًا للتحديات المستقبلية .

إلى الأجيال القادمة على درب الحياة عبر السنوات القادمة الذين لا يعلمون أن حيفا ، يـافا ، عكا ، عسقلان ، أم الـرشراس ، المجدل ، الرملة ، أشـدود ، وغيرها من المدن الفلسطينية مدنًا عربية ضاعت قبل عام ١٩٤٨ م .

إلى الذين يقفون بصلابة ضد محاولة اغتيال الذاكرة التاريخية العربية .

إلى الـذين يعملـون للمحـافظـة على الهويـة العـربيـةوالشخصيـة العـربيـة ويصارعون من أجل عدم طمس هذه الهوية حتى لا تكون عربية - عبرية .

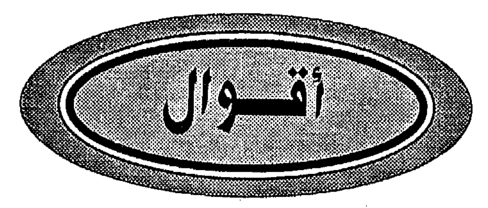
إلى كل هؤلاء هـذه الدراسـة علامـة على طريق المستقبل ، بل ومضـة مضيئة تحفل بالأمـل فى ظل حالة التمـزُّق النفسى التى يعيشها المواطن العـربى والمسلم . من أجل القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين .

دكتور

عبد الفتاح مقلد الغنيمى

الأحد ١٢ ذى القعــدة ١٤١٦هـ

٣١ مارس (أذار) ١٩٩٦م



● « القرآن الكريم والمسجد الأقصى ينهيان لا محالة وجود إسرائيل » المؤلف.

● « ما دام هناك مسلم واحد يقرأ سورة الإسراء فستنتهى إسرائيل » المؤلف.

● « إن إسرائيل ستموت بالسكتة القلبية وأنها ستختفى فجأة كالأشباح » .

جمال حمدان

● « إن إسرائيل فيل فى وسط الأحراش » .

أيهود باراك (وزير خارجية إسرائيل ١٩٩٦)

● « لولا مذبحة دير ياسين لما قامت إسرائيل » .

مناحم بيجن (رئيس وزراء إسرائيل الأسبق)

● « أسهمت مذبحة دير ياسين مع غيرها من المجازر فى تفريغ فلسطين من العرب » .

مناحم بيجن

● « الإرهاب اليهودى فى الثلاثينات هو الذى سمح بإنشاء دولة إسرائيل » .

دومنيك شوفالييه (أستاذ تاريخ العالم العربى والإسلامى بجامعة السوربون)

● « إن القنابل البشرية الفلسطينية خلقت توازنًا مع القنابل الذرية الإسرائيلية » المؤلف.

● « إن قصاصة من الورق لن تغير من حقيقة أن إسرائيل أرض فلسطينية » .

موريس بارديس

● « إن قيام دولة لإسرائيل تعتمد على حدود مسلحة لن يكون إلا مؤقتًا ولن تدوم » .

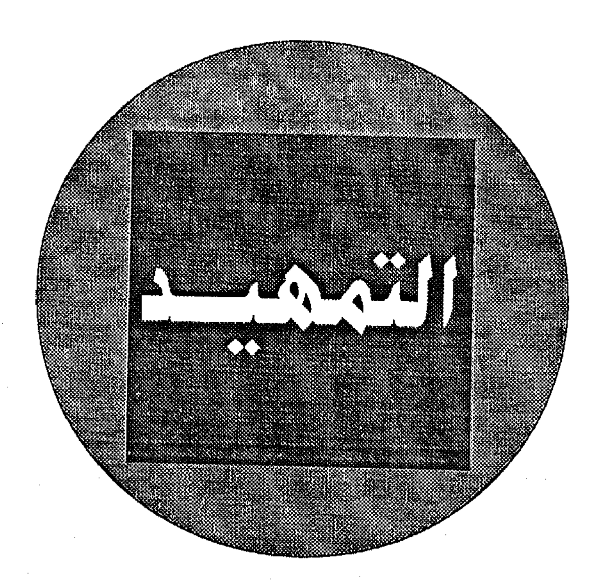
اليهودى أينشتين (أبو القنبلة الذرية)

● « إن كل حل لا يزيل إسرائيل لا محل له من البحث العلمى » . **جمال حمدان**

● « لقد غير الاستعمار طريقة تسلله إلى أرضنا فى حين أننا لم نغير طريقة مواجهتنا له » .

جمال عبد الناصر





مصر كانت ولا زالت دولة محورية بل هى قطب الرحى ومركز الدائرة وحجر الزاوية فى كل ما يخص العالم العربى والشرق الإسلامى ، فتاريخها الحضارى والسياسى يؤهلها لأن تكون هى المحور المحرك للأحداث سلمًا أو حربًا ؛ ولذا فإن دورها معروف بل أن ما تقوم به مراكز الأبحاث التى تعمل لحساب قوى معادية لمصر بالقول بأن مصر دولة هامشية فى خريطة العالم الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وأن هناك قوى جديدة تكون ركائز الشرق الأوسط أقوال مغالطة للحقيقة ؛ ذلك لأن الدور المحورى المصرى كان ولا يزال وسيظل من خلال الدعوة التى أطلقها الرئيس محمد حسنى مبارك للدعوة لمؤتمر صانعى السلام الذى عقد فى مدينة « شرم الشيخ » المصرية فى سيناء صباح الأربعاء ١٣ مارس ١٩٩٦ من الساعة الثانية عشرة إلى الثالثة بعد الظهر بالتوقيت المحلى لمدينة القاهرة ومهما ، تكن الأهداف المتعددة لمؤتمر صانعى السلام والأغراض التى دعت إلى عقده فإن المؤتمر قد ضم إحدى وثلاثين دولة من بينها أربع عشرة دولة عربية . ومنها الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية الراعيتين لمؤتمر السلام فى مدريد .

ولقد تابعت وشاهدت وتابع معى الملايين من العرب والمسلمين وكافة أنحاء العالم على شاشات التليفزيون كيف كان يجلس شيمون بيريز ، رئيس وزراء إسرائيل (السابق)مستأسدًا متنمرًا ينظر شذرًا إلى أصحاب الدشاشات (الغطر) كأنهم جرذان ، ناسيًا أن هؤلاء هم أحفاد صانعى الحضارة الإسلامية أحفاد عمر بن الخطاب ، خالد بن الوليد ، سعد بن أبى وقاص ، أبو عبيدة بن الجراح ، عمرو بن العاص ، عقبة بن نافع ، موسى بن نصير وغيرهم الكثيرين من القادة العظام الذين أوصلوا رسالة الإسلام إلى حدود الصين شرقًا وفرنسا غربًا ، ومن سيبيريا شمالاً إلى قرب خط الاستواء جنوبًا . دولة إسلامية كانت تشمل ثلاث قارات (أفريقيا - آسيا - أوربا) ولكن لم يكتف شيمون بيريز بهذا فقط بل قال فى جلسة كهذه وعلى أرض الكنانة : (مصر القرآن والسنة) إنه يتحدث من منطلق القوة ولم يعر أى احترام ولا تقدير وكأنه يريد أن يخيف الشعوب العربية فما الداعى لكلمة القوة هذه ، ولكن قد يكون له عذره فإن ما دار وراء الكواليس جعله يفقد أعصابه أكثر مما فقدت من إثر العمليات الانتحارية الأربع فى تل أبيب وعسقلان والقدس التى أودت بحياة أكثر مما خسرته إسرائيل فى حرب ١٩٦٧ ، بل إن الذين شاهدوا شيمون بيريز ، وهو ينظر متميزًا يكاد ينفجر من الغيظ وهو ينظر إلى وزير خارجية السعودية (سعود الفيصل) عندما قال : « إن الإرهاب هو الإرهاب فحادث القدس والمسجد الأقصى وحادث المسجد الإبراهيمى ، واغتيال جولدشتاين للمصلين فى فجر شهر رمضان هو الإرهاب » .

إنه كاد أن يلتهمه ، ولقد كان المصوِّر التليفزيونى نابهًا عندما أدار عدسة التصوير على وجه شيمون بيريز ليرى المشاهد كيف يكون السلام مع هذه النوعيات من القادة ، لكن بيريز قد يكون له عذره لا سيما بعد أن أصر الرئيس محمد حسنى مبارك والقادة العرب على كبح جماح بيريز وراء الكواليس ، وشطب كلمة « الإسلامى » من البيان الذى كان يرى هو أن ينص على مكافحة الإرهاب الإسلامى . هذه واحدة مما شاهدته وتابعته وما شعرت به خلال ثلاث ساعات هى فترة الجلسة العلنية .

ونحن حين نقول لشيمون بيريز : فلتقل ما تقول ولتهنأ بفلسطين لك وجيلك وأحفادك من بعدك ، إن إسرائيل لم يكتمل اغتصابها لفلسطين إلى نصف قرن منذ اغتصاب (حيفا - يافا - عكا - عسقلان - أشدود - أم الرشراش - المجدل - أرسوف - الرملة) وغيرها من الأراضى الفلسطينية (١٩٤٨ - ١٩٩٦م) ولكن هل يدوم لك هذا الاغتصاب قرن أو قرنين

أو ثلاثة قرون (مائة عام) أو أربعة قرون ، ولكن كلاً وألف كلا ولن تدوم لك ولأحفادك خمسة قرون ، فإن لكل بداية نهاية ودوام الحال من المحال ، إنك لا تقرأ التاريخ كما لم يقرؤه كل الإسرائيليين ، وإلا لما قبلوا أن يغتصبوا أرض فلسطين ، وأعود بالذاكرة إلى ما حدث إثر حرب ٥ يونيو ١٩٦٧م و التى يمر عليها الآن تسعة وعشرين عامًا أو معركة الأيام الست التى احتلت بها إسرائيل أراضى ثلاث دول عربية : مصر (سيناء) والأردن (الضفة الغربية الفلسطينية) وسوريا (هضبة الجولان) عندما أعلن موشى ديان ، وزير دفاع إسرائيل فى ذلك الوقت فى مقابلة مع مراسلى صحيفة (معاريف وها أرتس) الإسرائيليتين عن حقيقة المعركة الجوية التى حسمت المعركة فى ست ساعات وليس ستة أيام ، قال ديان : « لقد دفعنا بكل سلاح الطيران الإسرائيلى فى ذلك الوقت (٢٠٠ طائرة) فى حين أن الاستراتيجية القتالية تضع ٢٠٪ من السلاح احتياطى لكن إسرائيل غامرت ونجحت » . فرد عليه مراسل الصحيفة : « إن هذه الحقائق تخدم العدو العربى» ، فرد ديان : « إن العرب لا يقرأون » . وهنا نحن نقول له « إن العرب إذا كانوا لا يقرأون فإن الإسرائيليين إن كانوا يقرأون فإنهم لا يفهمون ، وإن كانوا يفهمون فإنهم لا يستفيدون ، وأنهم لو كانوا يستفيدون لما قبلوا بأرض فلسطينية أن تكون وطنًا لهم ، ألم يقرأ الإسرائيليون أن الشعب العربى صلب قوى ومقاوم لكل عوامل الانهزام والركوع ألم يقرأ الإسرائيليون أن مصر قلب الحركة العربية ظلت عشرة قرون (ألف عام) متواصلة فى ظل الاحتلال اليونانى والرومانى والبيزنطى (٣٣٠ ق.م - ٣٠ ق.م) احتلال يونانى - بطلمى ، (٣٠ ق.م - ٦٤١م) احتلال رومانى بيزنطى ؟ ، فهل يوجد فى مصر العربية اليوم من يتحدث اللغة اليونانية أو اللاتينية ؟ أو هل يوجد بين الشعب المصرى من ذو سحنة إغريقية أو يونانية ؟ ، إن السحنة العربية هى التى تسود اليوم أرض مصر شأنها شأن كل العرب ، وهل قرأتم يا قادة إسرائيل أن مصر ظلت ترفع السلاح طوال قرنين كاملين وأنها صدت الحروب الصليبية والمغول والتتار (١٠٩٥ - ١٢٩٠م) ؟ مصر ردت الصليبيين فى معركة حطين ١١٨٧م وحررت بيت المقدس للمرة الثانية ١٢٤٤م وكذلك كسرت الغزوة الصليبية ١٢٥٠م فى معركة المنصورة وأسر لويس التاسع وكذلك قاتلت المغول ١٢٦٠م فى عين جالوت ، وكذلك قضت قضاءً نهائيًا على الصليبيين فى ١٢٩٠م على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون . هل قرأتم ذلك فى تاريخ المنطقة ودور مصر ركيزة كل دور فعال فى الحاضر والمستقبل ؟ .

وهل عرفتم أحداث الجزائر التى قدمت مليون شهيد من أجل التحرير وبعد أن ظلت أكثر من مائة وثلاثين عام (١٨٣١ - ١٩٦٢م) تحت قبضة الاستعمار الفرنسى ، هذه بعض الأمور التى نضعها أمام الإسرائيليين الذين لم يدركوا أبعاد العمق الحضارى العربى الإسلامى وهل يدرك قادة إسرائيل أن هذا الكيان الدخيل (إسرائيل)يتكون من أكثر من اثنين وخمسين جنسية جاءت من مختلف الأقطار والطوائف لاغتصاب الحق الفلسطينى ؟ ، ثم ماذا يعنى موقف عيزرا فايسمان رئيس دولة إسرائيل من عدم الاشتراك فى استقبال بيل كلينتون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذى طار إلى إسرائيل مباشرة بعد مؤتمر « شرم الشيخ » ؟ لقد رفض رئيس الدولة مقابلته فى تل أبيب لأنه كان يريد أن يكون هبوط بيل كلينتون بطائرته فى مطار القدس حتى يكون ذلك اعترافًا من الولايات المتحدة بأن القدس هى عاصمة إسرائيل المعترف بها من قبل الولايات المتحدة ، ومن ثم فإن الشعب العربى فى شتى الأقطار يعيش حالة من الإحباط الوجدانى والتمزق النفسى ، بل حالة من التردِّى والسقوط إثر السيطرة الإسرائيلية على الوطن العربى السليب فلسطين ونجاح المخطط الصليبى الغربى اليهودى الإسرائيلى فى تحقيق أهدافه ، وفشل دعوة القومية العربية وفشل العالم العربى فى القدرة على استرداد فلسطين من القوى الصهيونية التى تدعمها القوى الغربية ، لكن وسط حالة اليأس والإحباط لابد من وجود الأمل والإحساس بالقدرة على التغلب على العقبات ؛ ذلك لأن التاريخ الإنسانى دورات ونحن نعيش أضعف حلقات التاريخ العربى (١٩٤٨ - ١٩٩٦م) فتحقيق قيام إسرائيل والاعتراف بها كيان شرعى فى الشرق العربى أو الشرق الإسلامى وليس الشرق الأوسط ؛ لأن الأوسط تحمل ورائها مغزى سياسيًّا وهو قبول إسرائيل فى المنطقة وعدم إطلاق الشرق العربى الذى يشمل كل الدول العربية ، والشرق الإسلامى بإدخال تركيا وإيران وباكستان باعتبار أنها دول إسلامية .

ونطرح هنا سؤالاً أمام الأجيال المعاصرة والقادمة على درب الحياة حتى لا تضيع الذاكرة التاريخية العربية والإسلامية ، بل قبل طمس هذه الذاكرة وإلغاء الهوية العربية الإسلامية ، لقد مضى نصف قرن على قيام إسرائيل فهل تكون إسرائيل أبد الدهر ؟.إنها مرحلة تاريخية بل حقبة تاريخية استطاعت القوى الغربية الأوربية ووعد بلفور ١٩١٧م والدعم الإنجليزى الغربى الأمريكى وكل دول أوربا بالمساعدة فى اغتصاب فلسطين ولكنها لن تدوم قرنين من الزمان مثلما سيطرت القوى الصليبية على بلاد الشام (١٠٩٥ - ١٢٩٠م) فهل تدوم أكثر

من ذلك ، لقد كان عدد اليهود فى فلسطين عام ١٩ هـ / ٦٣٩ م عندما حرر العرب إخوانهم سكان فلسطين من سيطرة الروم وعندما قدم عمر بن الخطاب الخليفة الراشد الثانى ليتسلم مفتاح بيت المقدس كان عدد اليهود ثلاثة أسر (اثنى عشر شخصًا) ، كذلك بعد مرور أكثر من اثنى عشر قرنًا (١٧٩٨م) عندما ذهب نابليون بونابرت لفتح الشام بعد غزو مصر فإن عدد اليهود كان أقل من ألفين نسمة (١٨٠٠ فرد) منهم ٢٣٥ شخص فى القدس ، كذلك وصل هذا العدد عام ١٩١٤م أى قبل إعلان الحرب العالمية الأولى ستين ألف نسمة ، وهذه الأعداد القليلة التى فتحت أبواب الهجرة إلى فلسطين من شتى أقطار العالم أمامها ليصبح عددهم حاليًا أكثر من خمسة ملايين (وقف إحصاء الأمم المتحدة عام ١٩٩٤م) . فلك الحق يا شيمون بيريز أن تقول : إننى أتحدث من منطلق القوة ، فأنت الذى أشرفت على بناء المفاعل النووى فى ديمونة وتعلم علم اليقين أسرار كل شىء عنه ، وأنت الذى كنت مساعد وزير الدفاع عندما تم توقيع عقد إنشاء المفاعل عام ١٩٥٦م مع الطرف الفرنسى ، وأنت تتحرك لتقيم دولة ونحن العرب نتحرك لأمور يعلمها الله ولا داعى للتفاصيل .

لكن رغم كل هذا فإن الذين يدرسون حركة التاريخ يدركون لا محالة أن إسرائيل دولة مرحلية اقتضت ظروف الصراع على مصادر الطاقة (البترول) والمعادن إضافة إلى عدم إعطاء الفرصة لقيام كيان عربى موحد فى غرب آسيا لكى تكون الدولة العربية الواحدة ؛ لأن توحد العالم العربى فى دولة عربية فى هذه المنطقة سيشكل تهديدًا على أوربا ، وكذلك سيشكل حاليًا تهديدًا للمخطط الأمريكى لإعادة رسم عالم جديد لا تريد أن يكون فيه كيان عربى إقليمى قوى . لأن ذلك يعيد للأذهان فتح الأندلس (٧١١ - ١٤٩٢م ، ٩٢ - ٨٩٧هـ) كذلك تقدم المسلمين فى فرنسا وصولاً لبلدة سانس على بعد ثلاثين كيلومترًا جنوب باريس العاصمة الفرنسية الحالية (انظر معركة بلاط الشهداء للمؤلف - عالم الكتب القاهرة ، ١٩٩٦) فإن ذلك اقتضى قيام إسرائيل على حساب الوطن العربى (٢٧٠ مليون نسمة) .

كذلك فإن المتغيرات العالمية مؤخرًا ١٩٨٩م بعد انهيار المعسكر الاشتراكى بقيادة الاتحاد السوفيتى وسقوط حائط برلين وتوحيد ألمانيا الغربية مع الشرقية وخروج دول شرق

أوربا (يوغسلافيا ، بولندا ، المجر ، تشيكوسلوفكيا ، بلغاريا ، رومانيا) وغيرها من الدول الأخرى الصغيرةعن نطاق الاتحاد السوفيتى ، وتفكك الاتحاد السوفيتى نفسه إلى عدة دول منها ست دول إسلامية ، جمهوريات آسيا الوسطى (انظر كتاب الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى للمؤلف، القاهرة ، ١٩٦٦) فإن كل ذلك قد دفع الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة المسيرة العالمية منذ عام ١٩٨٩ ، والوقوف بكل قوة خلف إسرائيل والعمل على أن تكون متفوقة عسكريًا وعلميًا وتكنولوجيًا على كل البلاد العربية (٢٧٠ مليون نسمة) وبقية دول العالم الإسلامى (١,٢٥٠ مليار ومائتين وخمسين مليون نسمة) ربع سكان العالم (إسرائيل ٥ مليون يضاف إليهم ثمانية ملايين يتوزعون فى بقية أنحاء العالم ، أكثرهم فى الولايات المتحدة الأمريكية) .

كذلك فإن ما قام به صدام حسين حاكم العراق الغبى من تصرف أحمق باحتلال الكويت ، وإعطاء الفرصة للولايات المتحدة الأمريكية بقيادة دول التحالف ، وضرب العراق والتحكم فى مقدّراته ، ودفع إسرائيل لتحقيق كل أهدافها فى العالم العربى ، وفرض الصلح والسلام على العرب من منطلق القوة ، واتخاذ الأسطول الأمريكى الخامس قاعدة دائمة له فى الخليج العربى فى دولة البحرين .

كذلك فإن صدام ودخوله فى صراع ثمانية أعوام (١٩٧٩ - ١٩٨٧م) مع إيران دون طائل أو فائدة إلا هلك الحرث والنسل ، ثم تنازله عن شط العرب الذى كان سبب الصراع عندما فكر فى غزو الكويت(أغسطس ١٩٩٠م) ، وما كان له من أثر فى تمزُّق العالم العربى وعدم العودة للتعاون والتضامن أو الوحدة والتعاون الشعبى ، وعدم قدرة صدام على امتلاك السلاح النووى لا سيما أن العراق كان قد قطع شوطًا كبيرًا ربما كان لا يستغرق أكثر من ثلاث سنوات كما ذكرت ذلك التقارير الغربية وتكون لدى العراق قوة نووية . هذه أمور أخرى مكنت لأن يأخذ السلام بعدًا آخر وفقًا للمخطط الإسرائيلى ، كذلك لعبت القوى الغربية (فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا) على المساعدة فى خلع شاه إيران وإعطاء حق اللجوء السياسى للإمام الخمينى فى فرنسا والسماح له بممارسة نشاطه من فرنسا حيث تم الإطاحة بالشاه وقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية ،والوقيعة بين إيران والعراق والدخول فى حرب

دامت ثمانية أعوام استنزفت الطاقات البشرية والمادية طوال هذه الحرب ، ثم التفرقة بين المسلمين كأقوال الشيعة والسنة ، وكل ذلك ساعد إسرائيل لتحقيق أهدافها ، إضافة إلى أن نظام الحكم الإيرانى سعى إلى تصدير الثورة الإسلامية والسيطرة على جزر طنب الكبرى والصغرى وأبو موسى وهى جزر تابعة لدولة الإمارات العربية ، وشق الصف الإسلامى وعدم كياسة النظام الإيرانى فى هذا الصدد بتعاونه مع بلدان العالم العربى .

كذلك موقف إيران والخلاف العميق بين مصر وإيران وقطع الأخيرة علاقاتها مع مصر بعد توقيع اتفاقية كامب دافيد ، عام ١٩٧٩ ، ولا زالت العلاقات مقطوعة رغم مضى أكثر من خمسة عشر عامًا ، وكل هذا أضعف الصف العربى والإسلامى وأعطى الفرصة لإسرائيل لكى تحقق أهدافها لكن الساحة العربية والإسلامية تشهد مؤخرًا نوعًا من الحركة الفاعلة والفعالة .

لكن تحقيق الهدف الإسرائيلى لن يكون إلا مرحليًّا ؛ ذلك لأن العرب الذين يشكلون الدائرة أو الطوق المحيط بإسرائيل ليسوا كالهنود الحمر فى أمريكا معرضون للإبادة أو كشعوب البوشمن أو الهنتوت أو البانتو أو الأقزام فى أفريقيا لكنهم شعب له ميراث حضارى وثقافى قديم ضارب فى جذور التاريخ ، كما أن القرآن الكريم والإسلام يحفظان المسلمين والعرب دون أى مساس لأن القرآن والإسلام وجدا أبد الدهر .

ونقول أنه رغم التقدم العلمى الإسرائيلى الهائل والصناعى والزراعى والحربى والتكنولوجى والتعليمى إلا أن كل هذا ليس بقادر على البقاء والاستمرار فالمعاملة العنصرية وما كان يفعله الرجل الأبيض فى جنوب أفريقيا طوال أكثر من ستة قرون لم يستطع أن يفرض نفسه على الأغلبية الأفريقية ، ولكن جنوب أفريقيا عادت لأهلها الشرعيين فهل يكون ذلك عبرة (جنوب أفريقيا - الاتحاد السوفيتي - الاستعمار القديم والحديث) ؟ ، كذلك فإن القهر والقوة لن يقفا عقبة فى طريق التضامن العربى ، إن العالم العربى والإسلامى فى حاجة إلى شخصية قيادية قادرة على استعادة الحق الفلسطينى ، والأحداث التاريخية قادرة على إبراز هذه الشخصية ، فدرس التاريخ يقول : إنه عندما انهارت فرنسا فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) أمام القوات النازية الألمانية وأقام الألمان حكومة فيشى العميلة لهم فإن

شارل ديجول استطاع الوصول إلى بريطانيا ومقابلة (ونستون تشرشل) رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الوقت وطلب منه الاشتراك باسم فرنسا فى الحرب ، ودار حديث طويل مسهب خاطب فيه تشرشل ديجول قائلاً : ماذا بقى من فرنسا بعد سقوطها بالكامل فى قبضة الألمان فرد ديجول بصوت عال : (لقد بقيت أنا) واستطاع ديجول أن يقود المقاومة الفرنسية ويحرر فرنسا بمساعدة الحلفاء من الاحتلال الألمانى ، كذلك عندما سقطت اليابان فى نفس الحرب العالمية الأخيرة إثر ضرب هيروشيما ونجازاكى بالقنابل الذرية ، وتوقيع الامبراطور اليابانى اتفاقية للاستسلام فإن اليابانيين أصروا على احترام وبقاء شخصية الامبراطور كرمز للدولة والمحافظة عليه ، ومن هنا فالفرد القائد لابد أن يظهر على الساحة العربية أو الإسلامية ويعيد الحق الشرعى والمشروع لأصحابه .

كذلك وقوع القادة اليهود فى خطأ تاريخى قاتل بعدم قبولهم إقامة دولة يهودية فى الأرجنتين أو شمال كينيا أو أوغندا أو قبرص أو إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى والتمسك بإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين ستكون كارثة مستقبلية تذكرهم بما حدث من نبوختنصر الآكادى وسرجون الأشورى وما فعله الفرس والرومان ، لقد خسر العرب ثلاث حروب متواصلة (١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧م) ولم يتحقق أدنى هدف لإسرائيل سوى قيامها وأخيرًا الاعتراف بوجودها فى ظل ظروف عربية غير طبيعية، لكن خسران إسرائيل لأية معركة مستقبلية ستكون نهاية هذا الكيان الإسرائيلى ، فهل تدرك إسرائيل أن ذلك لا محالة قادم مهما كانت إسرائيل تملك قوة تكنولوجية وصناعية وسلاح نووى أو صواريخ عابرة أو أقمار تجسس أو إقامة مستعمرات مستقبلية على سطح القمر والاشتراك مع الولايات المتحدة فى حرب الكواكب (النجوم) أو تخزين الأسلحة فى مستعمرات فى القمر أو فى سفن الفضاء أو مركز الاستشعار من البعد ، فإن كل ذلك ليس بقادر على بقاء إسرائيل فى وسط عربى لا يقر شعبه شرعيتها رغم اعتراف الحكومات بوجودها .

إن السلام المعقود حاليًا مع إسرائيل هو سلام حكومات وليس سلام شعوب وإلا فهل تم استفتاء شعبى على هذا السلام فى مصر والأردن وفلسطين كما يطالب شيمون بيريز باستفتاء شعب إسرائيل للانسحاب من الجولان السورية ، إن ذلك لم يحدث ؛ لأن الشعب المصرى

بحسه الحضارى وعمقه التاريخى يقف ضد التطبيع فهو الشعب الذى قاد حرب (٦ أكتوبر ١٩٧٣م، العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ) واسترد للكرامة العربية شخصيتها وحطم خط بارليف وأسر العديد من القوات الإسرائيلية ، والهرولة الإسرائيلية فى ذلك الوقت طالبة النجدة الأمريكية واستنجاد جولدمائير بالرئيس الأمريكى نكسون والاستعداد الإسرائيلى للاستخدام النووى وقفًا للهجوم المصرى الكاسح (٦ - ١٤ أكتوبر) .

كذلك فإن القرن الحادى والعشرين القادم سوف يشهد تغير الميزان العالمى وعدم تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم وانحسار الدور الأمريكى ، والتطور الاقتصادى والتجارى فى شرق آسيا والتقارب الصينى اليابانى هو أكبر خطر يهدد الكيان الأمريكى بسبب تقدم الإنتاج الصناعى وإنتاج هذه الدول يشكل ٢٤٪ من الإنتاج العالمى يضاف إليه ١٢٪ إنتاج الهند ليكون إنتاج آسيا ٣٦٪ من الإنتاج العالمى ، والولايات المتحدة وكندا والمكسيك تنتج ٢٤٪ من الإنتاج العالمى (دول النافتا) حتى نهاية عام ٢٠٠٠م يكون الناتج القومى لدول شرق آسيا ٣٠٪ يضاف إليهم ١٥٪ إنتاج الهند يكون ٤٥٪ من الناتج العالمى ، يشكل إنتاج آسيا ٧,٧تريليون ، ٦,٧ تريليون (أمريكا - المكسيك - كندا) ، ٤,٦ تريليون (الاتحاد الأوربى) القرن القادم قرن آسيا لا محالة . كل ذلك سوف يساعد على التوازن العالمى الذى يتيح للعرب دورًا آسيويًا تعاونًا مع هذه الدول يعيد الحق لأصحابه بعد تراجع القوى الغربية، كذلك ظهور مشكلة الديون الأمريكية والاستثمارات اليابانية فى أمريكا وتحكم رجال الصناعة اليابانيين فى الصناعات ، كذلك فإن الولايات المتحدة دولة هجرة من أنحاء مختلفة فى العالم وعدم تجانس المجتمع الأمريكى وظهور أمة الإسلام ، ودور (لويس فراقان) وقيامه بزيارة دول تعارض السياسة الأمريكية (إيران وليبيا والعراق وسوريا) وحركة الزنوج ومشاكل الهجرات الآسيوية ، ودول البحر الكاريبى وأمريكا الجنوبية ومشكلة الهنود الحمر فى جنوب المكسيك وظهور دورهم فى المجتمع ، والقوميات الأوربية والشعوب البيضاء الأيرالنديين يشكلون ٤٠ مليون من مجموع السكان ٢٦٠ مليون ، كل ذلك لن يكون فى صالح إسرائيل والعلاقات مع أمريكا . كذلك ظهور قوة إسلامية من دول النمور الآسيوية أندونيسيا وماليزيا وكذلك باكستان وامتلاك سلاح نووى والتقدم الاقتصادى فى هذه الدول والشعور الدينى فى تركيا

وحزب الـرفاة الإسلامى المعـارض وزعيمه نجم الـدين أربكان وحصول حـزبه على ٢٢٪ من الأصوات (١٥٨ صوت) وكذلك التطور العلمى والتكنـولوجى والاقتصادى والسعى لامتلاك السـلاح النووى ، وثورة خمسـين قرية عـربية فى إسرائيل ، والثورة باسم ثورة الأرض التى قامت عام ١٩٧٦م راديو لندن ٢٩/ ٣/ ١٩٩٦م ثورة عربيـة فى كل القرى العربية فى إسرائيل كذلك دور جمهـوريـات آسـيا الـوسطى الست (أذربيجـان - كازاخسـتان - ، تـركمانستـان - أوزبكستان - قازاقستان - طاجيكيستان) .

والتعاون العـربى الإسلامـى مع هذه الـدول لا سيما تحرك علماء الذرّة منهـا إلى العراق - ليبيا - إيران - والمسـاهمة فى المجالات العلمية والصناعية مما سيشكل دفعـة علمية متطورة فى مصر وليبيا وتـركيا وسـوريا وإيـران والعراق وتركيـا وباكستـان ، وأن الدور الإسـلامى الثقافى والهوية الإسلامية الثقافية ستكـون محور التحرك فى القرن الحادى والعشرين مما سيشكل تهديدًا للوجود الإسرائيلى ، وحتمية زوال إسرائيل مهما كانت اتفـاقيات السلام ، كذلك فإن الأقليات العربيـة الفلسطينية فى إسرائيل والتـى تشكل ما يقرب مـن مليون نسمة خُمس سكـان إسرائيل يشكلون ٥ , ١٢٪ من مجموع سكان إسرائيل وسوف يشكلـون قوة مستقبلية عشرة أعضاء عرب إسرائيليين فى الكنيسيت (عـددهم ٢٧٠ ألف نسمـة عـام ١٩٤٨) زيادة أربعـة أضعـاف فى خمسين عـام ، زيادة نسبـة المواليد والخصـوبة لـدى العرب والعمل على ازديـاد عدد السكـان العرب وكـذلك فإن السلطة الفلسطينيـة فى غزة والضفـة الغربيـة يشكلون ٢ مليـون نسمة + مليون نسمـة عربى إسرائيلى = ٣ مليون = ٤ مليـون يهودى ، الشخصية الفلسطينية المجـاهدة الصابرة والفدائية المقاتلة المثقفة المتعلمة ، رجال الاقتصـاد والمـال الفلسطينيين ودورهم فى بناء منطقة الحكم الذاتى والاستعـداد لجولة قادمة ، والعالم العـربى لن يظل اثنتين وعشـرين دولة ولا بـد أن تظهر وحـدات سيـاسية مستقبليـة ، ولن يكـون مجلس التعاون الخليجى إلا وحـدة واحدة مستقبلا ، ثم تـوحيد سوريا الكبرى (سوريـا - لبنان - الأردن- فلسطين) مصر وليبيا والسودان وبلاد المغرب الأربع (تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا) الوحدة العربية عامل حاسم فى إنهاء الكيان الإسرائيلى) .

إننا حين نضع هذه الدراسة فنحن ندرك مدى التقدم العلمى الأمريكى الذى تغترف منه إسرائيل للتطور والتقدم ، والذى يقابله على الجانب العربى تخلف علمى تكنولوجى وصناعى وزراعى يجعل إسرائيل وأمريكا فى مركز القوة ولكن ذلك لن يحول دون الإحساس بقدرة العوامل الكامنة فى الإنسان العربى والقدرة على إحداث تغيرات جوهرية فى الحياة العربية بجميع أنماطها على المدى البعيد أو القريب ، حيث أن الزمن لا يقاس بعدة سنوات أو بمئات السنين ، ولكن الإيمان بحتمية البقاء بحكم العامل الروحى (الإسلام والقرآن الكريم) والعامل الثقافى والصراع الثقافى والتاريخى والجنسى والسلالى فكل هذه العوامل قادرة على إحداث الصدمة القوية إلى الأبد ، وأن ينتهى وجود إسرائيل مهما طال بها الأمد والمقام فى أرض عربية إسلامية فلسطينية (فلسطين عربية منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد) وفلسطين إسلامية منذ ألف وأربعمائة وستة عشر عام ، ١٤١٦هـ) والتاريخ قادم وليس هناك قبول بمقولة انتهاء التاريخ أو نهاية التاريخ .

إن القوى الغربية والشرقية من وراء إبقاء إسرائيل فهذه القوى (أمريكا وروسيا) قامت بخداع الرئيس جمال عبد الناصر وما قام به السفير الروسى بالقاهرة فجر ليلة ٢٧ مايو ١٩٦٧م عندما أيقظ الرئيس عبد الناصر ، من نومه وأبلغه رسالة عاجلة من القادة السوفييت بعدم توجيه ضربة لإسرائيل ، وكذلك قيام السفير الأمريكى الذى لم يكن قدم أوراق اعتماده رسميًا بالتهديد بالتدخل ضد مصر إذا قامت بالضربة الجوية فجر ٢٧ مايو بعد أن علمت بها مخابرات الدولتين ، وكان ذلك يعنى التآمر على القوات المصرية وإعطاء الضوء الأخضر والسماح لإسرائيل بأن توجه الضربة الجوية الأولى فى ٥ يونيو ١٩٦٧م وكانت الطامّة الكبرى وأصبح شعار العرب تحرير الأرض المحتلة وترك فلسطين عام ١٩٤٨م وارتفع شعار الأرض مقابل السلام .

إننا حين نضع هذه الدراسة أمام الأجيال المعاصرة والأجيال القادمة على درب الحياة عبر أجيال قد يطول تواردها وقد يقصر فإننا أردنا أن لا يتم اغتيال ذاكرة التاريخ العربى أو طمس الهوية العربية أو محو الذاكرة العربية ؛ لكى لا تعرف الأجيال القادمة أن (حيفا ، يافا ، عكا ، المجدل ، عسقلان ، الرملة ، اللد ، أم الرشراش وأرسوف وغيرها مدن عربية)

وأن فلسطين من النهـر إلى البحـر .. وكلك لتعلم الأجيـال أن إسرائيل سوف تموت بـالسكتـة القلبية كما مـات الاتحاد السوفيتى قبلها بالسكتـة القلبية وانهارت التفرقة العنصريـة فى جنوب أفريقيـا ، وزالت للأبد الامبراطوريـة البريطانية التى لا تغيب عنهـا الشمس وهى الآن تعانى مشكلة (مرض جنـون البقر) فهـل تتعظ إسرائيل أم السير فى التعبئة العسكـرية كما حدث فى لبنان (١١ - ٢٧ أبريل ١٩٩٦)التى تؤدى إلى الهلاك .

إننا حين نضع هذه الـدراسة ندرك الحس التاريخى والعمق الحضـارى العربى الإسلامى القادر على مواجهة التحدى والتصدى فى المدى القريب أو البعيد ، وكذلك نحن ندرك الدور القوى الفعال الذى تمارسه الولايات المتحدة والتقدم العلمى الهائل والسيطرة على الكواكب ، كـذلك فإن الشعب الأمريكى لن ينسى هـزيمته السـاحقة فى فيتنـام التى كانت تسـاعد هـا الصين ، بالمـال والسلاح والرجال وخسرت أمريكا سبعين ألف قتيل ولا زال الرجال فى أمريكا يعانون مـن الانهيار النفسى والجسدى فى المستشفيات وفى بيـوتهم، فقد كانت الصدمـة مروعة صدمة الـدولة العظمى لخسرانها الحرب والجنود الأمريكيين الـذين عاشوا فى الوحـل وماتوا فى الطين والصدمة فى انهزام الدولة القوية أمام الـدولة الصغيرة (فيتنام) الدولة الغنية أمام الجياع العراه أكلـة الضفادع شـاربى مياه الحقـول والمستنقعات ولكن رءوسهم فى السماء وكبريـائهم أكبر رصيـد من الذهب والمـاس ، لكن أوراقهم المـالية فى التاريخ ، فهل يـدرك العرب قـوة دورهـم المستقبلى وأن تكـون أوراقهم المـالية فى التـاريخ وليس فى بنـاء القصـور أو المقامـرة أو سلاح إسرائيل يباع بأيدى عربية (عدنان خاشقجى) ، لكن أمريكا فيتنام ليس أمريكا الشرق العربى أو أمريكا مـدمرة الاتحاد السوفيتى ، فأمريكا اليوم القوة العالميـة الوحيدة والوصول إلى القمر وأرمسترنج عام ١٩٦٩م وبنـاء مساكن على سطح القمر منذ ٣١ ينـاير ١٩٨٦م كذلك الـوصول إلى المريخ واكتشـاف مصـادر يمكن استغلالها للحيـاة كوجـود وديـان ثلجية مليئـة بالثلوج والتفكير فى بناء مساكن دائمة لسكنى أفراد ، كذلك التقدم فى حرب الكواكب وتخزين مـواد حربيـة وأسلحة فى هـذه الكـواكب ، وسفن الفضاء التـى تدور حـول الأرض منذ عـدة سنوات فى رحـلات تستمر أكثـر من عامين متواصلين ، وكـذلك تقدم علم الهنـدسة الـوراثية وعلم استنسـاخ الأجنة وتخليق إنسـان فى أنبوب وغيرهـا من العلـوم المتطورة ، وكـذلك عصر

الكمبيوتر ومراكز الاستشعار من البعد وغيرها من العلوم المتطورة ، والقدرة على قتل إنسان عن طريق تسليط أشعة على صورته ومن جو معين لتقتل صاحب الصورة فى مكانه باستخدام الاستشعار من بعد كما حدث فى مقتل الفلسطينى المهندس (يحيى عياش) عن طريق الروموت كونترول وتسليط أشعة على مادة غريبة وضعت فى جهاز التليفون الذى تم عن طريقه قتل الفلسطينى عن طريق طائرة هليكوبتر ، إن كل هذا التقدم لن يحول دون عودة الحق ، ذلك لأن نقطة الدم لا تموت أو تنمحى مع الأيام ، فهى نقطة غير قابلة للعفن أو العطن ، فما ضاع حق وراءه مطالب ولن تضيع ديار العرب هباء دون إقامة العدل على أرض فلسطين .

ولكن ننهى هذا التمهيد بذكر أقوال تثبت نهاية إسرائيل ومن ذلك ما قاله اليهودى «أينشتين » : « إن معرفتى بالطريقة اليهودية تجعلنى أشك فى وجوب قيام دولة لإسرائيل تعتمد على حدود مسلحة وإلا فإن هذه الدولة لن تكون إلا مؤقتة ولن تدوم » .كذلك قال الباحث الإنجليزى « موريس بارديس » عام ١٩٦٧ ما يلى : « وإن الأحقاد التى تثيرها إسرائيل سوف تنهال عليها من جديد إن عاجلاً أو آجلاً سواء اعترف بوجودها رسميًا أم لا ، إذ أن قصاصة من الورق لن تغير من الأمر شيئًا » .

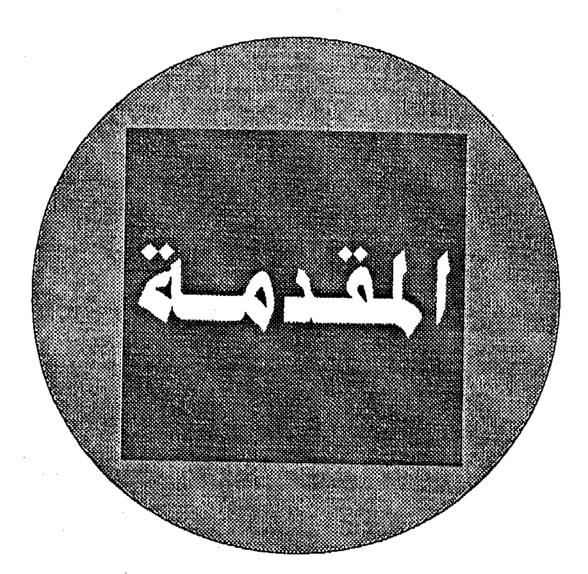
ولما كانت إسرائيل محصورة داخل رأس جسر على شاطئ البحر وكانت محاطة بشعوب لا تهدأ فقد حكم عليها بأن تلعب لعبة خطرة غير مأمونة الجانب قد تكسب فيها مرة أو مرات ولكنها ستظل تحت رحمة هزيمة واحدة وسيصبح موقفها عند ذلك باعثًا على الأسى وغير قابل للإصلاح وقد حدث ذلك فى حرب رمضان ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م وسوف يحدث بعد عدة أعوام ولن تدوم قصاصة الورق .

وقد قال العالم المفكر العربى « جمال حمدان » : (إن كل ما لا يعيد الوضع إلى ما كان عليه قبل عام ١٩٤٨ بل قبل عام ١٩١٨ مرفوض بلا نقاش وأى حل لا يزيل إسرائيل من الوجود لا محل له من البحث العلمى) : فإذن هى لن تبقى وسوف تزول كما أكد كل

الفلاسـفة والعلمـــاء والباحثين ومنهم العـالم اليهودى أبـو القنبلة الـذرية (أينشتين) فهل فى ذلك جدال ؟!.

ومن ثم فإننا فى هذه الدراسـة لا نجد خير مما تختم به هذه المقدمة التمهيديـة سوى قوله سبحانـه وتعالى فى سـورة الإسراء : ﴿ وقضينـا إلى بنى إسرائيل فى الكتـاب لتفسـدن فى الأرض مرتين ولتعلن علـواً كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبـادًا لنا أُولى بأس شديد فجـاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولا ﴾ (صدق الله العظيم) .

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العالمين القـائل فى محكم قـرآنه الكـريم : ﴿ وقضينـا إلى بنى إسرائيل فى الكتـاب لتفسـدن فى الأرض مـرتين ولتعلن علوًّا كبيرا ، فـإذا جـاء وعـد أولاهـا بعثنـا عليكم عبادًا لنا أولى بـأس شديد فجاسـوا خلال الديار وكـان وعدًا مفعولا ﴾ والصلاة والسـلام على النبى العربى القرشى محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه وذريته ومن سار على نهجه إلى يوم لا يبقى على الأرض بشر .

أما بعـــد ...

فتلك هى دراسة تربط المـاضى بالحاضر والمستقبل بعنوان (إسرائيل إلى زوال) أردت أن أضعها بين يـدى القارئ الكـريم فى كل مكان تصل إليـه هذه الصفحـات ذلك لأن الإنسان العربى وهو يدلف إلى القرن الحادى والعشرين وهو يـرى إسرائيل توطد أركانها وتقيم علاقاتها وتمد جسورهـا لتصبح عضوًا شرعيًّا فى الشرق العربى والإسـلامى فإنه يعيش حالـة من التمزق النفسى وعدم وضـوح المعالم المحـددة التى تنير الطريق أمـامه وأمـام الأجيال القـادمة فى ظل

التفـرد الأمريكى بقيـادة المسيرة العـالمية وفى ظل فرض السـلام من منطلق امتـلاك إسرائيل لمـائتى أو ثلاثمائة رأس نووى (٢٠٠ - ٣٠٠ رأس نووى) وتـرسانة من الأسلحة المتطورة وفى ظل التشرذم العربى والتقوقع والإقليمية الضيقـة والهرولة إلى السلام المنقوص والتطبيع والحماية الأمريكية الإسرائيلية على حساب وحدة الصف العربى .

وحتى لا يتم اغتيـال الذاكرة العـربية التـاريخية بل ومحوهـا وطمس الهوية العـربية لكى تصبح شخصية عـربية - عبرية شرق أوسطية وتشـويه حركة التـاريخ العربى وتعطيل العقل العربى وسلب حواسه والتعتيم على الحقائق ووصف العدو بالصديق وربما بالحليف والشريك فى فترة قادمة فأردت أن تكـون هذه الدراسة تنشيطًـا للذاكرة العربيـة حتى لا تصاب بالتعطل والبعد عن حاضرها (١٩٤٨ - ١٩٩٦) وماضيها الإسلامى ١٤١٦ هـ وماضيها القديم فى ظل الحضـارات العربيـة ، الفرعـونية ، الآشـورية ، البـابلية ، الكلـدانية ، الفينيقيـة ، الكنعانيـة ، الحميرية ، السبئية ، المعينيـة ، الآرامية وغيرها من الحضارات التى كـانت جميعها من نبع واحد فياض هـو الجزيرة العربيـة التى خرجت منها هذه الهجـرات لتكون أقدم حضـارات التاريخ وجاءت على أثـرها حضارة الإسـلام لتكون خير عـون لاسترداد الحق العربى السليب فى أرض فلسطين ولتكون دارًا عربيًّا إسلاميًّا من النهر إلى البحر .

ولقد ظهـرت فكرة هـذه الدراسـة عندمـا دار حديث علمـى فى محاضرة تعقدهـا جمعية الأصـالة المصريـة التى تضم قادة الفكـر والعلم والثقـافة والسيـاسة والإدارة فى مصر بتـاريخ ٣/ ٣/ ١٩٩٦ عندمـا حلل الأخ الدكتور المحـاضر الأحداث الحالية فى المنطقة العـربية ولفترة تسبقها بعشر سنوات من ناحية البعد السياسى ولم يتطرق إلى البعد التاريخى ؛ لأن عنصر الحياة هو التاريخ ؛ ولأن المؤرخ فى تحليله للأحداث لا ينظر إلى الحدث كأنه قطعة جامدة بل لابد من ربط المـاضى بـالحاضر بالرؤية المستقبليـة العلمية وسار النقـاش على عكس ما قاله الـدكتور المحاضر وكان ردِّى عليه أنه لا خوف ولا خطر على مصر ؛ لأن مصر دولة محورية عبر العصور فى التاريخ القديم والوسيط والحديث وأنـه لا حرب ولا سلم بدون مصر وكذلك فإن إسرائيل وقيامها فى المحيط العربى لا يشكل إلا مرحلة زمنيـة وأن تفرد الولايات المتحدة بقيادة العالم لن يدوم نصـف قرن إن لم يكن ربع قرن ذلك ؛ لأن قوة (الصـين - اليـابان) وجنوب شرق آسيا

(النمور السبع وغدًا العشر) قادمة وأن التوازن العالمى سوف يتيح للعرب التحرك لرفع وصمة العار عن كاهل الشرق العربى والإسلامى وأن الوحدة العـربية سوف تأخذ طريقها إلى الظهور إذا تصدَّت الأقلام الحرة للذين يحاولون الكتابة عن الأقليات فى العالم العربى خدمة للمصالح الأمريكية والإسرائيلية .

كذلك كان مـؤتمر صانعى السلام المنعقد ٢٣/ ٣/ ١٩٩٦ وما دار فيـه من أحداث وقول رئيس وزراء إسرائيل شيمون بيريز أنه يتحدث من منطلق القـوة . كل هذه الأمور كانت دافعًا لأن نضع تلك الدراسة أمام القارئ الكريم لتكون ذاكرة عند الأزمات .

وقد قسمت هذه الـدراسة إلى ثمانية فصول وخـاتمة ، تحدثت فى الفصل الأول عن عروبة فلسطين منذ أربعـة آلاف عام قبل الميلاد وكيف أن الهجـرات العربية كـانت تخرج من الجزيرة العـربية منـذ أزمنة سحيقـة وتأخـذ طريقهـا فى الاتجاه الشمالى الغربى وصـولاً إلى فلسطين ثم الاتجاه شمالاً إلى سـوريا وكيف كـانت هجـرات الفينيقيين والكنعانيين والآراميين وغيرهـا من الهجرات العربية طريقًا لبناء القواعد العـربية فى هذه المناطق وكيف كانت تتم الوحدة العربية بين دول الهلال الخصيب وسـوريا الكبرى ومصر فى شكل وحـدة عربيـة سلاليـة قديمـة قبل ظهور الإسلام وأن عروبة فلسطين قبل الإسلام بأربعة آلاف عام .

ثم كان الفصل الثـانى عن الفكر الصهيـونى واغتصاب فلسطين وكيف ظهرت الـدعوة الصهيونية لإنشاء وطن قومى لليهود دون تحديـد المكان وكيف عرضت عدة أماكن على اليهود لكى ينشئوا بها وطنًـا لهم كالأرجنتين وقبرص وأوغندا وكينيا وبـرقة فى ليبيا وغيرهـا من الأماكن وكيف جـاء كتاب هيرتـزل عـام ١٨٩٦ لإنشاء وطن قـومى والمراحل التى مـرَّ بها هذا الفكـر وكيف كانت مـراسلات حسين - مكماهون ١٩١٥ ونظـرة بريطانيـا إلى اغتصـاب فلسطين فى اتفاقية سـايكس - بيكو ١٩١٦م ووعد بلفور عام ١٩١٧م وفتح المجال للهجـرة اليهودية فى ظل الانتداب البريطانى والاستيلاء على أراضى العرب وطردهم من ديارهم وكيف كان إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م .

ثم كـان الفصل الثـالث عن إسرائيل والمـأزق التاريخى الـذى تعيش فيهـا بـاختيارهـا فلسطين لتكون وطنًـا قوميًّـا لها على حساب الحق العـربى فى فلسطين وكيف أن الذيـن أوقعوا

إسرائيل فى المـأزق خـدمـة لأهداف استعمارية وفصلاً لمصر عن الشرق العـربى واستغلالاً لمصادر الطاقة وعـدم رؤية عالم عربى واحد ؛ لأنهم يدركون خطورة قيـام وحدة عربية وكيف أنهم لم يقـرأوا التـاريخ ولم يســتفيدوا منـه وكيف أن مصر ظلت محتلـة طـوال عشرة قـرون (٣٣٢ق.م - ٦٤١م) وكيف عـاد الـوطن العربـى إلى أصله وكيف أن مصر قـاومت الحركـة الصليبية مائتى عام (١٠٩٥ - ١٢٩٠م) وحررت أرضها وكيف أن الحركة اليهودية الاستيطانية لن تدوم أبد الدهر .

ثم كان الفصل الـرابع برأس عنوان : السلاح الـذرى هل يضمن بقاء إسرائيل وكيف أن امتلاك إسرائيل ٢٠٠ - ٣٠٠ رأس نووى وإنشاء أربعة مفـاعل ذرية فى ديمونة ونحال والنبى بنيـامين وكيف أن السـلاح النووى لم يمنع مـن انهيار الاتحاد السـوفيتى ، وكيف أن العـرب فى المرحلة القادمـة أو أى من الدول الإسلامية تكـون قادرة على امتلاك السلاح النـووى مما يجعل إمكـانيـة التـوازن مع إسرائيل وكيف أن السـلاح النووى فى هـذه الحالـة لن يكـون فى صـالح إسرائيل وأن السلام أيضًا لن يكون فى صالح إسرائيل .

ثم كـان الفصل الخامس : عن الولايـات المتحدة والتـوازن العالمى وكيف أن الـولايات المتحدة استطاعت أن تنفرد بقيادة العالم بعد انهيـار الاتحاد السوفيتى وكيف أنها توجه السياسة العالمية من منطلق مصلحتها وأهدافها وأنها تعيد صيـاغة الحركة العالمية وفق رغباتها وكيف أن ذلك لن يدوم وأن القـوة الآسيوية (الصين واليـابان ودول النمور والهند) سـوف تحقق التوازن وربما التقدم وأن ذلك لن يكون فى صالح أمريكـا وإسرائيل وأن ذلك سوف يكون مصدر عون للعالم العربى فى حالة نجاحه فى توطيد علاقاته مع دول آسيا .

ثم الفصل السادس : عن العـالم العربى والتحـديات المستقبلية وكيف أن العـالم العربى مطالـب وهو على أبواب القرن الحادى والعشرون ، وفى ظـل قيام دولة إسرائيل ومحاولة اكتساب شرعيتهـا داخل الإطار العـربى مما يستـدعى التعـاون والتلاحم العـربى وعدم الفـرقة والأخـذ بأساليب التقـدم العلمى وإفساح مجال أوسع للديمقراطيـة والأخذ بالشورى وإعطـاء الفرصة للعنـاصر العلمية للمشـاركة فى الحـكم ، وأنه لا طـريق أمام العـرب لمحـــو وصمة وجــود إسرائيل إلا من خلال العمل على بناء سوق عربية مشتركة وقيـام كيـان أو كيانات فيدرالية أو موحـدة أو كنفدرالية .

ثم كـان الفصل السـابع عن إسرائيل والانفجـار من الداخل وفيـه نتحـدث عن الهيكل السكـانى الإسرائيلى وكيف أنـه يتكـون من اثنتين وخمسين جنسيـة وأن اليهود طـوائف شرقيـة سفارديم وغربية شكناز وغيرهم من الطـوائف المختلفة ؟ ، وكيف أن اليهود الغربيين يسيطرون على مقاليـد الأمور فى فلسطين (إسرائيل) عفـوًا ! وكيف كانت ثـورة يهود الفلاشـا الأثيوبيين علامـة على التمزق والعنصريـة ؟ ، وكيف أن الروس يشكلـون حاليًا ربـع سكان إسرائيل وأن اللغة الروسية تأخذ وضعها جنبًا إلى جنب مع العبرية ، وكيف أن السلام يجعل الصراع داخليًّا وليس خارجيًّـا وكيف أن ذلك سوف يدعـم موقف العرب لا سيما أن عـرب إسرائيل يشكلون مليون نسمـة خمس سكان إسرائيل ؟ ، وكيف أن نسبـة المواليد والخصوبـة لدى العـرب تكون عـامـلاً مســاعـدًا على المدى البعيـد ؟ ، وكيف أن هنـاك اثنى عشـــر عضـو من العـرب فى الكنيسيت الإسرائيلى ؟ ، وكيف قامت ثورة فى خمسين قرية عربية إسرائيلية بمناسبة يوم الأرض التى حدثت عام ١٩٨٦م ؟ ، وكيف أن كل هذه تكون عوامل دفع على انهيار وانفجار إسرائيل من الداخل ؟.

ثم كـان الفصل الثـامن والأخير عن إسرائيل والانفجا ر مـن الخارج وهل ستكون هنـاك حرب عربيـة إسرائيلية أخرى ؟ وكيف أن العرب أخطأوا فى الماضى بعدم قيـام دولة فلسطينية على الضفة الغربية وقطاع غزة منـذ عام ١٩٤٩ وليس عام ١٩٩٤ وكيف أن الصراع كان عربيًّا قوميًّا وليس إسلاميًّا عقائديًّا مع مواجهة اليهـود وكيف أن القوى الغربية - بريطانيا وأمريكا - حـالت دون ذلك وكيف أن الكيان الفلسطينى لا محالـة سـوف يتصادم آجـلاً أم عاجـلاً مهما كانت العراقيـل والقيود التى تضعها إسرائيل أمام السلطة الفلسطينيـة وكيف أن ذلك سيكون عاملاً مســاعدًا لتحرك الدول العـربية لمساندة الحق الفلسطينى بعـد أن يكون الجانب الغربى الأمريكى قد بـات غير عابئ بما يحدث على أرض فلسطين ، ومن هنا تكون النهايـة . وخلاصة فإن إسرائيل لن تدوم مهما طال بها الزمن إلى خمسة قرون (٥٠٠ عام) .

ثم كـانت الخاتمة وهى مـا استطعت التوصل إليـه من نتـائج علميـة تحليلية من خـلال فصول هذه الدراسة ، لأنها ثمـرة المحصول الدراسى الممتد من الفصل الأول إلى نهاية الفصل الثامن ، يجدها القارئ مركزة مصفاة فى هذه الخاتمة .

ونهاية أقول: الحمد لله رب العالمين الذى وفقنى لإتمام هذه الدراسة واضعًا أبوابها أمام القارئ الكريم لكى تتابع الأجيال وتعرف أن هناك أرضًا عربية فلسطينية تقوم عليها دولة إسرائيل، وأن يافا وحيفا والرملة واللد وعكا وأرسوف وأشدود والمجدل وعسقلان مدن عربية قبل التاريخ الإسلامى، وأن فلسطين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وصلاح الدين الأيوبى وقطز والأشرف خليل بن قلاوون لابد أن تعود عربية فلسطينية؛ لأن نقطة الدم لا تموت مع الأيام ولن تنساها الأجيال، ولأنها غير قابلة للعفن أو العطن فذلك هدى للأجيال القادمة على درب الحياة.

والله الموفق ونعم العون والسداد ...

دكتور

عبد الفتاح مقلد الغنيمى

القاهرة: ١٢ ذى القعدة ١٤١٦هـ

٣١ مارس (آذار) ١٩٩٦م

* * *



عروبة فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد

استقر الرأى العلمى على حقيقة ثابتة هى أن الحضارتين المصرية والعراقية هما أقدم حضارات العالم وأهمها وأن هاتين الحضارتين كانتا تلتقيان فى سوريا الكبرى وإن كان التأثير المصرى فى فلسطين وجنوب سوريا أكبر ، ومن الثابت تاريخيًا وأثريًا وأنثربولوجيًا أن جميع شعوب الشرق القديم كانت على صلة ببعضها ، وكانت التجارة قد عرفت طريقها بين هذه الشعوب ، كما أخذت الهجرات تتوالى بين هذه الأماكن حيث المنطقة الممتدة من النيل إلى ما بين النهرين ، وذلك منذ آلاف من السنين فى جنوب شرق البحر الأبيض المتوسط حيث ترك انحسار البحر البليوسينى أرضًا جافة تمتد من الأطلسى إلى الخليج حيث شقت فى تلك المنطقة أنهار النيل والأردن والعاصى والفرات ودجلة بمجاريها وتكونت وديانها . ومن هنا فإن كل هذه المنطقة التى تم فيها تكوين مصر والجزيرة العربية وفلسطين وسوريا وبين النهرين وأشوريا تجمع بينها وحدة جيولوجية وطبيعية ولا شك أن السهول والوديان الممتدة من ليبيا إلى إيران قد تمتعت بظروف متشابهة حيث أصبحت هذه المناطق سكنًا لأهالى الشرق القديم ولذلك فإن تاريخ الشرق القديم يدرس مبكرًا بضع آلاف من السنين عن ذلك التاريخ فى أية منطقة أخرى . وقد ظلت الظروف مواتية فى وادى النيل والفرات وما بينهما من بلاد ولذلك

نشأت أول حضـارتين رئيسيتين بين أهل مصر وكلـديا ولقـد وجـدت آثـار تعـود إلى مصر وفلسطين فى تاريخ سابق لعام أربعة آلاف قبل الميلاد .

ومن جهة أخرى فكل شىء يدل على أن فكرة تسرب عنـاصر هامة من آسيا وشبه الجزيرة العربية إلى مصر قد تم فى ذلك التاريخ وإنهم عبروا إلى فلسطين ثم سيناء .

ومن هنا فإن فكرة امتزاج المصريين بأهل الشام وبلاد ما بين النهرين تسلطت على عقول الأثريين وهم يستعرضون عصر ما قبل التاريخ ، وأن شعبًا قدم من الشرق قبل عام ٣١٠٠ق.م واستقروا فى وادى النيـل قادمين من الشـرق بعـد خروجهم من الجزيرة العـربية ، وأنهم عبروا وادى النيل وعلمـوا المصريين فن البناء بـالطوب وأدخلـوا الكتابـة والأختام الاسـطوانية على الآجر ، وعملـوا فى استخدام الـذهب والنحاس والبرونز ، وتتشـابه أنواع معينـة من الأسلحة والمبانى فى بلدة نقـادة بصعيد مصر وبلدة تيللون فيما بين النهـرين وأن كل ذلك يعود إلى أصل آسيوى قديم .

وقد أجاب غالبيـة علماء التاريخ القديم بأن البابليين العرب الذين كـانوا يعاصرون قيام الأسرة الأولى فى مصر قـد ظهـروا فجأة فى أواسط مـا بين النهـرين خـلال الألف الـرابعـة قبل الميلاد، ومن ثم فقد صارت مصر مركز الحضـارة فى العالم القديم كما أنها ترتبط فى نفس الوقت بين شاطىء شمال أفـريقيا وشبه الجزيرة العـربية وآسيا الصغـرى وقد ذكر كولين مـاكفيدى فى كتابه أطلس التـاريخ الأفريقى أن المصريين القدماء لم يستخدموا الـزراعة على نطاق واسع فى إنتاج الحبـوب إلا بعد أن استـوردوها من الخارج وذلك من شعـوب الشرق العربى ، وأنـه من حوالى خمسـة آلاف سنة قبل الميـلاد انتقل هذا الأسلـوب الجديد للـزراعة من وادى الأردن إلى وادى النيل أى من فلسطين إلى مصر أى من المنطقة التـى نسميها مثلث الحضارة القـديمة أى بابـل وسوريا واليمن ومصر ومـن ذلك نجد الشعير والذرة والقمـح والثيران والماعز والخراف توجـد على الفطرة فى غـرب آسيا فمن تلك المنطقـة انتقلت إلى الشرق العربى على التـوالى مع حضارات بابل واليمن ومصر .

وقد لخَّص رجال الآثار والتاريخ القـديم عن الشرق العربى القديم أن بلاد الشام ومصر وشمال أفريقية مرتبط بجنوب غرب آسيـا وجنوب البحر المتوسط بالأرض والجنس وأن سكانها تربط بينهم مجموعة صلات وأن الصلات استمرت مضطردة بين مصر وفلسطين واليمن وغرب

الجزيرة وأن التمازج والتزاوج والاختلاط بين هذه المناطق كان بصفة مستمرة وأن العرب كانوا منتشرين فى برزخ السويس وشبه جزيرة سيناء متجاورين ومترابطين بين فلسطين ومصر وهم آسيويون صميمون . وقد أثبتت قبور « أبيدوس » فى سوهاج بصعيد مصر والتى تعود إلى العصر النيولينى أن صلات تجارية متبادلة كانت قائمة بين مصر وفلسطين وقد ثبت أن صلات مباشرة أو غير مباشرة بين الدلتا وشمال سوريا وجنوبها كانت قائمة فى بداية العصر التاريخى مع هؤلاء العرب .

وقد بنى المصريون فى وادى طميلات وهو الطريق الجنوبى عبر سيناء إلى فلسطين نقطًا محصنة كما أقاموا معابد للإله « سبتو » Septu إله الشرق ، وكانت تماثيل الآلهة المصرية تعبد إلى جانب الآلهة المحلية فى الشرق العربى الآسيوى ، وكان فرعون مصر يعبد فى سيناء نقطة الصلة بين مصر وفلسطين فكانت هذه الوحدة الروحية تدعيمًا للوحدة السياسية ، ويتضح من قراءة حجر باليرمو : وصول أربعين سفينة محملة بأشجار أرز من لبنان فى عهد الملك سنفرو فى الأسرة الرابعةومما تقطع بقيام صلات تجارية مع المناطق الآسيوية التالية لسيناء .

ومن الثابت علميًّا أن هناك وحدة ملحوظة بين العناصر الأنثروبولوجية لأقوام فلسطين وما بين النهرين الذين يسمون عربًا وكنعانيين وفينيقيين وعموريين وكلدانيين وآشوريين ، كما أن هذه الوحدة ملحوظة أيضًا من لغاتهم .

وحوالى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد كانت هجرة الكنعانيين الذين حلوا غرب الشام وفلسطين بعد ٢٥٠٠ق.م ، وكذلك الفينيقيين وكان هؤلاء الكنعانيون أو الفينيقيون أول من نشر فى العالم نظامًا خاصًا للكتابة بالحروف الهجائية وبين سنتى (١٥٠٠ق.م-١٢٠٠ق.م) تسرب الآراميون السريان إلى فلسطين وشمال سهل البقاع الواقع بين جبل لبنان الشرقى والغربى ، وحوالى (٢٥٠٠ق.م) نزل الأنباط الأرض الواقعة إلى الشمال الشرقى من شبه جزيرة سيناء . ومن الآثار المصرية تبدأ معرفتنا فى أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد لأهل فلسطين وما بين النهرين حيث يبين بوضوح صورة العرب الذين من أصل سامى بحت والذين يسكنون الواحات والصحارى العربية سواء فى شبه جزيرة سيناء أو على الضفة اليمنى من النيل (جبال سيناء) أو المنطقة الجرداء بين مصر وفلسطين ، وكذلك ظهرت العناصر العربية القوية على شاطئ السهل الفلسطينى الذى كان يسمى إذ ذاك شبلاح

Shephelah . وفى منخفض نهر الأردن والعاصى بسوريا كانت تسكن أقوام من العرب الساميين الذين كانوا يسكنون شاطىء فلسطين وسوريا وإلى هؤلاء القوم ينتمى الكنعانيون الذين لم يظهر اسمهم إلا فى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد كما يؤيّد المؤرخ ماير Mayer والعموريون ثم انتشروا حتى وصلوا إلى كلوديا فى عهد مبكر ، وقد سمى هؤلاء باسم العرب منذ القرن الحادى والثلاثين قبل الميلاد . ومنذ ذلك التاريخ لوحظت الوحدة اللغوية التى ربطت بين لغات تلك القبائل فقد كانت تعود فى أصلها الصميم إلى اللهجات التى تحدث بها عرب شبه الجزيرة العربية وتحدث بها الكنعانيون والبابليون والآشوريون والآراميون . بل دفع البدو العرب قطعان ماشيتهم نحو مصر وقادوا قوافلهم عبر الصحارى شرق مصر طيلة آلاف السنين لا سيما أن السفن المصرية قبل نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد كانت تتردد على شاطئ البحر المتوسط الفلسطينى ، ولكن سكان هذه المنطقة لم يعرف عنهم شىء إلا من الآثار المصرية والكلدانية ، ولم يبدأ تاريخهم إلا مع الفينيقيين فى الشمال والفلسطينى فى الجنوب حوالى (١٢٠٠ق.م) ولم يطلق اسم فلسطين على هذا الجزء من الشرق القديم إلا بعد أن قدمت قبائل عربية تعرف باسم (فليستا) وهكذا فإن هذه المنطقة قد سكنتها الأقوام العربية الأولى القادمة من شبه الجزيرة العربية ، وهو الرأى الذى استقر عليه الرأى العلمى السليم وأن الجزيرة العربية تعتبر الوطن الأصلى للعرب الساميين .

وقد ذهب نصف المؤرخين إلى وجود السلالة الجنسية العربية السامية فى هذه المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى ولا سيما أن هناك اتفاق أن هجرة عربية خرجت من شبه الجزيرة حوالى عام (٢٥٠٠ق.م) أى بعد الألف عام على الهجرة الأولى ، وأن هذه الهجرة الثانية هى التى أحلت محل العموريين والكنعانيين والفينيقيين فى سوريا وسواحل البحر الأبيض الشرقية ، وأن علماء اللغات فى تاريخ الشرق القديم لاحظوا وجه الشبه بين لغات الآسيويين العرب الساميين الذين باتوا على صلة مستمرة بمصر منذ فجر التاريخ ، ولا جدال فى أن الكنعانيين من القبائل العربية الكبيرة والقوية التى سكنت فلسطين واستوطنتها منذ ٢٥٠٠ عام قبل ميلاد المسيح وأنها صبغت تلك الديار بالصبغة العربية التامة وأن هذه القبائل قد انصهرت مع من سبقها من قبائل عربية مهاجرة من شبه الجزيرة العربية ومن بلاد الرافدين ، حيث كانوا يشكلون غالبية السكان إضافة إلى إخوانهم الفينيقيين الذين سبقوا إلى الشمال قليلا من فلسطين وبالتحديد فى الساحل السورى للبنان وأن ظهور الجفاف

فى شبه الجزيرة العربية تعزى إليه الهجرة العربية السامية التى اندفعت منذ منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد أى حوالى (٣٥٠٠ قبل الميلاد) لا سيما قد ذهب كثير من العلماء والجيولوجيين أن نجد هى منبع الهجرات العربية السامية وأن منطقة البحرين هى منبع هجرة الفينيقيين وغيرهم إلى تلك المنطقة ، وقد ذهب آخرون إلى أن شبه الجزيرة هو المنبع الذى تدفقت منه الهجرات العربية إلى تلك المناطق فى فلسطين ولبنان وسوريا ، ولقد تم ضم فلسطين وبلاد الساحل تحت حكم الأسرة العربية الآكادية التى خرجت من مدينة آكاد ونجحت فى مد سطوتها ، واستطاع سارجون ملك آكاد حوالى عام ٢٨٥٠ق.م أن يؤسس مملكة فى مناطق كثيرة من شبه الجزيرة العربية كمدن سومر وآكاد ووسط الفرات وشاطئ سوريا حيث كان الوصول إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط سهلاً ميسورًا ولا يتردد علماء تاريخ الشرق العربى القديم بأن سارجون الملك الأكادى العربى قد ضم سوريا وفلسطين إلى دولته لفترة طويلة ، وقد دلت الألواح فى تل العمارنة بمحافظة المنيا بصعيد مصر على أن الملك سارجون وصل إلى لبنان وغزا بلاد العرب العاموريين ، وتابع أحفاده سياسته فى ضم البلاد العربية تحت لواء وحدة سياسية حوالى عام ٢٧٦٨ق.م ، فمن هنا فمما لا شك فيه أن هناك دولة عربية سامية ضمَّت فى الثلث الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد كل بلاد الهلال الخصيب بما فيه فلسطين وأن كل تلك الأراضى المطلة حتى موانئ البحر الأبيض المتوسط كانت تسكنها أقوام عربية سامية امتزجت مع عناصر أثمر عنها ظهور الكنعانيين . ولقد كان امتداد الدولة التى أنشأها سارجون إلى أراضى الكنعانيين سببًا فى سياسة الامتزاج مع العرب القادمين من بلاد ما وراء النهرين ، وقد ظل الكنعانيون والعاموريون طيلة خمسة قرون يختلطون مما أدى إلى قيام امبراطورية عربية سامية .

وفى حوالى (٢٨٠٠ق.م) استعادت الامبراطورية العربية حدود الدولة الأكادية فامتد حكم البابليين إلى كنعان فى فلسطين ودمشق وآكاد ، ولقد كان لهذه الفترة من تاريخ العرب أهمية خاصة فى الوحدة العربية فى ظل حكم حمورابى ، لا سيما أن حمورابى كان ملكًا على بابل (٢٠٠٠ق.م) وقد كشفت الأبحاث الأثرية الحديثة أن حضارة كنعان كانت تمتد من غزة جنوبًا إلى رأس شمر شمالاً - أغاريت شمالا - وأن اللغة والديانة والحضارة كانت واحدة فى هذه البقاع . وقد أقام إبراهيم أبو إسماعيل جد العرب فى الطرف الجنوبى من بلاد فلسطين وله دلالة كبيرة فى أصل العرب وتبين قصة إبراهيم ، ومما يقطع بانتقال إبراهيم وإسماعيل إلى مكة

وبناء الكعبـة ما ورد فى سـورة آل عمران وكذلك مـا ورد فى سورة البقـرة . وهناك إجماع فى آراء المؤرخين على أنه بعد أن تم بناء البيت الحرام عـاد إبراهيم إلى فلسطين وأقام إسماعيل فى مكة . ولقد أجاب بعض الذيـن انكبوا على دراسة تاريخ وحياة سيدنا إبـراهيم على هذا بقولهم : ربما كان فى المفاجآت عند بعض الناس أن يقول لهم : إن إبراهيـم عليه السلام كان عربيًّا وأنه كان يتعلـم اللغة العـربية ، ولكن ليس بالبداهـة أنه كان يتكلـم العـربية التى نتكلـم بها ، ونكتب بها اليوم ، إنما اللغة العربيـة الحالية تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد . وأما اللغـة العربية المقصودة فهى لغة الأقـوام التى كانت تعيش فى شبه الجزيرة العـربية وتهاجر منها وإليهـا فى تلك الحقبة ولقد كانت لغة واحدة من اليمن إلى مشارف العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء وأن إبراهيم كان يتكلّم بلغة يفهمها جميع السكان فى كنعان (فلسطين) وبلاد النهرين .

ولقد كانت فلسطين أثنـاء حكم ملوك الدولة الحديثـة فى الأسرة الثانية عشرة تحت حكم الفراعنـة ، وأن الصلات السياسيـة والتجارية مع الآسيويين سلكت طـرقًا عدة منهـا الطريق البحرى الذى يصل بين الـدلتا وميناء جبيل على شاطئ البحـر الأبيض المتوسط الشرقى مرورًا بفلسطين ، ومن هذه الموانئ الشرقية التى شهدت فيما بعد عظمة الفينيقيين كان يصدر الخشب من لبنـان كما كانت منتجـات الأراضى الـداخلية ومنهـا طريق القـوافل المـار بغزة وشـاطئ فلسطين وكانت سوريا على صلات مستمرة بمصر حوالى منتصف عهد الملك سنوسرت الأول (١٩٥٠ق.م) وبعد فترة من الزمـن كانت سياسة مصر التى أملت على المصريين سيـاسة كان يجب تنفيذهـا وهى إنشاء امبراطورية فى الشرق العـربى تضم فلسطين وسوريا وجنـوب غرب آسيـا وكانت تلك هـى رسالـة الأسرة الثـامنة عشرة (١٥٨٠ - ١٣٢١ق.م) والتى امتـدت بها الدولـة المصرية إلى فرع الهلال الخصيب الذى يمتـد من الفرات إلى برزخ السـويس وتمت فيها الـوحدة المصريـة السوريـة وقام المصريـون بتحقيق المشروع الضخم وهـو إنشاء وحـدة تضم الشرق الأدنى كله أو الشرق العربى .

وتحققت وحدة مصر مع أقطار من الشرق العربى ، ودخل فى طاعة هذه الدولة أهل دولة معين التى كانت تقوم فى جنـوب شرق شبه الجزيرة العربية وحـدث أن اجتاز المصريون فى ١٩ أبريل ١٤٧٩ق.م وصلـوا غزة ثم وصلوا بعـد إلى مجدوا وكذلك وادى العـاصى فى قلب لبنان وشملت الوحدة المراكز الاستراتيجية التى تتحكم فى الهلال الخصيب .

وهكذا قامت وحدة طوال قرن من الزمان (١٤٦٠ - ١٣٦٠ق.م) وذلك فى عهد تحوتمس الثالث وذلك استجابة لدواع طبيعية تربط بين شعوب هذا الشرق وفى عهد أمنحتب الثالث وفى بدء (١٣٨٠ - ١٣٦٢ق.م) فكر أمنحتب الثالث فى أن يجعل فلسطين وسوريا ولايتين تابعتين لمصر . وقد عمل ملوك مصر على توثيق عرى الوحدة مع حكام ذلك الجزء من الشرق العربى تدعيماً للروابط السياسية وتدعيم المصالح التجارية لا سيما أن رسائل تل العمارنة تشير إلى رؤساء المدن العربية الآسيوية ، وأن هؤلاء الأمراء لم يكونوا مصريين بل كانوا ممثلين للأسر العربية السامية الحاكمة فى المنطقة ، وأن الوحدة كانت بين مصر وكنعان وسوريا وأن هذه الشعوب كانت جميعها ملتقية فى الحضارة المصرية ، وهكذا فإن وحدة الشرق العربى فى عام ١٥٠٠ق.م أصبحت حقيقة تاريخية وأنها كانت نوعًا من التعاون بين الدول وأن يصبح العالم العربى وحدة مستقلة متواصلة لم يكن هناك غير الشعب العربى الذى يسكن تلك المناطق منذ خروجه من الجزيرة العربية منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد فى شكل موجات بشرية تدفع بها شبه الجزيرة العربية على أطرافها شرقًا وغربًا وصبغة لهذه الديار بالصبغة العربية التى كانت فلسطين قلبها العربى امتداد شمالاً إلى سوريا وغربًا عبر سيناء إلى برزخ السويس وصولاً إلى مصر وشمال إفريقيا وبذلك يتأكد تاريخنا دون الدخول فى تفاصيل أنثروبولوجية أو أروكيولوجية . إن فلسطين عربية منذ ذلك الزمن البعيد وأن القدس مدينة قديمة يرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وربما (خمسة قرون) وقد سميت خلال هذا التاريخ الطويل بعدة أسماء أقدمها أورسالم Urusalim وهى كلمة قديمة أطلقها عليها أقدم سكانها العرب الكنعانيون (اليبوسيون) وهؤلاء اليبوسيون قبيلة عربية من أشهر عشائر العرب الكنعانيين عاشت فى فجر التاريخ فى جزيرة العرب ثم رحلوا إلى فلسطين وأسسوا هذه المدينة واتخذوها عاصمة لهم حوالى ثلاث آلاف قبل الميلاد . واستوطنوا بها ودعيت بهذا الاسم نسبة إلى زعيمها يبوس وتتكون من مقطعين « أورو » وتعنى المدينة و « سالم » تعنى السلام وقدحرفها الأكاديون أورسالم وهم شعب عربى سامى مثل الكنعانيين استوطنوا أواسط بلاد ما بين النهرين وأسسوا فيها دولة قوية استمرت نحو قرنين (٢٤ - ٢٢ق.م) ، ويرى أحد الباحثين وهو فيليب حتى فى كتابه تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ترجمة كمال الباز فى بيروت ١٩٥٩م جـ١ ص ٧٢ أن اسم أوروسال مشتق من الكلمة الكنعانية يا وشاليم بمعنى « دع سالم يؤسس » وسالم هو اسم السلام عند الكنعانيين وقد عرفت بيت المقدس بأسماء أخرى فى

تاريخها الطويل مـدينة بيوس وهو الاسم الكنعانى العربى الذى أطلق على المدينـة عندما كان يحكمها الملك الكنعانى البيوس الملقب أبا الملوك .

كذلك يذكر أن عاهل مصر أمنحتب الثالـث الذى حقق للشرق العربى وحدته قد أنشأ فى فلسطين ربما فى مكان القـدس مدينة (خيتاتين) . ممـا يدل على أن إخناتون قـد تبين له أن شعوب الشرق العربى كانـت تعمل إلى تحقيق مصالحها السياسية والتجاريـة ، وأنه حاول حقًا أن ينفذ إنشـاء إمبراطوريـة عالمية ضخمـة عربيـة وكان فى ذلك يمتـاز عن الحاكمين العربيين (سارجون وحمورابى) اللـذين لم يدركا ما أدركه إخناتون مـن ضرورة قيام إمبراطورية فى الشرق العربى كانت فلسطين جزءًا وسطًا فى هذه الامبراطورية بل كانت صلة الربط بين مصر وأجزاء العـالم الشرقى العـربى ، وقـد حـدث أن قـامـت وحـدة عـربيـة فى عهـد حكم (سيتى الأول ١٣١٩ق.م) حيث ضم قـلاع فلسطين كنعـان ووصـل إلى حـوران شمالاً وضم مـوانئ شرق البحر المتـوسط لتكون قواعـد بحرية تمكنـه من ضم سوريا بأكملهـا . وفى عام (١٢٩٥ق.م) انتصـر رمسيس الثانى فى مـوقعة قـادش وتحقق أمـل مصـر فى تحقيق وحـدة تضـم أقطـار الشرق العربى .

وقد دامت وحدة الشرق العربـى الأولى نحو قرنين ونصف قرن (١٥٠٠ - ١٢٥٠ق.م) حيث حدث انـدماج بين المصريين وسكان تلك المنـاطق وانتقل العديـد من سكانها إلى مصر حيث ذابوا فى المجتمع المصرى مشكلين تيارات هجرة بشريـة حيث ازدادت حركة هجرة هذه العناصر مرورًا بفلسطين فى القـرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ومنذ منتصف القـرن الثالث عشر قبل الميـلاد ساد الاضطـراب مصر ، ولكن العنصر العـربى كـان يضفى طـابعه فى أثنـاء ذلك الاضطراب فقد تـولى الحكم فى مصر أحد الأمراء الكنعانيين كما تمكن بعض البـابليين من بناء مدينـة على مقربة من ممفيس أسموهـا بابل وقد ساعـدت عوامل خارجية على إضعـاف النفوذ المصرى فى فلسطين فى تلك الفترة فى نهايـــة عصر الأسرة الثـامنـــة عشر لا سيما عنـد ظهـــور العناصر الآريـة غير الساميـة العربية وقـد تولى الكنعانيـون والبابليـون حكم بعض المناطق فى مصر لكنه انتهى فى بداية حكم رمسيس الثالث (١٢٠٠ - ١١٦٩ق.م) حيث كان آخر ملوك مصر العظـام حيث استطاع هـذا الحاكم المصرى أن يحافظ على عروبـة الوطن العـربى لا سيما عنـدما تبين ظهـور هجرات الشعـوب الأوربية إلى سـوريا فسـارع الأسطول المصرى إلى أحـد

موانئ سوريا كما سارعت الجيوش المصرية إلى وقف الزحف الأجنبى الأوربى وأنقذت مصر فلسطين وسوريا ولبنان من هذا الغزو وأعادت بالقوة أقوام البحر كما كان الأوربيون يسمون إذ ذاك إلى جزرهم وإلى إيطاليا وكانت نتيجة تلك الحملة المصرية (١١٩٢ق.م) أن أعيدت وحدة كنعان التى كانت فلسطين (أرض شبلاخ وزاهى) مع مصر . وفى ورقةالبردى المعروفة باسم (بردية هاريس) إشارة إلى معبد أقيم لرمسيس الثالث وآمون فى إحدى مدن زاهى بأرض كنعان وقد استقرت قبيلة بوليستو العربية Pulestiu التى اتخذ منها اسم فلسطين فى أرض شبلاخ وفى المنطقة الساحلية كغزة وسميت منذ ذلك الوقت باسم فيلستيا Philistia التى جاء منها اسم فلسطين فهل بعد كل ذلك السرد التاريخى منذ القرن الرابع قبل الميلاد وصولاً إلى القرن الثانى قبل الميلاد مرورًا بحركة القبائل العربية المهاجرة والمستقرة فى فلسطين والمرتبطة ارتباطًا وثيقًا فى شكل وحدة الشرق العربى مع مصر أو مع سوريا حيث كانت فلسطين تشكل خط الدفاع الأول عن مصر ، ولم تكن سيناء بوابة مصر الشرقية بل كانت فلسطين هى بوابة مصر الشرقية حيث كانت فلسطين منذ قديم الزمان تأخذ اسمها من القبيلة العربية Pulestiu أو Philistia وأن لفظ « شاسو » الذى كان يطلقه المصريون على البدو هم العرب الذين كانوا يسكنون صحراء (شو) وهى الصحراء التى تقع بين مصر وفلسطين فى حدود مصر الشرقية وهم الذين علموا المصريين استخدام الجمال .

ولقد ظلت فلسطين فى قلب الأحداث العربية لا سيما بعد أن كانت تنقل البضائع من منتجات الفينيقيين الصناعية فى صور وصيدا وبيروت وجبيل حيث انتقل مركز القوة والثقل من الشرق العربى إلى قوة عربية جديدة غير مصر هى الفينيقيين وهم عرب ساميون هاجروا من الخليج العربى جنوب شرق الجزيرة العربية إلى شمالها الغربى ، وكانت مصر فى ذلك الوقت تواجه خطر تسللات ليبية فى العام الحادى عشر لحكم رمسيس الثالث لا سيما وقد استقرت هذه الهجرات فى غرب الدلتا باعتبار أنهم مواطنين مصريين حيث تم اندماج الليبيين فى القومية المصرية تحت حكم وحدة الجنس والثقافة وفى ذلك الوقت عاد العرب أهل شمال الجزيرة العربية يحملون رسالة تحقيق وحدة الشرق العربى فى شمال سوريا واستقر الفينيقيون العرب على الساحل وفى الداخل كان بدو الصحراء الأراميون العرب الذين تبادلوا الصلات مع المصريين وتجمعوا فى المدن وأنشأوا حكومات تبادلت علاقات دبلوماسية مع الدول المحيطة وأصبحت قواعد البحرية السامية صور وصيدا وجبيل موانئ تجارية لهم .

وفى ١٠٠ ألف قبل الميلاد استطاع الفينيقيون بواسطة تبسيط اللغة الهيروغليفية أن ينشئوا أبجدية للكتابة وفى داخل البلاد استطاع الأراميون العرب أن يبسطوا سيطرتهم وكونت ثلاث دول عربية هى (دمشق ، زويا ، حما) وأن تلك الدول الثلاث استطاعت أن توقف تقدم الأشوريوين طيلة ثلاث قرون . وقد اقتبس الأراميون من الفينيقيين أبجدية انتشرت فيما بعد فى سائر أقطار الشرق العربى ، وحلت محل اللغة الهيروغليفية المصرية وغيرها من اللغات ، حيث استطاع الأراميون الفينيقيون العرب منذ القرن السابع قبل الميلاد (٧٠٠ق.م) أن ينتزعوا السيادة التجارية وعملوا على تنفيذ خطة تحقيق وحدة الشرق العربى ، حيث أنشأوا دولة تجارية عربية فى شرق البحر المتوسط .

وهنا نضع الدليل القوى البارز على عروبة فلسطين منذ أقدم الأزمنة حيث أنه فى جنوب سوريا كانت المنطقة الساحلية فى أيدى « الفلسطينيين » أى أبناء القبيلة العربية فيلستيا الذين استقروا وكانوا قبائل عربية ساحلية وليسوا شعوب بحر متوسط قادمين من بحر إيجه كما حاول أن يصور ذلك بعض الباحثين الأوربيين الذين يريدون أن يعيدوا كل شىء إلى أوربا . المهم أن تلك القبائل أسست خمس مدن بعد الاستقرار النهائى ، أهمها غزة فى الساحل وأشدود فى الداخل حيث كان الكنعانيون العاموريون العرب إذ ذاك لا زالوا يحكمون تلك الأراضى العربية كما أن الفلسطينيين تقدموا حوالى (١١٠٠ق.م) إلى شواطىء الأردن وأخضعوا الشعب الذى سكن تلك المناطق ، وكان الكنعانيون قد اتخذوا القدس عاصمة لهم ولكن ششنق الأول ملك مصر الليبى الأصل أعاد القدس إلى السيادة المصرية عام (٩٢٥ق.م) وساهم فى تمزيق بعض القبائل التى تسكن بالقرب من المدينة وكان ملوك نينوى ، فيما بين النهرين ، قد استعادوا الأرض التى تقع بين نهر الفرات ونهر العاصى والتى تتحكم فى طرق الهلال الخصيب ثم ضموا تلك الموانى التى كانت تخضع للفينيقيين وتم ضم دمشق فى عام (٧٣٢ق.م) ومن ثم عادت القوة إلى الأشوريين الذين استطاعوا بقيادة اسرحدون (أشوراضى الدين) عام (٦٧١ق.م) أن يضموا الدلتا كما استطاعوا بقيادة أشور بانيبال ، عام (٦٦٨ق.م) أى بعد ثلاث سنوات أن يضموا مدينة طيبة وبذلك تحققت وحدة الشرق العربى بما فيها فلسطين طبعًا ؛ لأنه ليس من المعقول أن تسقط دمشق ومصر بدون أن تكون مدن فلسطين قد وقعت تحت الحكم الآشورى ولكن الهجرات العربية السامية كانت لا تزال تتدفق من الجزيرة العربية نحو حدود الدولة الآشورية العربية لا سيما بعد أن سيطر البابليون العرب الذين كانوا يسمون

سـابقًا الكلـدانيين وسميت منـذ ذلك الوقت كلـديـا ، وسقطت « نينوى » عـام (٦٠٦ق.م) وبذلك انتهى الوجود الآشورى السامى ، وحل الكلدانيون فى السيطرة على العالم العربى طوال ثـلاثـة أرباع القـرن (٦٠٦ - ٥٣٩ق..م) محل الأشـوريين ، واستعـادت بعد نحـو ألف عـام مكانتها كعـاصمة للعالم العربى السامى واستطاع ملكهـا العربى « بختنصر » الثانى أن يحطم مدينة القدس التى كانت أصلاً عربيـة واستقرت بها بعض القبائل المهاجرة بلا وطن ولا مأوى عام (٥٩٦ق.م) وأن يتم تهجير ونقل أهلهـا إلى بابل ، وهناك ذابت هذه العنـاصر الدخيلة فى شتى أقطار الأرض القـديمة بها أصبحوا جزءًا مـن شعوبها ، ولم يعد الطابع العقـائدى مظهرا على وجودهم وهكذا وضع بختنصر الثانى حدًا نهائيًا لهذا الوجود الذى لم يكن إلا عابرًا للديار العربية ولم يكن له وطن فى مصر أو فلسطين أو مكان يستقر فيه ، وتلك طبيعة القبائل البدوية التى هـزمهـا بختنصر فى مدن بـابل المختلفـة ، لكن الـذى ينظر إلى أفعـال بختنصر وتـاريخ البابليين والآشوريين يدرك مدى قدرة هذه الشعوب العربية التى بلغت فيهم العبقرية إلى حد بعيـد حين أدركوا خطـر هـذه القبائل فكـانت تصفيتهـا فى فلسطين ، ومن ثم ساد الاستقـرار أنحاء هذه الامبراطـورية لا سيما أن أشور العربية قـد بلغت فى خلال النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد أوج عظمتها فاندفعوا غربًا نحو فينيقية وهناك ركبوا البحر ووصلوا إلى مصر ثم جاءت بعدهـا بابل العربية لتمارس دورهـا الامبراطورى نحو ثلاثة أربـاع القرن (٧٥ سنة) كانت فى تلك الفترة قوة عالمية مرهوبة الجـانب ثم لعبت بابل دورًا هامًا بارزًا فى عهـد بطلهـا « نيوبونصر » وبختنصر ، لكن القوة العربية عبر تاريخها الطويل لم يقدر لها الاستمرار فى حكم تلك الديار حيث خرجت القوة الفارسيـة قادمة من وراء الخليج عام (٥٣٩ق.م) لتسقط بابل وتنسـاح فى الأراضى العـربية وبـذلك دامت وحـدة الشرق العـربى الثانيـة قرنًـا وربع قـرن (٦٦٨- ٥٣٩ق.م) عنـدما غـزا الفـرس الشرق العـربى وصـولاً إلى مصـر وانهارت هـذه الوحدة العربية .

ومن ذلك يتضح لنا كيف أن أول إنسان تحرك على أرض فلسطين واستقـر بها منذ عصور ما قبل التاريخ بل منذ العصر الحجرى القديم وربما أوائل العصر الحجرى الحديث كان إنسانا عربيًا قادمًا فى حركة الهجرة من الجزيرة العـربية ، وأن حركة الهجرة هذه بـدون مبالغة تعود إلى عهود سحيقة فإن صلات السلالة والدم مرتبطة مع شمال الجزيرة العربية وفلسطين إلى عصور قديمة منذ العصور الجيـولوجية القديمة وأن الحركة كانت سهلة ميسـورة جدًا فى حركة الأفراد

والجماعات التى كانت تتجول فى تلك المناطق عندمـا تلتقى بلاد العرب بفلسطين وشبه جزيرة سيناء حيث كان لقاء العرب دائمًا وأن تلك الهجرات كما جاء فى عنوان هذا الفصل فى الدراسة « عروبة فلسطين منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد » .

حيث كانت منطقة الجزيرة العربية بسكانها خزان هائل كانت تدفع بسكانها فكان ذلك يؤدى إلى خروج العرب عن جزيرتهم فى شـكل هجـرات أو موجات متعاقبة فكانت الهجرة إلى فلسطين وبـلاد الشـام وبـابل حيث اختلط هـؤلاء العرب وسكنـوا تلك المنـاطق وصبغـوهـا بالصبغة العربية منـذ الأزمنة القديمةولقد ظل الكيان العربى فى مراحله التـاريخية ممتدًا حافظًا لفلسطين عروبتها وشخصيتهـا مع أبناء عمومتها الأشـوريين والبابليين والكلدانيين والمصريين والفينيقيين ، حيث كـانت السلالـة الفلسطينيـة الكنعانيـة هى القبيلـة العربيـة التى انطلقت لتسكن هذه الديار ، حتى استطـاعت القبيلة العربية Philistia التى جاء منهـا اسم فلسطين والتى هى فرع من الكنعـانيين وكان ظهور هـذا الاسم بشكله الحالى منذ عهـد رمسيس الثالث (١٢٦٩ - ١٢٠٠ق.م) لكن هـذه القبيلة العـربية استقـرت فى غزة وأشـدود وكونت لها مـدن هامـة لعبت دورها فى الحيـاة السياسيـة والاقتصاديـة والاجتماعية ، ومـارست نشاطهـا الثقافى والحضارى وشاركت الممالك العربية فى الشمال حيث سوريا وفى الجنوب الغربى حيث مصر ، وارتبطت ارتباطًـا عضويًـا مع تلك الديـار فى شكل وحدة عربيـة ظلت قائمـة عبر السنوات الطويلـة ، فرغم القضاء على هذه الـوحدة العربية تحت ضربـات الفرس فى النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد .

وبهذا نكون قـد ألقينا الضـوء على عروبـة فلسطين قبل الميلاد حيث كانـت تلك القبائل والمدن والحكومـات عربية صرفة فى صـورة مسميات قديمـة كالفراعنة والكنعـانيين والبابليين والأشوريين والفينيقيين والعموريين وغيرهـم والجميع كانوا عربًا .

ونقول : إن نجاح حـزب الليكود فى صورة رئيس وزراء إسرائيل الجديد بنيامين نتـانياهو بعد انتخـابه رئيسًا لوزراء إسرائيل لمدة أربـع سنوات قادمة (١٩٩٦ - ٢٠٠٠م) ومـا ظهر من تشدد فى حملته الدعاية الانتخابية ورفعه شعارات نارية متطرفة ورفضه قيام دولة فلسطين وحق العودة للاجئين الفلسطينيين وأبدية القدس عاصمة لإسرائيل وعدم التقسيم وعدم الانسحاب من الجولان وأنه بـاستطاعته تحقيق السلام دون تنـازلات ، فإن كل ذلك لابد أن يواجه بـوحدة

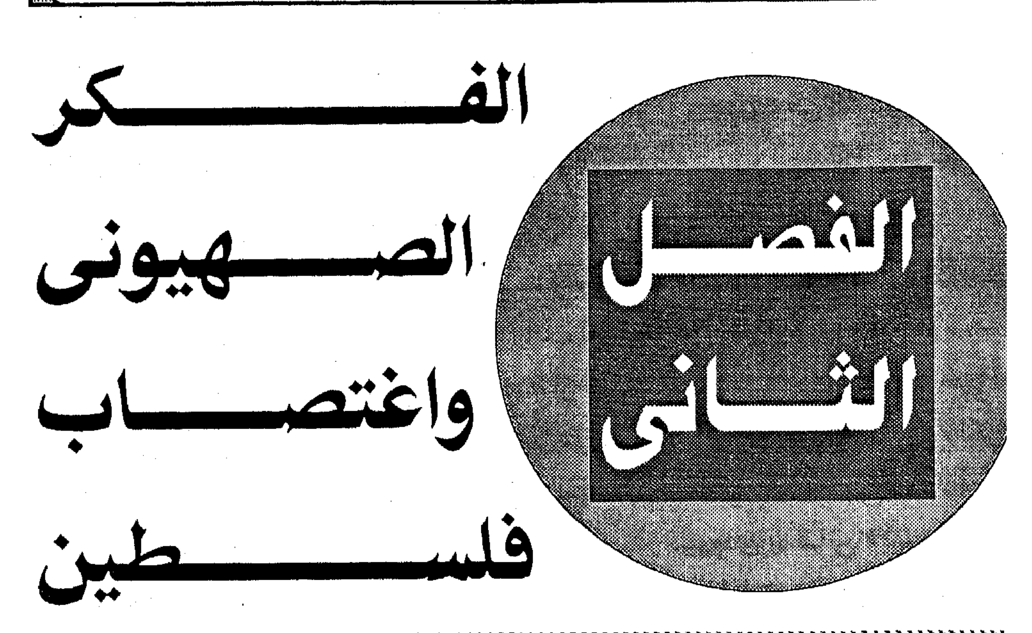
الصف العربى والدور الفعّال القوى والفاعل فى المنطقة العربية بقيادة مصر ورئيسها محمد حسنى مبارك وعقده عدة قمم عربية مصغرة (لقاء مبارك مع معمر القذافى - لقاء الرئيس مبارك مع حافظ الأسد مرات متكررة - قمة العقبة بين مبارك - حسين - عرفات) لقاء الرياض بين (مبارك - الأسد - فهد) وغيرها من اللقاءات للعمل على وحدة الصف العربى . إن تشدد بنيامين نتانياهو وموقفه من العرب لن يكون إلا دعوة لوحدة الصف العربى والتقارب العربى .

لقد سألنى أحد الصحافيين صباح الأربعاء ٥/ ٦/ ١٩٩٦ عن حالة الزعر والفزع التى تنتاب العالم والعالم العربى بصفة خاصة بعد نجاح نتانياهو فى الانتخابات الإسرائيلية وقيامه بتأليف الوزارة وتوليه السلطة ، فكان ردى عليه : أن هناك كتاب سوف يصدر بعنوان (إسرائيل إلى زوال) ، ولأن يكون نتانياهو بتشدده أو عدمَ إدراكه للقدرة العربية التى تظهر وقت المحن والشدائد لتحافظ على الوجود العربى ولن يكون قدوم نتانياهو إلا ورقة للتضامن العربى والوحدة العربية والسوق العربية المشتركة . إن الوجدان العربى يدرك الحاجة إلى وحدة الصف والصمود والتصدى للتشدد والغطرسة والجيل الصابرا فى إسرائيل ، لأن التحرك العربى عندما يتوحد سيكون قوى ويكون هناك أمل فى التأثير على صانع القرار فى إسرائيل .

وعجبًا أقول كأن عالم اليوم ليس به إلا دولة إسرائيل وأن الأمور العالمية رهن بانتخاب بنيامين نتانياهو رئيس الحكومة الإسرائيلية وما يقرره من أحكام بشأن الموضوعات التى صرح بها ، لكن له الحق فقد أعطوا له العرب هذه الفرصة ولو أن العالم العربى تدارك مايواجهه من تحديات منذ قيام إسرائيل عام (١٩٤٨ - ١٩٩٦م) لكان الحال غير الحال ولكن الفرقة والتمزق وعدم القدرة على مواجهة الصعاب جعلت بنيامين نتانياهو يقول مايقول ، ولن نقول له إلامـاجاء عبر سطور هذه الدراسة بفصولها الثمانية فهل يدرك الإسرائيليون ماحوته هذه السطور .

* * *





فى عام ١٦١٦م صدر كتاب بعنوان « نداء اليهود » لـ « هنرى فيننش » والذى دعى إلى
ناء وطن مؤقت لليهود تمهيدًا لتأسيس إمبراطورية عالمية واسعة الأرجاء ، ثم فى القرن التاسع
ر وبالتحديد فى عام ١٨٣٤ فكر موسى حاييم مونتفيور Moses Haim Montefiore وكان
قام بزيارة فلسطين فتبين أن عدد اليهود فيها فى ذلك الوقت لا يزيد عن ثلاثة آلاف متفرقين
العديد من المناطق منها الجليل وطبرية والقدس وسياط وغيرها من المدن الأخرى وقد كان
د الأسر اليهودية فى فلسطين عندما فتحها العرب عام ١٩هـ/ ٦٣٩م لا يزيد عن خمسة
ريبلغ تعدادهم حوالى ٢٨ ثمان وعشرين فردًا . وكان موسى قد سافر مرة ثانية عام ١٨٣٨م
ب مذكراته بعد أن كان قد قابل الوالى المصرى محمد على وكان قد عرض عليه أن يؤجره
ما لكن مصر رفضت مشروع « موسى مونتفيور » لكنه عام ١٨٤٥م بعد تقليم أظافر محمد
، وتدخل الدول الأوربية للحُد من طموحاته استطاع هذا الشخص اليهودى أن يحصل على
تغلال أراضى فى فلسطين عهد باستغلالها إلى خمس وأربعين فردًا يهوديًا . وفى عام ١٨٧٠م
ل النشاط اليهودى من انجلترا إلى روسيا حيث أخذ الروس منذ عام ١٨٧٨م يسعون
ظيم الهجرة إلى فلسطين . وفى نفس الوقت أسست جمعية أوسع نطاقًا من اليهود الروس

أطلقوا على أنفسهم اسم « محبو صهيون Hovevei Zion . وفى عام ١٨٩١م قام يهودى روسى كان قد هاجر إلى فلسطين بالعمل على بعث اللغة العبرية ويجعلها من اللغات الحية التى يتفاهم بها اليهود وتم وضع قاموس لهذا الغرض .

وفى نفس الوقت أخذ التطلع إلى إنشاء وطن قومى لليهود يأخذ بعدًا للتنفيذ ، حيث تم اختيار الأرجنتين كأفضل دولة يتم فيها إنشاء وطن قومى لليهود ، لكن المشروع الأرجنتينى حورب من جانب القلة اليهودية فى فلسطين وذلك للإجهاز على هذا المشروع وفى عام ١٨٩١م تحرك اليهود الروس لتأليب القوى اليهودية فى أوربا ضد مشروع الأرجنتين لا سيما أنهم استخدموا من كبار رجال المال اليهودى سيفًا على رقاب الذين نادوا بهذا المشروع . لكن فى وسط الخلافات الدائرة بين أصحاب المشروع الفلسطينى والمشروع الأرجنتينى نجد فى عام ١٨٩٦م صدر كتاب « تحرير اليهود بواسطة اليهود » صدر لليهودى الألمانى « ثيودور هيرتزل Theodor Herzel » وكتاب آخر له باسم « الدولة اليهودية » . والذى ينظر إلى فكرة اغتصاب أراضى أى دولة سواء فى الأرجنتين أو أوغندا أو كينيا أو سيناء المصرية أو فلسطين .

وكانت أفكار تختمر فى رءوس بعض اليهود منذ القرن السابع عشر ، لكن الفكرة بدأت تأخذ وضعًا جديدًا مغايرًا للأفكار السابقة بعد أن أصدر ثيودور هرتزل كتابه « الدولة اليهودية» ، حيث بدأ هذا الرجل يتخذ خطوات فعلية لإنشاء دولة يهودية حيث وضع هدف إنشاء شعب متحد فى أرض يكون لليهود على هذه الأرض سيادة بحيث تكون هذه الأرض خالصة لليهود ومما يدل على أن الفكرة اليهودية قامت على اغتصاب أراضى الغير ولم تكن تحمل أدنى مضمون دينى أو فكر لاهوتى يهودى ذلك ؛ لأنه عندما زار هيرتزل معبد اليهود فى صوفيا عاصمة بلغاريا عام ١٨٩٦م قال له الحاضرون : أدر ظهرك للمحراب فإنك أقدس من التوراة ووضع هرتزل فلسطين فى فكره وتمت مقابلات مع السلطان العثمانى عبد الحميد الذى رفض الفكرة ؛ لأن أرض فلسطين ملكًا لشعبها وليس ملكًا للخليفة ولكن فكرة استعمار فلسطين بواسطة مزارعين يهود بدأت تظهر لحيز التنفيذ منذ عام ١٨٩٧م بعد عقد مؤتمر «بال» فى « سويسرا » . وكان أن تم الاتفاق على اقتطاع بقعة معينة من الأرض فى فلسطين ، وقرروا أن يهاجر من أوربا إلى فلسطين عدد ما بين ثلاثة إلى أربعة ملايين يهودى فى مدة لا تجاوز بضعة أعوام بمعدل لا يقل عن ربع مليون يهودى سنويًا .

ولقد كان للامبراطـور الألمـانى موقف فى مساندة سلطان تـركيا ضد المشروع الصهيونى ؛ لأن ألمـانيا كـانت تتجه إلى مسالمة الإسـلام والأتراك ومساعدة سلطـان تركيا على هـذا مما دفع هيرتزل وحزبه للهرب من فلسطين خشيـة أن يتم الاعتداء عليهم . وفى عام ١٩٠٢م بعد ست سنوات من إصـداره كتابـه أدرك فشل موافقة تـركيا على المشروع وكـان أن ولّى نظره إلى انجلترا وكان أن اقترح عليـه أن يتم إنشاء وطن قومى فى قبرص ولكن ذلك يثير ثـائرة أهالى قبرص من الأتراك واليونـانيين ، ولكن هيرتزل اقترح منطقة العريش المصريـة المتاخمة لفلسطين ولاحظ أن هنـاك اقتراحات عـدة منهـا (الأرجنتين وقبرص والعريش فى سينـاء مصر) لكن لـورد كرومـر المعتمد البريطانى فى مصر رفـض باسم الحكومة المصرية استعمار العـريش للمشروع اليهودى لاسيما أن المصريين رفضـوا السماح لليهود أن يستعمـروا فلسطين عـام ١٨٣٥م عنـدما كـانت فلسطين جزءًا من الدولة العربية المصرية .

وفى عام ١٩٠٤م عرض الإنجليز على هيرتزل قطعة أرض فى شرق أفريقية واقعة فى حدود كينيا على أن تكون مساحتها نحو مساحـة فلسطين ، لكن اليهود الذين كانوا تعدادهـم فى ذلك الوقـت يصل إلى ثمانية آلاف شخص رفضـوا هذا المشروع ؛ لأنهم رأوا أنه سـوف يتم تهجيرهم من فلسطين إلى كينيـا .. وقد انقسم اليهـود بعـد عام ١٩٠٤م حيث ظهـرت جماعـة معارضـة لإنشـــاء وطن فى فلسطين ورأت ضرورة البحث عن أرض غير فلسطين وكـــانت فكـرة هـــذه الجماعة استعمار برقة فى ليبيا وتزعم هـذه الحركة (إسرائيل زانجويل) وكانـت جماعته قد أطلقت على نفسـها Organisation Jewish Territorial (لاحـظ التفـكير فى الأرجنتـين ، وقـــبرص ، والعريش فى مصر وبـرقة فى ليبيـا وكينيا) ولا زال البحث جاريًـا حيث استعراض خمسـة بلاد لإنشاء وطن لليهـود التائهين غير فلسطين لكن الآراء كانت تتعارض بين الاتجاهـات المختلفة مما يثبت تحيـز كل جماعة لمكـان على حساب الآخـر ولكن هذه الجماعـات جميعها لم تستطع أن تظهر أدنى فكرة للتنفيذ من هذه الأفكار حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م .

والذى ينظـر إلى ما ذكرنـاه يدرك أن الصهيونيين لم يجمعـوا رأيهم على اتخاذ فلسطين وطنًا قوميًـا ، بل فـكروا فى أن تكون الأرجنتـين أو قبرص أو شـبه جـزيرة سيناء (العريش) أو كينيا أو برقـة وغيرها مما يقطع بأن المبرر لاختيـار فلسطين لا ينطلق من رؤية دينية أو تـاريخية بل أن

الاختيار تم بعد أن اتخذت الحركة الصهيونية طابعًا سياسيًّا كتمهيد لاستعمار فلسطين أو أية أراض من الأراضى المجاورة لها .

لكن ما كانت تسعى إليه الحركة الصهيونية هو إيجاد مكان وليس وطن لكى يهاجر إليه اليهود دون مطهد أو اضطهاد وإن كل ما كان يسعى إليه اليهودى هو أن يعيش فى فلسطين وأن يحصل على جنسية المواطن الفلسطينى . وقد استطاع اليهود بالهجرة إلى فلسطين خلسة وعن طريق التحايل أن يبلغ عددهم فى فلسطين حوالى ٦٠ ألف قبل نشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٩م) وأن هذا العدد قد قدم من مختلف أنحاء العالم لا سيما اليهود القوقاز فى روسيا وقد أحدث تزايد هذه الأعداد تحولاً جذريًّا فى تاريخ فلسطين ويرجع هذا إلى عدم عناية الإدارة العثمانية فى فلسطين بمراقبة قدوم اليهود إلى فلسطين لا سيما يهود إيطاليا وأسبانيا وفرنسا وألمانيا حيث كانت هجرة اليهود الغربيين أكثر من أية عناصر يهودية شرقية حيث أن اليهود الشرقيين الذين هاجروا إلى فلسطين لم يكن ليزيد عن مائة أو مائتين وهكذا فإنه لم يكن من بين الستين ألف نسمة الذين كانوا فى فلسطين قبل عام ١٩١٤م إلا عشرة آلاف نسمة من اليهود الشرقيين الذين كانوا فى فلسطين أو قدموا من العراق وكردستان أو سواحل بحر قزوين عند مصب نهر الفولجا حيث كان هؤلاء يمثلون طلائع الهجرة اليهودية الروسية الحديثة لا سيما أن روسيا كانت قد منعت دخول اليهود نهائيًّا إليها وذلك بعد أن تكاثر اليهود فى روسيا إلى المدى الذى أطلقت عليهم فى روسيا حظيرة اليهود Jewishpale .

وكان منتصف مارس ١٩١٦م قد شهد توقيع اتفاقية بين الحكومتين البريطانية والفرنسيةعرفت باسم اتفاق (سايكس - بيكو) مندوبى الحكومتين اللذين وقعاه وهما مسيو بيكو Picot أحد قناصل فرنسا السابقين فى بيروت والإنجليزى مارك سايكس Sykes أحد المتوفرين على دراسة الشئون الشرقية .

وفى عام ١٩١٧ نشرت صحيفة Times البريطانية بيانًا ذكرت فيه أن بريطانيا لا تعارض السياسة الصهيونية التى ترمى إلى إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، وفى ٢ نوفمبر ١٩١٧م صدر وعد بلفور وفى مارس ١٩١٨م تألفت لجنة برئاسة وايزمان تضم ممثلين من بريطانيا وقد ذهبت إلى فلسطين وكانت تتكون من ثلاثة يهود بريطانيين ويهودى فرنسى وثلاثة يهود إيطاليين ومعهم مراقب من الولايات المتحدة وذلك للوقوف على تنشيط حركة الهجرة إلى فلسطين

وفى٣يونيـة ١٩٢٠ عين المندوب السامى الإنجليزى اليهـودى الجنسية « هربرت جـامويل » فى فلسطين وبـدأ يمارس عملـه بتنفيـذ شروط انتـداب بريطـانيـا لإدارة فلسطين لكن بـدأ تنفيـذ الانتداب البريطانى لإدارة فلسطين فى سبتمبر ١٩٢٣م .

ولقـد استغل اليهـود مـا جبل عليـه العـرب والمسلمـون مـن تسـامح دينى وأفق وعمق حضارى عريق ، وما يذكره التاريخ كيف عاش أبناء الـديانة اليهودية فى ظل الدولة الإسلامية كمواطنين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، ولكـن سلب فلسطين وغزوها كما أشار تقريـر الأمم المتحدة عام ١٩٤٦م أن أمنية الحركـة الصهيونية التى تـرمى إلى غزو فلسطين إنما هى أمنيـة الشعوب التى تنحـدر إلى قبائل الخزر Khazar ولقد اعتنق الخزر اليهـودية فى عصور متأخرة ، ولم يكن لهم أدنى صلة بفلسطين ولم يكن بينهم يهود ممن تمت أصـولهم إلى يهود موسى أو أسلافهم فالخزر شعوب آسيوية لا تنتمى على الإطلاق للسامية بدليل أنهم يشكلون عناصر بولندية ورومـانية وروسية وأكرانية ولتوانية وغـالسية وهى من الشعوب التى تسكن شرق أوربا وتتكلم اللغة البيديه Yiddish وهـم سلالـة الشعب الوثنى الـذى كان يطلق عليـه اسم شعب الخزر والذى طـرد من آسيا ورحل إلى شرق أوربا مع الشعوب المغـولية التى وصلت إلى أواسط آسيا ولم يعتنق هذا الشعب الوثنى الديانة اليهودية إلا فى القرن السابع الميلادى .

(أيها القـارئ الكريـم) لاحظ غالبيـة سكـان فلسطين حـاليًا من هـذه الشعـوب التى هاجرت إلى أوربا وهم على الوثنية . وكانت هذه الشعـوب الوثنية ليس لها أدنى صلة باليهودية حيث أنهم خلال القرن الأول الميلادى تقهقرت شعوب وقبائل الخزر إلى أوربا سالكين الطريق الذى يقـع شمال بحر قـزوين وفرضـوا سيطرتهم على شعـوب شرق أوربا ولم تمض سبعـة قرون حتى كانوا قد احتلوا منطقة تقع بين جبال الأورال شرقًا ووسط أوربا غربًا وشمال البحر الأسود جنوبـًا وهى منطقة تبلغ مساحتهـا نحو سُبْع مسـاحة الولايـات المتحدة الأمريكيـة . وأسسوا مملكتهم الوثنية وقد اشتبكوا فى حـروب مع المسلمين شرقًا والمسيحيين غربًا ؛لأن كل منهما كان يريد أن ينشر ديانتـه بين هذه الشعوب الوثنية ، لكن الملك « بـولان » أدى به الأمر إلى الاقتناع باليهودية دون المسيحية أو الإسلام وهذه هى الفرشة الأساسية التى يتكون منها سكان إسرائيل حاليًا (١٩٩٦م) ٨٤٪ من يهود إسرائيل من سكان شرق أوربا بعنـاصرها السابق الإشارة إليها الذين يعودون إلى أصول خزرية ومن هنا فقد أصبح الخزر يشكلون غالبية يهود العالم منذ القرن

التاسع أو العاشر الميلادى وهكذا تؤكد المصادر التاريخية كيف أصبح الخزر يهودًا بعد أن كانوا وثنيين فى القرن السابع الميلادى وصارت هناك رعية يهودية وصارت الملكية يهودية كما أصبحت المسيحية دينًا لبيزنطة والإسلام دينًا للعرب والمسلمين .

وقد ثبت تاريخيًّا أن الملك « بولان » بعد أن اعتنق اليهودية أدخل الحروف العبرية كأساس للغة التى كان يتكلمها الخزر وهى نفس اللغة التى قدموا بها إلى شرق أوربا من آسيا ومن ثم تطورت هذه اللغة إلى أن تصبح لغة البيدية ، وهى لغة لا تمت بأدنى صلة للغة العبرية تاريخيًّا أو دينيًّا وأن لها حروف أبجدية واحدة .

وقد تفرّقت بعضًا من هذه القبائل إلى مختلف جهات العالم وقطنت فى أماكن لم يكن بينها أدنى صلة أو قرابة جنسية لا سيما أن الخزر بعد رحيلهم من آسيا إلى شرق أوربا اختلطوا بنحو خمس وعشرين شعبًا من شعوب العالم عن طريق الفناء فى خصائصهم الجنسية أو الزواج وهكذا فغالبية اليهود الذين سلبوا أو سكنوا فلسطين هم من سلالة الخزر الذين تفرقوا بين الروس والبولنديين والرومانيين والأوكرانيين واللتوانيين والغالسين مع إضافة خمس وعشرين جنسية إلى هؤلاء والذين هم من أصل آسيوى نزحوا إلى فلسطين ولقد تفرق الخزر فى شتى أنحاء العالم منذ القرن العاشر الميلادى عندما هُزِموا أمام القوات الروسية مما أدى إلى تدمير مملكتهم اليهودية فاختفى اسم الخزر وشعب الخزر .

لكن تاريخ أوربا الحديث يدل على أن سلالة الخزر التى وزعت على دول شرق أوربا المختلفة قد حاولت أن تتحد مرة أخرى لتكوين دولة يهودية ومن هنا فإن إسرائيل هى دولة تجمع شتات الخزر المبعثرة فى جنسيات مختلفة على شرق أوربا وغيرها من البلاد الأخرى فى فلسطين وطن العرب وقد دلت الدراسات التاريخية على أن الخزر منذ القرن العاشر والقرن الثانى عشر الميلادى على أن الخزرانيين الذين تشتتوا بين دول شرق أوربا لم يعيشوا قط فى سلام بل كانوا دائمًا فى حروب مع جيرانهم .

وهكذا شهد عام ١٩١٩م تحمُّس زعماء اليهود البولنديين الذين هم سلالة الخزر بعد أن تأسست دولة بولندا حديثًا إلى الرغبة فى إنشاء أمة يهودية وظهور قومية يهودية فى نطاق الدولة اليهودية وهكذا كانت فلسطين ملجأ لهم منذ وعد بلفور ١٩١٧م لكن هذه الشعوب المنتشرة فى روسيا وشرق أوربا والتى تعود فى أصولها إلى الخزر أرادت أن تعيد مجد الدولة الخزرية اليهودية

التى كـانت قد تشتتت على أيـدى الروس فى القـرن الثانى عشر ورأت فى الـدعوة الصهيـونية عقب الحرب العالمية الأولى إلى إنشاء دولة يهودية عصريـة تسمى إسرائيل فرحة مباركة لتحقيق حلمها القـديم فى افتعال إنشـاء دولة إسرائيل ويعود كـل اليهود الذين هـاجروا إلى الـولايات المتحدة الأمـريكية ، وانجلترا ، وفـرنسا ، والأرجنتين ، البرازيل ، بلجيكا ، وهـولندا إضـافة إلى دول شرق أوربا إلى أصـول خزرية مع وجـود عناصر أوربية اعتنقت اليهـودية حديثًـا فى القرن الخامس عشر بعد (١٤٩٢م) عندمـا تم طرد اليهود من أسبانيا والبرتغـال فكان الاختلاط مع العناصر الأوربية الغربية أو مع بقايا الخزر الذين كانوا يعيشون فى شرق أوربا .

إن سكان إسرائيل حاليًا ينتمون إلى يهود الخزر الـذين هاجروا من شرق أوربا إلى فلسطين حيث كانـوا يشكلون غالبيـة اليهود حيث كان يـوجد فى شرق أوربا غـالبية يهود فلسطين وهم أكثر استفادة من المنافع التى قدمتها الجمعيات والهيئات الصهيونية وذلك لإغرائهم بالاستقرار فى الأراضى الفلسطينية فكـانت الفرشة الواسعـة من سكان إسرائيل حـاليًـا تعود إلى يهود شرق أوربا وروسيـا الذين هم من سلالـة خزرية ليس لها أدنى صلـة بالشرق والسامية وأن الغـالبية العظمى من يهود العالم فى أوربا وأمريكا وإسرائيل تعود إلى سلالة الخزر .

ولقد تنازعـت الاتجاهات الفكرية لدى الجماعـات الصهيونية حيث كانـت هناك جماعة تحركها نزعة دينية ثقافية وهم قلة وغرضها أن تعيش فى فلسطين وأن يكون لها مركزًا محدودًا تقام فيه الشعـائر الدينيـة اليهوديـة بكامـل الحرية وإحيـاء اللغة العبريـة وقيام مـؤسسات ثقـافية واجتماعيـة يهوديـة يتمتـع فيهـا اليهـود بكـافـة الحقـوق مع جميع سكـان فلسطين المسيحيين والمسلمين ودون أن تكون لهم أية ميزة سياسية أو أية نزعة استقلالية .

لكن الاتجاه الأقوى هو الاتجاه السياسى الذى كان يـرمى إلى إنشاء دولة يهودية صهيونية فى فلسطين يحشر لها المهاجـرون من كل الأقطار ويبلغ من يعيش فى فلسطين هذه الأيـام أكثر من خمسـة ملايين يهودى ينتمـون إلى أكثـر من اثنتين وخمسين (٥٢ جنسية) من أقطـار الأرض وتبلغ أكثـرهم من روسيا وبـولندا وهم يهود الخزر ولقـد قام رجـال المـال اليهـود فى الولايـات المتحدة الأمـريكية وبريطانيـا بتمويل مؤامرة اغتصـاب فلسطين وغزوها وافتعال دولـة يهودية وكـان المـال هـو السبيل إلى إغراء هـذه الجماعـات بالهجـرة إلى فلسطين لا سيما أن الولايـات

المتحدة فى ذلك الوقت كان بها من اليهود ما لا يقل عن ٢ مليون يهودى (بلغ عددهم حاليًا ١٩٩٦م أكثر من ثمانية ملايين بيدهم مقاليد الأمور كلها) .

ولا داعى للتوسع فى سرد الأحداث والثورات التى قام بها عرب فلسطين وما قام به اليهود من إنشاء المستعمرات اليهودية والأعمال الإجرامية فى اغتصاب الأراضى فى ظل الانتداب البريطانى واتخاذ الإجراءات اللازمة لتيسير الهجرة وتمكين المهاجرين من شراء الأراضى واحتلالها وإقامة المشروعات واعتراف وثيقة الانتداب بحق الهيئات الصهيونية فى إنشاء وكالة يهودية وقد عملت هذه على فتح الأبواب أمام الهجرة اليهودية على أوسع أبوابها بحيث وصل عدد اليهود إلى أكثر من نصف مليون مواطن عام ١٩٤٠م بعد أن كانوا يؤلفون بضعة آلاف تعد على أصابع اليد الواحدة عام ١٩١٤ وقبل صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م (ستة آلاف يهودى ١٩١٤ - ١٨٠٠ يهودى ١٧٩٨) لكن فى ظل ازدياد النفوذ الصهيونى رسم اليهود خطتهم للاستيلاء على فلسطين نهائيًا وذلك عن طريق إجلاء البريطانيين ثم إجلاء العرب بعد ذلك وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م صارت بريطانيا دولة من الدرجة الثانية تسير فى ركاب الولايات المتحدة الأمريكية وتعتمد عليها كل الاعتماد وكان ازدياد النفوذ الصهيونى إضعافًا للنفوذ البريطانى فى فلسطين وأصبح الاستعمار الصهيونى فى طريقه لإزاحة الاستعمار البريطانى لا سيما أن الولايات المتحدة كان لديها فى ذلك ما يقرب من ستة ملايين يهودى لهم نفوذ واسع فى شتى المجالات وكان لهم دور فى إنجاح الرئيس ترومان ١٩٤٨م وتبرعوا له بالملايين مما كان سببًا فى نجاحه واشتد الضغط على الإنجليز حتى اضطروا لأن يعلنوا فى أول مايو ١٩٤٧ عزيمتهم على الجلاء عن فلسطين فى منتصف مايو ١٩٤٧م وبذلك تم لليهود تحقيق هدفهم الأول وهو الاستقلال بفلسطين وكان الهدف الثانى إخراج العرب منها .

ولقد لاحظ المتتبعون لأنباء المسألة الفلسطينية منذ أن أصدرت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة القرار المعروف باسم قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م بين العرب واليهود رأى كثيرًا من دول الغرب إنهم لم ينظروا نظرة جدية إلى هذا القرار وأن الدول العربية لم تبدأ استعدادها لمواجهة الاحتمالات إلا بعد جلاء الإنجليز أما الجانب اليهودى فقد أخذ للأمر عدته وتحركت جماعات الإرهاب (أرجون) (وهجانا) وبلغت قواتهم نحو مائة ألف جندى

وجاءت الإمدادات من أوربا وأمريكا وتأكد دور الولايات المتحدة الأمريكية كقائد للمعسكر الغربى وتحالف الجميع غربا وشرقا لإهدار حقـوق عرب فلسطين وإقامة دولة يهودية فى المنطقة العربية وكـان المنطلق من ذلك أن المنطقة تحتوى ٥٠٪ من احتياطى العـالم من النفط وكميات ضخمـة من المواد الخام والموقع الهام فى شبكة المواصـلات العالميـة ولابد من قيـام رأس رمح ليمـزق الكيان العـربى وضرب التكتل والـوحدة فى المنطقـة وعـزل مصر والمغرب العـربى عن الشام وبقية بلاد العالم العربى فى آسيا .

ولا شك فى أن التقاريـر التى نشرها الـزعماء الصهيونيون والـوثائق التى تتنـاولها هيئاتهم المختلفة فى خلال الأعوام الخمسين المـاضية السابقة لقيام إسرائيل تدل دلالة قاطعة على مدى ما وصل إليـه هؤلاء الصهيـونيون من كذب وخـداع وتزييف وإفسـاد للضمائر لكى يخفوا عن العالم السبب الذى حدا بهم إلى اختيـار فلسطين وطنًا مزعومًا لليهود بـالزعم بأن يهود أوربا من أصل فلسطينى فـزعم بـاطل ذلك ؛لأن يهود أوربـا هم من أصل أوربى كما أن يهود اليمن من أصل يمنى ويهود الفلاشـا من أصل أثيوبى ومن الافتراء القول بعكس الحقيقة وهـو أن اليهود شعب لا وطن لـه لا سيما أنـه كما سبق القول أن اليهـوديـة عقيـدة شعوب الخزر قـد وجـدت انتشارًا واسعًا فى بلاد الألمـان والسلاف الـوثنية فانتشرت بينهم ومن ثم دخلت الدين اليهودى شعوب وثنيـة اعتنقت ذلك الدين وليس لها أدنى صلـة بيهود مـوسى عليه السـلام ولقد أثبت البحث الأنثروبـولوجى أن اليهود استطـاعوا خـلال تاريخهم الطويل أن يحملـوا قدرًا كبيرًا من الدماء الأجنبية وهـذه حقيقة تفسر مـا نراه فيهم من اختلاف فى الألوان والأشكال ومشابهتهم للشعـوب التى يعيشون فيهـا ، بل أكثـر من ذلك فإن هناك العـديد مـن اليهود الـذين كانـوا يعيشون فى فلسطين قبل الميـلاد قد اعتنقوا الـديانـة المسيحية وصاروا مسيحيين وتبـاعدوا عن اليهودية لا سيما أولئك الذين عاشوا فترة بعث المسيح عليه السلام وبعده من فترات زمنية زمن القسس الكبـار أمثال يـوحنـا ولوقـا ومرقـس ومتى ، الذين سـاروا على نهج المسيح فى التبشير بالمسيحيـة ومن ثم فلم يعـد هناك أيـة رعية يهوديـة فى فلسطين عندمـا انتشرت المسيحية على نطاق واسع لا سيما بعد أن اتخذ الرومان المسيحية عقيدة لها وحاربت اليهودية فى الشرق وشمل أنحاء الأماكن الخاضعة للرومان .

والخلاصة الموضوعية أن يهود العالم الـذين وفدوا إلى فلسطين من كل بقاع العالم لا يمتون على الإطلاق إلى جنس واحد أو عدة أجنـاس بل إلى اثنتين وخمسين جنسية بل ربما إلى أكثر من ١٠٠ جنسيـة وتجمع بينهم وحدة العقيـدة وأن يهود فلسطين ليسوا من بنى إسرائيل وأن هـؤلاء شىء وأولئك السـابقون الـذين اندثـروا مع الزمن وذابـوا فى الدول التى عـاشوا فيهـا واعتنقوا ديانـاتها شىء آخر ، فإنـه لا توجد أدنى رابطـة بين يهود العالم المعاصر وبين بقـايا اليهـود منذ القـرن السادس قبل الميـلاد عنـدمـا تمت إبادة اليهـود نهائيًّـا عام ٥٩٦ق.م بعـد أن تم إبـادة الإسرائيليين نهائيًّا وتم نقـل بعضًا منهم إلى بابل بعـد أن انقرضت سـلالتهم وحيل بينهم وبين اعتناقهم للعقيـدة اليهودية وصار شـأنهم شأن البابليين عبدة الأوثان ولم يعـد لهؤلاء اليهود أى أثر سوى أفـراد قلائل اسـتطاعوا الهروب شمـالاً إلى أرض الخزر حيث استطاعـوا إقناع ملكها بالـدين اليهودى (الملك رولان) ، وهكذا تم اغتصاب فلسطين وتمت إقـامة الدولة اليهـودية وارتكب اليهود الكثير من الجرائم والإرهـاب والقتل والطرد والتشريـد حتى أن إسرائيل قامت بتدمير ٣٨٥ قرية عربية أثناء حرب ١٩٤٨م وتم تسويتها بالأرض وأن الزعماء الصهاينة أقدموا على تدمير هذه القـرى ليثبتوا أن فلسطين كانت صحراء جـرداء قبل إنشاء إسرائيل ؛ ذلك لأن فى عام ١٩٢٢ كـانت نسبة العرب إلى سكـان فلسطين ٩٢٪ ونسبة اليهـود لم تكن تتعدى ٦٪ ولقـد عملت الصهيـونيـة على تفـريغ فلسطين مـن سكـانها العـرب الأصليين وذلك بإنشـاء الصندوق القـومى لليهود عام ١٩٠١م وقـد دعمت الولايات المتحـدة قيام إسرائيل ولا زالت حتى الآن وستظل تلك المساعدة ما دامت الولايات المتحدة هى القوة الكبرى ، وذلك من أثر الدور الذى يلعبـه الصوت الانتخابى اليهودى داخل الولايات المتحـدة دور بالغ الأثر حيث يبلغ عدد اليهود ستة ملايين نسمة حيث يكون تأثير تصويت الجالية اليهودية حاسمًا فى ترجيح كفة أحـد الحزبين الكبيرين (الجمهورى - الـديمقراطى) فى أمـريكا وأن اللـوبى اليهودى فى الولايات المتحدة قام بضغط عنيف على الإدارة الأمريكية من أجل قبول إسرائيل عضوًا بالأمم المتحدة عام ١٩٤٩م .

ولقد قـال الرئيس الأمـريكى (ترومـان) فى ذلك أنه عليه أن يستجيـب لمئات آلاف من الأمريكيين اليهود ذلك ؛ لأنه لا يوجد آلاف من العرب الناخبين .

ومن ثم فقد أتاحت المساعدات المالية الأمريكية الأوربية الكبيرة لإسرائيل بالإضافة إلى المعونات الفنية والتقنية إنشاء جيش إسرائيلى قوى وقوة ردع نووية جعلت إسرائيل حصنًا حصينًا من الصعب أن يقترب منه أحد ، وهذا كلام قبل حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ /٦ أكتوبر ١٩٧٣م ويستشهد المفكر الإسلامى الفرنسى « جارودى » بالمفكر الإسرائيلى الكبير (البروفيسور ليوفنيش) الذى يقول : « إن إسرائيل ليست دولة تمتلك جيشًا ولكنها جيش يمتلك دولة » ومن ثم لتحقيق هدف الاغتصاب فإن (بن جوريون) أول رئيس وزراء إسرائيلى بأنه كان يهدف إلى هجرة أربعة ملايين يهودى إلى إسرائيل فى عام ١٩٥١ - ١٩٦١م وأنه كان يقول دائمًا : إن القانون الدولى ليس أكثر من قصاصة ورق ، وأن القول بقتل النظام الهتلرى النازى الألمانى بقتل ستة ملايين يهودى فى غرف الغاز إنما كان حجة وتبرير وذريعة لاغتصاب إسرائيل لأرض فلسطين وإقامة دولة لهم فى الشرق العربى والإسلامى ووضع دولة إسرائيل فوق القوانيين والأعراف الدولية ، بل إن أوربا هدفت من وراء مساعدة اليهود لاغتصاب فلسطين إلى تفريغ أوربا من كل اليهود وطردهم إلى مكان ناء بعيد خارج القارة الأوربية وكانت أوربا ترى الحل النهائى للمشكلة اليهودية كانت ترحيلهم إلى الشرق العربى لاسيما أن الولايات المتحدة استخدمت حق الفيتو لمجلس الأمن اثنتين وثلاثين مرة منذ عام ١٩٧٢ - ١٩٩٦م ، لحماية إسرائيل فمابالك بالفترة من ١٩٤٨ - ١٩٧٢م ، إن إسرائيل تعتمد على التأييد الكامل للولايات المتحدة وتقول إسرائيل: إن القانون الدولى ليس إلا مجرد قصاصة ورق ، إن الجنس الأوربى الأبيض قام بإبادة مالايقل عن ٦٠ أو ٨٠ مليون هندى أمريكى لأجل استعمار القارة الأمريكية وكذلك قتل مابين ١٠٠ مليون إلى ٢٠٠ مليون أفريقى خلال فترة الرق واصطياد الرقيق من سكان أفريقيا ، إضافة إلى قيام أمريكا بإلقاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما وناجازاكى بأوامر من الرئيس الأمريكى الأسبق ترومان ومصرع ٣٠٠ ألف يابانى تحت أنقاض هاتين المدينتين ، فمابالك من اغتصاب فلسطين .

فإذا كانت أوربا الغربية قد ساعدت على اغتصاب فلسطين (إنجلترا والانتداب البريطانى ووعد بلفور ١٩١٧) ، فرنسا والمساعدات العسكرية والمفاعل الذرى فى ديمونة الولايات المتحدة وتكملة مسيرة الاغتصاب حتى الآن (١٩٩٦م) وكذلك مساعداتها على تحقيق معجزة اقتصادية وكذلك على بناء قوة ذرية (فرنسا ١٩٥٦م) وبناء قوة عسكرية كبرى .

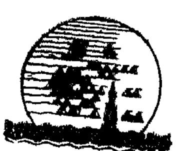
كذلك دعماً لهذا الاغتصاب استأثرت إسرائيل با لمساعدات من الخارج وكان مصدرها ألمانيا فقد دفعت ألمانيا لإسرائيل أكثر من ٦٠ بليون دولار تحت دعوى ذرائع عدة مرة للتعويض عن أرواح الذين فقدوا فى غرف الغاز ومرة تعويضًا عن ممتلكاتهم ومرة ثالثة لتغطية توطين المهاجرين اليهود الجدد لإسرائيل ، وكذلك دفعت النمسا تعويضات كثيرة : إن المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل وحدها سنويًا أكثر من مليار دولار إلى إسرائيل وأن الحكومة الأمريكية تدفع أكثر من ثلاثة مليارات دولار .

إضافة إلى ولاء يهود العالم لإسرائيل (ولاء أكثر من الدولة التى يقيمون فيها) وفى ذلك يقول الحاخام (جوزيف سيتروك) حاخام فرنسا الأكبر فى زيارة للقدس لإسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل الأسبق : (إن كل يهودى فرنسى هو ممثل لإسرائيل وتأكدوا أن كل يهودى فى فرنسا يدافع عن إسرائيل أكثر مما تدافعون أنتم عنها) وأن العدوان على لبنان أخيراً (١١-٢٧ أبريل ١٩٩٦م) لم يكن خطأ إنما كان نتاجًا لمنطق الصهيونية السياسية التى قامت على الاغتصاب والتى تقوم عليه فلسفة بقاء إسرائيل بالضرب بالعصا لكل العرب ، بل أن هناك أسطورة يهودية معاصرة تقول : إن قيام إسرائيل على أرض فلسطين ماهو إلا رد من الرب (الله) على المذابح التى تعرض لها اليهود فى أوربا فى غرف الغاز الألمانية والتى كان يطلقون عليها (الهولوكست) وهو التعبير المستخدم لوصف اضطهاد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية ، فكان اغتصاب إسرائيل لفلسطين تروج هذه الأسطورة الكاذبةالتى لن تدوم لذا كان من الضرورى لكى يأخذ هذا الاغتصاب حقًا إنسانيًا شرعيًا عالميًا المقولة بتضخيم أرقام ضحايا اليهود وإثبات أن اضطهادهم كان أكبر عملية إبادة جماعية فى التاريخ ولقد نسى هؤلاء الأوربيون والأمريكيون قتل وإبادة ثمانية ملايين هندى أحمر أمريكى ومابين ١٠٠-٢٠٠ مليون من السود الأفارقة تعرضوا للقتل من جراء تجارة الرقيق كما أن هناك أكثر من ١٧ مليون سلاف (شرق أوربا) قتلوا فى الحرب العالمية الثانية كذلك مما يدل على أن اغتصاب فلسطين كان لأهداف سياسية أكثر منها دينية يهودية ماذكر عن تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية بأنه كان يجهر بأنه من (اللا ادرية) أى اللذين يشككون فى وجود الله وأن قيام إسرائيل لم يكن امتداد للعقيدة الدينية والروحانية اليهودية ، كذلك المؤتمر الذى عقد عام ١٨٩٧م فى مدينة (مونتريال) بالولايات المتحدة الأمريكية وضم حاخامات أمريكا حيث اعترضوا فيه على دولة إسرائيل وأكدوا أن هدف الديانة اليهودية ليس سياسيًا ولاقوميًا وإنما هو هدف روحانى ، وأن

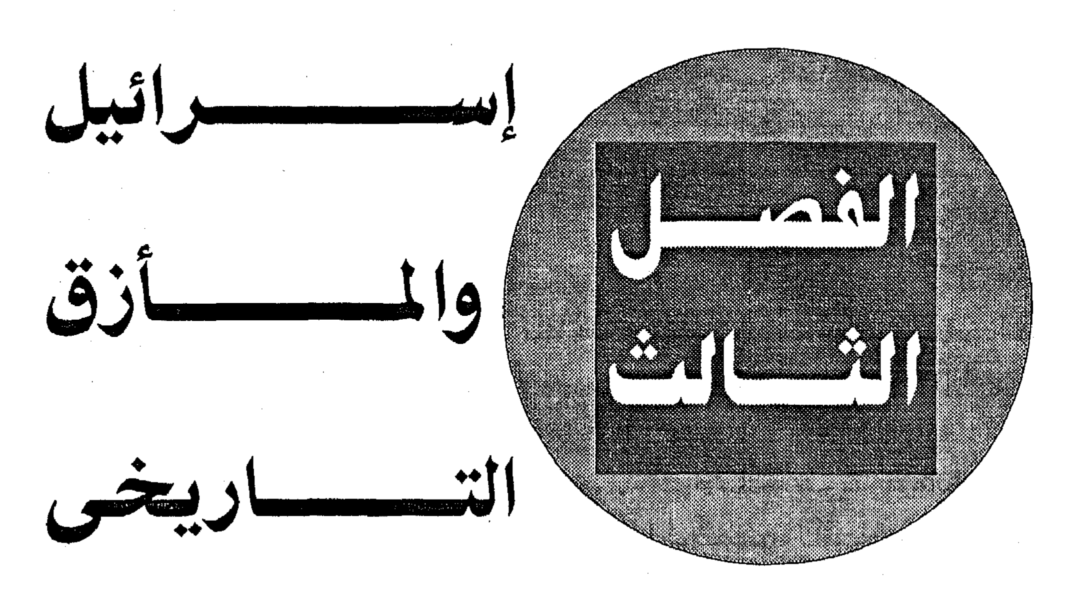
المنظمـة اليهـودية فى فـرنسـا والنمسـا وإنجلترا كان لها نفـس رد الفعل الرافض للصهيـونيـة السياسيـة كذلك كان (ألبرت أينشتاين) أبـو القنبلة الذرية اليهـودى الديانة ، كـان يناهض اتجاه تأسيس الدين اليهـودى وإنشاء دولـة إسرائيل ويقول أينشتاين العـالم الكبير حرفيًـا عام ١٩٣٨م (إنه من الأفضل التوصل إلى اتفاق مع العرب على أسـاس حياة سلمية مشتركة بدلاً من إنشاء دولة يهودية) .

وقد قال الحاخام (المير برجنز) الرئيس السابق للرابطة اليهودية بالولايات المتحدة حيث قال: (إنه من غير المقبول الادعاء بإنشاء دولة إسرائيل يعد تحقيقًا لنبوءة توراتية) وبالتالى فإن كل مايقوم بـه الإسرائيليون لإنشاء دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيـذ لإرادة الرب ورغـم كل هذا نفـذتم اغتصـاب فلسطين بـالفكـرة الصهيـونيـة التـى سـاعـدت القـوى الغـربيـة الأوربيـة الأمريكيةالـروسية على قيامها ، اغتصاب لجميع الحقوق المشروعـة ورفضًا لجميع قرارات الأمم المتحدة وحماية بحق الفيتو الأمريكى الذى وطد الكيان الإسرائيلى على حساب الحقوق العربية الإسـلامية ، لكـن ذلك لن يدوم طـويلاً فإســرائيل وشـعبها يدركـون تمام الإدراك أن دولتهم دولة غاصــبة لحق عربى فلسطينى وأن الاغتصاب لن يـدوم بأى حال من الأحـوال ولن يكون إلا مرحلة من مراحـل التاريخ شأن الأحداث السابقة ؛ لأن العرب ليسـوا هنودًا حمر أو شعوبًا بـلا حضارة ، لكن العمق الحضـارى لامحالة سـوف يصحح حـالة الاغتصـاب ويعيدوهـا إلى أصحــابها الشرعيين الفلسطينيين مهما يكن من تشـــدد رئيس وزراء إسرائيل الحالى بنيــامين نتانياهو (١٩٩٦- ٢٠٠٠) فما ضاع حق وراءه مطارد .

* * *




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



التاريخ هو خلاصة التجارب الإنسانية على مدى عمر البشرية وهذه التجارب تستنفر لها فى دورة التطور أحكام ومبادئ ومقاييس يؤتى فعلها حيث قواعد معينة ، وأن تيار التاريخ حين يصطدم بوضع يتناقض ويتنافر مع حركته فإنه سيستمر ولو على المدى الطويل يدق فى جدار هذا الموضع وينقر فيه ويتساقط عليه مثل قطرة الماء فوق الحجر الصلب حتى ينفلق ؛ لذا فإن حركة التاريخ فى النهاية هى التى تمارس فعلها حسب قوانينها وأحكامها الأزلية فإن الصدام بين التاريخ وبين أنظمة احتلال الأرض والعقل لا بد أن يبلغ ذروته بعد أن انتهى العالم من حقبة احتلال الأرض ذلك ؛ لأنه فى تاريخنا الحديث شهدنا احتلال الأرض الفلسطينية (١٩٤٧ - ١٩٩٦م) على امتداد سنوات طويلة وما شهدناه من حركة الصدام بين الذين فرضوا بقوتهم احتلال الأرض (اغتصاب فلسطين منذ صدور وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧م وإعلان قيام إسرائيل ١٥ مايو ١٩٤٧م) وبين أصحابها الشرعيين الفلسطينيين والذين قاموا بالذود عن أرضهم حتى تتخلص من محتليها الإسرائيليين .

ونقول : إن تيار التاريخ الذى اصطدم باحتلال الأرض ولا زال يكافح لكى يزيل هذا الاحتلال بشتى الطرق حتى لا يصل إلى احتلال العقل والسيطرة على مكوناته ليسير وفق

الرغبة الإسرائيليـة (ثقافة السلام) وفى هذا العـرض نقول : إن إسرائيل وقعت فى مأزق تاريخى عندمـا بادرت بإعلان إنشـاء دولة على أرض فلسطين وجـاءت من شتات الأرض يهود من كل فج لكى يمارسـوا حيـاتهم على أرض مغتصبـة من أصحـابها الشرعيين لتكـون دولـة يهوديـة فى فلسطين . لذا نقول لقد وضع القادة الإسرائيليون ثيودور هيرتزل Theodor Hertzel عندما تحرك لإنشاء دولة يهوديـة فى فلسطين وويزمان فى خطأ تاريخى عنـدما اقتنعا بأن يقوم اليهـود بالهجرة إلى فلسطين لكى تكون لهم دولة مستقلة يمارسون فيها سيادتهم الأكيدة وذلك بالتسلل إلى هذه الأرض إلى أن تحل اللحظة التى لا خـلاص منها عنـدما يشعر الشعـب صاحب الأرض التى ستكون الهجـرة إليها بأن كيانـه مهدد ،وهنا لا بـد من استخدام اليهود للقـوة لفرض إرادتهم ، ومن هنا فإن الذين أعطوا وعد بلفور وساعـدوا على هجرة اليهود بالجملة من شتى أنحاء العالم وأمدوها بالسلاح والعتاد والتقنية العلمية المتطورة وصناعات الأسلحة الذرية وغيرها من المواد التى سـاعدت على تطور ها وتقدمها وبقائها على أرض العـرب سـواء كانت بريطانيا وفرنسـا أو الـولايات المتحـدة الأمريكيـة ، كل هؤلاء واهمون لا يـدركون حـركة التـاريخ لهذا المجتمع العربى وقد غاب عن ذهنهم أن هـذه الشعوب العربية صاحبة حضـارة وتاريخ حضارى تليد وماض عتيـد و، أنهم ليسوا هنوداً حمر كسكـان أمريكا الشمالية أو الجنـوبية وأنهم ليسوا شعـوبًا زنجية غير متحضرة كـالأقزام أو البوشمن أو البانتـو أو الهنتوت . لم يدركوا أن العـرب الذين يسكنون هـذه المناطق هم صناع الحضـارة القديمـة التى تقدمت بها البشرية فى مـدارج الرقى والتقدم فالعرب القدماء هم المصريون الفراعنة والبابليون والأشوريون الكلدانيون والعموريون والفينيقيون والكنعانيون والأنباط والتدمريون والآراميون بل هم الحميريون والسبأيون والمعنيون وغيرهم من الأمم والشعوب التى قـدمت الحضارة قبل الإسلام كما أنهم قد غـاب عنهم عندما زرعوا إسرائيل فى قلب الوطن العـربى عمق وصلابة ومقدرة هذه الشعـوب التى قاومت الزمن وصدت الأحداث ، ألم يكن المصريون أصحاب حضارة الفراعنـة هم الذين تعرضوا للاحتلال والسيطرة اليونانية (٣٣٢ - ٣٠ ق.م) ثم الإسكندر والرومان (٣٠ ق.م - ٦٤١م) عشرة قرون متـواصلة خضعت فيهـا مصر لأطول حـركـة استعمارية فى تـاريخ الشعوب لكن هـذه الفترة الطـويلـة التى خضع فيهـا الشعـب المصرى لم تـؤثـر فى الشعب المصرى كى يتحـدث اللغـة اليونانيـة أو اللغة اللاتينية فكل هـذا ذهب أدراج الرياح وعاد الـوجه المصرى العربى الأصيل بعد أن تخلـص على يد أخوة العـروبة مـن كل أثر من هـذه الآثار كما أنـه لا يوجـد بين سكان

الوطن المصرى البالغ عددهم ستون مليون اليوم ما يتضح من سحنته أنه ذا أصول يونانية أو رومانية فالجميع سحنتهم عربية مصرية أصيلة .

إن البعد التاريخى والعمق الحضارى والأصالة الشرقية قد غابت عن ذهن هؤلاء الأوربيين الذين جاءوا من شتات الأرض بهذه العناصر اليهودية التى لا يوجد من بينها من هو من أصول سامية ، بل الجميع ينتمون إلى عناصر آسيوية (خزر) رعوية كانت تعيش بالقرب من بحر قزوين وهم شعب الخزر الذى كان يعيش فى الأورال فى شمال وسط آسيا وليس لهم أدنى صلة بالسامية بل أنهم تمسحوا بها ، وحكاية السامية هى خرافة فى تاريخ اليهود لا سيما بعد أن غزا الخزر شرق أوربا ثم انساحوا فى أوربا بعد سقوط دولتهم على يد الروس ، بل إن السامية بعيدة أيضًا عن اليهود ؛ ذلك لأن بعض المؤرخين حاول أن يضفى هذه الصفة التي ابتكرها اليهود قبل الإسلام ليربطوا بها بينهم وبين العرب بالاشتراك فى أبوة إبراهيم لهم أجمعين لكى توجب على العرب حسن معاملة النازلين بينهم من اليهود . ويتيسر لليهود ممارسة التجارة فى شبه الجزيرة العربية لا سيما بعد أن طرد اليهود من الأماكن التى كانوا يعيشون فيها وهاجروا إلى العراق ، ولم يكن ذلك يدور فى فكر هذه الطوائف ، إن العرب القادرين على مواجهة التحديات التاريخية لم ولن يسمحوا لهم بإقامة دولة على حساب الشعب الفلسطينى .

ثم ألم يدرك هؤلاء الأوربيون ومن خلفهم الولايات المتحدة أن هذه الشعوب العربية القديمة وفى مقدمتها الشعب المصرى لم يسترد أرضه فحسب ولكنه استرد معه كرامته الوطنية فى حركة تحرر عربية من الاحتلال اليونانى ثم الرومانى والبيزنطى ، وكذلك استرد طاقته المحبوسة والمصادرة والتى استطاع أن يلتحم بها مع الشعوب العربية فى بلاد الشام وشمال أفريقيا وشبه جزيرة العرب ، وكيف أن هذه الشعوب لم تنحدر فى طريق الانهيار الحضارى ولكنها انطلقت نحو صنع المستقبل والتقدم والنهضة والارتقاء فى ظل الكيان العربى الواحد لكى تعوض سنوات السيطرة الطويلة ، ثم إذا كان تاريخ قبل الإسلام لهذه الشعوب العربية المتحضرة قد غاب عن فكر هؤلاء غلاة الاستعمار والصهيونية فقد كان أولى بهم ألا يغيب عن ذهنهم أيضًا التاريخ القريب والحديث ألم تكن هذه الشعوب العربية قد تعرضت فى تاريخ العصور القديمة لأشد أنواع الاستعمار والاستيطان ؛ ليجعل مصر أطول مستعمرة فى التاريخ ابتداء من الإغريق فى القرن الثالث قبل الميلاد عبر البطالمة فالرومان إلى نهاية بيزنطة فى القرن

السابع الميلادى ذلك بعد أن ورثت روما اليونان ، وهكذا فإن هذه القوى الاستعمارية لم تدرك البعـد التـاريخى لمصر ولا البعد الاستراتيجى للشخصيـة المصريـة والعـربيـة وكان فنـاء هـذه الشعوب (اليـونان والـرومان) واسترداد مصر لعـافيتها وتـاريخها ،ومن ثم كـان ذلك من أكبر دوافع ثورات المصريين المشتعلة على الاستعمار البيـزنطى الرومانى اليونـانى فهل تأتى فى القرن العشرين (١٩١٩ - ١٩٤٨م) إسرائيل لكى تستطيع أن تسيطـر على هـذه الأقطـار . وتكـون سببًا فى صراع دموى عنيف وحروب مشتعلة (١٩٤٨- ١٩٥٦- ١٩٦٧ - ١٩٧٠- ١٩٧١ ، ١٩٧٣م) ولم تكن هذه الحروب إلا تعبيرًا عـن الروح القوميـة العربيـة التى لن تكون اتفـاقيات السلام ولا الهرولـة فى التسابق فى الصلح مع إسرائيـل طريق نهاية الصراع العـربى الإسرائيلى ، فالعرب أصحاب التاريخ لن يقبلوا مهما كـانت التحديات العالمية بأن تسلب أراضيهم ويأتى من يقيم بها دولة من منطلق القوة والسيـادة والاستعلاء ، فهؤلاء يعيشون اليوم والأيـام القادمة مأزقًا تاريخيًا لن يفيقوا منه إلا عندما يصطـدموا بالواقع العربى وهو زوال إسرائيل ونهايتها بأى شكل من الأشكال سواء سلميًا ، أو إذابة فى الكيان العـربى الكبير أو بالطرق العسكرية التى تمكن العالم العربى بالقوة الفلسطينية بأن تكـون فلسطين وطنًا عربيًا كما كانت قبل إعلان قيام إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، بعد أن فرضوا وجودهم وسيطرتهم وضمان البقاء الطويل لهم ولذا فالسيطرة اليهودية تعمل على فرض أسباب الخضوع والخنوع وتثرى كافة مظاهر الفرقة والتناحر والتطاحن وتحاول أن تنزع من المواطن الفلسطينى والعربى أن تنزع عنه كبرياءه وكرامته الوطنية ثم تدفع بـا لمجتمع كله إلى التخلف لا سيما أنها تسعى إلى تـدمير وسحق روح المجتمع وإنزال هزيمـة اقتصاديـة واجتماعية كاملـة به ثم كـذلك أليس التاريخ الـوسيط خير شاهـد على قوة الحركة العـربية الإسلاميـة فى وقوفها فى وجـه التهديد الصليبى الـذى استمر قرنين من الـزمان (١٠٩٥ - ١٢٩٠م) ؟ ولا سيما أنـه قد وقع على مصر أن تـواجـه هذا الخطـر فكـانت معركـة حطين عام ١١٨٧م التى قـاد فيها صلاح الـدين الأيوبى انتصـاره الكبير على الصليبيين دحرًا لهم عن أحـلامهـم واسترداد بيت المقـدس من أيـدى الصليبيين ، كـذلك ألم تكن مصر التى قـاتلت أيضًـا عام ١٢٤٤م لكـى تسترد بيت المقدس مـن أيدى الصليبيين لآخـر مـرة وحتى التاريخ الحديـث حتى وصلها اللورد اللنبـى عام ١٩١٩م ، ألم تكن مصر فى عهد نجـم الدين الصالح أيـوب هو الـذى قاد حـركة تحريـر القدس عام ١٢٤٤م . كـذلك ألم تكن مصر التى حاربت عام ١٢٥٠م معركة المنصـورة وتم أسر لويس التاسع وكسر حدة الخطر الصليبى على

يد مصر كذلك ألم تكن مصر ، التى قاتلت المغول فى معـركة عين جالوت عام ١٢٦٠م بقيادة قطز واستطـاعت أن تكسر أكبر خطر تتارى كان يهدد البشـــرية فى تاريخها الطـويل كذلك ألم تكن مصر والعروبة مـن حولها هى التى قاتلت عام ١٢٩٠م بقـايا الصليبيين فى عهد الأشرف خليل بن قلاوون وتقضى قضاءً نهائيًا على بقايـا الصليبيين ألم يستوعب قادة أوربا وقادة الحركة الصهيونية دروس التـاريخ العربى ؟ ولم تكن هذه الصفحات التاريخية الخالـدة أمام عبقريتهم وهـم يصدرون وعد بلفور بإنشاء وطن قـومى لليهود على حساب الكيان العربى الفلسطينى لا شك أن الذين منحوا هذا الوعد والذين خططوا لاغتصاب فلسطين لم يستوعبوا دروس التاريخ . كذلك ونحن نقدم لهم صورة الصمود والتصدِّى العـربى فى صورة الحركة الجزائرية التحررية التى قدمت مليـون شهيد والتى خضعت لـلاستعمار الفرنسى منـذ (١٨٣١ - ١٩٦١م) مائة وثلاثين عـامًا لم تفلح سيـاسة الفـرنسة والجزائر فـرنسية وراء البحـار أن تنجح فى تحقيق أدنى هدف لها وعاد الـوجه العربى الجزائرى قويًا عربيًّا إسلاميًّا . كذلك فإن حركـة التحرر العربى التى سادت العالم العربى فى شتى أقطاره المختلفـة واستطاعوا أن يستردوا استقلالهم من القوى الإيطاليـة والفرنسيـة والإنجليزيـة صحيح إن هذه الأقطـار لم تكن قد استطـاعت أن تستعيد ترتيب أمـورها الـداخلية حتى تتمكن من التفرغ الكـامل لمواجهة التحـدى الصليبى اليهودى المشترك حيث كـان الخطـر الإسرائيلى المباشر إلى عمق الأراضى العـربيـة يكـاد يكون كـاملاً بالسيطرة على فلســطين لا سيما أن الفلسطينيين كانـوا أكثر المتضررين ثـم الـدول المجاورة - مصر - سوريـا - الأردن - لبنان . وذلـك لتعرضهـا للنشاط الإسرائيلى على هـذه الجبهات فى الحروب التى كانت تشنهـا إسرائيل بمساعـدة القوى الغربيـة والشرقية على هـذه البلاد . لكن حركة التاريخ لم تتـوقف ولم تنته الأحداث التاريخية ؛ لأن التاريخ ليـس له نهاية كما صور ذلك بعض الكتاب الغربيون فى مقولة نهاية التاريخ بعد انتهاء الحرب الباردة ١٩٩٠م .

إن الكارثـة التى تعرضت لها فلسطين على يد الصهيـونية الإسرائيلية هى سـابقة ليس لها مثيل قط فى تاريخ العـالم الحديث ، بل والعالم الإسلامى ولا العـالم الثالث إنها ليست استعمارًا قديمًا أو جديـدًا فحسب ، ليست هى استعمارًا استيطانيًا أو شعبًا عنصريـًا وحسب ولكنه قبل ذلك استعمار إبادى إحلالى صرف يحل شعبًا محتل مكان شعبًا عريقًا حضاريًا عميقًا تاريخيًّا وله بُعد زمنى طـويل لكى يحل محله شعـوب قادمة من اثنتين وتسعين دولـة لكن ذلك الحدث لن يكون نهاية التاريخ بل هو الوقوع فى مأزق التاريخ ؛ لأن بداية البداية الصهيونية العالمية كانت

ولا تزال جزءًا لا يتجزأ عضـويا من الامبريالية العالمية (الولايـات المتحدة والمعسكر الغربى) ومن هنا فـإنه كما انتهت كل الحركات الاستعمارية السابقة فسوف تنتهى الحركة الاستعمارية اليهودية ؛ لأنها أعلى مراحل السيطرة فى العالم العربى بل إنها حاليًا (١٩٩٦م فى ظل اتفاقيات السلام مع مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية) أعلى مراحل الامبريالية العالمية إنها قطعة من الاستعمار الأوربى الأمـريكى عبر التاريخ ولابد أن تكون لها نهايـة والصهيونية بكل بساطـة هى السرقة ومحاولتها الدائمـة بعد السلام بأن تكـون جزءًا عضويًّا فى العـالم العربى أو الشرق العربى ؛ لأنها استهدفت وحققت كل مقومـات وحقائق الدولة التى تسعى إلى التوطين الدائم للبقايا اليهودية من شتى بيئـات العالم ، ولعل استعمار الجزائر سبق القول وتحررها أقرب إلى الذهن الإسرائيلى فى صلابة تاريخ العرب ، لكنها باختلاف الغالب السكنى قد طردت كل السكان الأصليين خـارج وطنهم تمامًا ، إن إسرائيل بهذا كلـه أعلى مراحل الاستعمار الإسرائيلى الاستيطانى ، وهى الاستيطان بالاستئصال والإحلال والاجتثاث والإبادة .

لكن البعد التاريخى والعمق التاريخى قـادر كل القدرة على إيجاد الحلول التى تتواكب مع حركـة دوران التاريخ سـواء سلبيًّا أو إيجابيًّـا لابد أن يكـون مع الحركة العربيـة التى هى تتمتع بـالعمق التاريخى القـادر على إذابة أو لفظ أو تحجيم أو الهضم الكـامل لهذه الطائفـة الدينية اليهوديـة التى لن تدوم لها بقـاء دولة يهوديـة تهويدية متعصبـة تقوم على حشـد وتجميع اليهود واليهود فقط فى كيان سياسى واحد يحظى حاليًا بالاعتراف من جانب بعض الدول العربية دول الطـوق أو غيرها ، فإن ذلك يعـود إلى استراتيجية وضعت فى القـرن التاسع عشر فى ظل تفـرق الصـــف العربى وخضـوعه للقـوى الاستعمـــارية ، وفى ظل حالات التخلف العلمى وعـدم التطور التكنولوجى ، وسيـادة مفاهيم لا تتلائم فى ظل كون العالم أصبح قريـة أو مدينة واحدة مما يساعد على عودة الحق وسلب إسرائيل ما أخذته بالقوة .

إن المستقبل القـريب أو البعيد سـوف يظهـر مدى صـلابة الجذور العـربيـة وقوة البعـد الحضارى مهما كـانت حـالات السلام أو التعاون الاقتصـادى أو تبادل التمثيل الـدبلومـاسى والعلاقات التجارية والعلاقات الثقافية ومراكز الدراسات الإسرائيلية فى البلدان العربية ، فإن كل هذه الأمور لا تشكل إلا مرحلة وقتية فى حركة التاريخ العربى لن يكتب لها الاستمرارية أو البقاء أمدًا بعيدًا ذلك ؛ لأن حقـائق التاريخ العربى الإسلامى وأبعاد الـرؤية المستقبلية ما هى

إلا إدراك للخطر الإسرائيلى الحالى فى ظل ما يسود الساحة العربية من حالات التردِّى والانقسام والمخاوف الخطرية العراقية على بعض الجوانب ، لكن كل ذلك لا يشكل إلا مرحلة تعود بها الأمور إلى أحد ما يكون عندما يشعر العرب مدى جسامة الأخطار التى سيتعرضون لها من جراء اتفاقيات تعقد مع الجانب الإسرائيلى ، وعندما تسود روح الوحدة والتقارب والقيادة القوية التى ستدرك أن هناك حقوقًا عربية ضائعة فى فلسطين منذ عام ١٩٤٨م وأن البعد الزمنى عام ١٩٩٦م أو ٢٥٠٠ أو ٣٠٠٠ ميلادية لا يشكل إحساسًا بالضياع للأرض ، ومن ثم تكون الحركة الاستردادية للديار التى هى قلب العالم العربى لا سيما أن فلسطين ستظل أمد الدهر هى يمين القلب من العالم الإسلامى لا جغرافيًّا فحسب بل دينيًّا أولاً وقبل كل شىء (مؤتمر القمة العربى الحادى والعشرين الأخير (٢١ - ٢٣ يونيو ١٩٩٦) صورة للوحدة العربية .

فإذا كان العالم العربى هو قلب العالم الإسلامى روحيًا وموقعًا فإن فلسطين كمصرهى أرض الزاوية فى العالم الإسلامى طبيعيًّا وبالفعل فإنها تقع فى صرة العالم الإسلامى فتتوسط ما بين الصين شرقًا والأطلسى غربًا ، وما بين وسط آسيا شمالاً وجنوب أفريقيا جنوبًا .

بل لقد كانت القدس وهى مركز العالم كله ، إن القدس مقدسة عند المسلمين فهى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ (سورة الإسراء آية ١) والمسجد الأقصى بيت المقدس ، هو أحد مسجدين اثنين اقتصر القرآن الكريم على التصريح باسمهما فالمسجد الأقصى وإليه إسراء الرسول الكريم ﷺ ومنه كان معراجه إلى السموات العلى.

فهل بعد هذا البعد الدينى الإسلامى بقاء لإسرائيل . إننى لم أرد أن أعالج الموضوع معالجة دينية ولكن ركزنا على البعد التاريخى والحضارى كما هذه الخاتمة الدينية لكى تكون إسرائيل خطأ قد وقعت فى مأزق تاريخى سيكون الخروج منه هو عودة الحق إلى أصحابه سلمًا أو حربًا فالتاريخ لا يزيف ، وحركته مستمرة ولن تكون حركته إلا فى المسار الصحيح والخروج من المأزق وعودة فلسطين .

* * *


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



السلاح النووى الذرى هل يضمن بقاء إسرائيل ؟

الكتاب الذى صدر لشيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل بعنوان : (معارك السلام) اعترف فيه أحد كبار المسئولين الإسرائيليين بأن برنامج إسرائيل النووى قدمته إليها حكومة فرنسا (دى موليه) ثمنًا لدور إسرائيل فى العدوان الثلاثى (الفرنسى الإنجليزى الإسرائيلى) على مصر عام ١٩٥٦م ، وذلك خلال اجتماع عقد فى ضاحية سيفر Sevres بباريس فى أكتوبر ١٩٥٦م وكان اجتماعًا ضم مجموعة من الإسرائيليين والفرنسيين حضر شيمون بيريز الاجتماع هذا بصفته نائبًا لوزير الدفاع الإسرائيلى ، وإن الفرنسيين نظير اشتراك الإسرائيليين فى الهجوم على مصر قدمت صفقة البرنامج النووى إلى إسرائيل وتعاونها فى هذا المجال النووى ، وتم تسليم إسرائيل بمقتضى هذا الاتفاق إقامة مفاعلاً نوويًا فى صحراء النقب فى « ديمونة » هدية لإسرائيل نظير الدور الذى تقوم به إسرائيل فى عملية الغزو المشتركة ، وإن إسرائيل قد تسلمت المفاعل الذرى بمناسبة الحرب العدوانية ضد مصر ، وأن كتاب شيمون بيريز اعترافًا أكيدًا بأن مفاعل ديمونة كان لأغراض عسكرية لصنع قنابل نووية على وجه التحديد . وبذلك يكون رئيس وزراء إسرائيل قد رفع الستار عن ترسانة إسرائيل النووية كان شيمون بيريز وقتها نائب وزير الدفاع الإسرائيلى وهو الذى أشرف بنفسه على بناء المفاعل النووى فى ديمونة ووضع

اللمسات الأولى والأخيرة ومتابعة كل الإجراءات بشأنه وكان يتابع حركة العمل . فهو يعرف كل صغيرة وكبيرة وعدد القنابل والرءوس النووية ومن هنا قال فى مؤتمر صانعى السلام فى شرم الشيخ فى ١٣/ ٣/ ١٩٩٦م : « إننى أتحدث إلى المؤتمر من منطلق القوة » ، فهو محق فيما يقول فأين عرب السلام والحروب الخمس بما تقوم به إسرائيل . ويعد هذا التأكيد الإسرائيلى الذى لا يخفى على أحد فإن الولايات المتحدة فى عام ١٩٦١م فى عهد حكم الرئيس جمال عبد الناصر كتبت (انظر كتابنا ، الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين) وكيف أن إسرائيل كذبت على أمريكا (أمريكا تعلم حقيقة المفاعل الذرى فى ديمونة) بادعاء أنها أبعد ما تكون عن إنتاج سلاح نووى كذلك فإن الولايات المتحدة مارست أسلوب التمويه على مصر والدول العربية فى ١٥ يونيو ١٩٦١م بقولهم : إن الخبراء الأمريكيين وعلماء الذرّة قاموا بزيارة مفاجئة لديمونة فى صحراء النقب وأنهم تأكدوا أن المفاعل الذرى هو لأهداف سلمية فقط والخداع الأمريكى لمصر وللعرب وامتلاك إسرائيل حاليًا ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ رأس نووى ، وأن رئيس إسرائيل بن جوريون أكد للأمريكان الذين أقاموا إسرائيل ولا زالوا ملتزمون بسيادتها طرتها على العالم العربى ، أن مفاعل ديمونة هو للحصول على مصدر طاقة رخيص اعات الإسرائيلية ، وأن إسرائيل ليس لديها أية رغبة لإنتاج السلاح النووى (مراسلات خارجية الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت ١٩٦١ بين دين راسك وزير خارجية ـا للدكتور محمود فوزى وزير الخارجية المصرية) وجاء فى فقرات هذا الخطاب : « أن يات المتحدة سوف تستخدم كل نفوذها لمنع الانتشار النووى .. وأن الولايات المتحدة رصت على إبلاغ الجمهورية العربية المتحدة بنتائج التحقيقات التى أجراها العلماء لأمريكيون بالكشف عن المفاعل الذرى فى ديمونة . وأرجو أن تبلغوا الرئيس جمال عبد الناصر والمسئولين بالحكومة بمضمون رسالتى إليهم » التوقيع (دين راسك) .

وهكذا رغم التأكيدات الأمريكية لمصر فإن برنامج إسرائيل النووى أنتج ما يقرب من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ رأس نووى وترسانة من السلاح النووى ترفض إسرائيل الكشف عنها . وأنه عودة إلى الوثائق السرية التى نشرتها الخارجية الأمريكية عن الشرق الأوسط (١٩٦١- ١٩٦٢) مركز الوثائق الخاصة بالتسليح النووى الإسرائيلى وما حدث من تمويه وكذب وخداع إسرائيلى وذلك بأن كشف مسئول بالخارجية الأمريكية أن حكومة إسرائيل أبلغت واشنطن بأن مشروع ديمونة هو مصنع للنسيج (سذاجة العرب) ثم عادت وقالت : إنه مصنع لإنتاج المعادن ثم

بعد ذلك تأكدت الحكومة الأمريكية بأن مفاعل ديمونة هو ذرى فرنسي ، ولكن إسرائيل ذكرت بأنها ليس لديها أية خطط لإنتاج سلاح نووى وأكدت إسرائيل استعدادها لاستقبال وفد من العلماء الأمريكيين ومن الدول الصديقة لزيارة مفاعل ديمونة (مراسلات ١٩٦١ - ١٩٦٢).

إن سياسة الخداع الأمريكية للمسئولين المصريين أكدت الولايات المتحدة لها أنها تلقت من حكومة فرنسا بأن برنامج ديمونة فى حدود قوة ٢٤ ميجاوات وأن « البلوتويوم » الناتج عن المفاعل سيعاد تصديره إلى فرنسا (سذاجة الحكام العرب) كما أن فرنسا أكدت للولايات المتحدة أنها لن تشارك فى برنامج الإنتاج النووى فى إسرائيل ، بل إن أمريكا تعترف فى هذه الرسائل أن إسرائيل رفضت فتح مفاعل ديمونة أمام التفتيش والضمانات الدولية . بل أكثر من ذلك عندما تأكدت الولايات المتحدة فى التقدم الذرى الإسرائيلي وإنتاجها العديد من القنابل والرءوس الذرية فإنها بدأت هى نفسها فى مساعدة إسرائيل لإنشاء مفاعل للأبحاث الذرية فى ناحال شمال إسرائيل .

ولكن رغم كل هذه الأقوال الأمريكية والتى منها أن حيازة إسرائيل لأسلحة نووية سيكون لها انعكاسات خطيرة بالمنطقة ليس أقلها وضع أسلحة نووية سوفيتية فى الدول العربية المجاورة لإسرائيل لكن أى من هذا الاحتمال لم يحدث وأن مصر حاليًا تشعر بمدى الخطر الذى يهدد أمنها القومى لا سيما وجود هذا المفاعل على بعد ثلاثين كيلومترا من الحدود المصرية وإضافة إلى الترسانة النووية الإسرائيلية ، لا سيما بعد أن أذاع تليفزيون إسرائيل مساء ٢٧/ ٣/ ١٩٩٦ عن أنباء تسرب بعض الإشعاعات الذرية من مفاعل ديمونة إثر حدوث الزلازل فى الأشهر الماضية والذى جعل مصر والأردن وسوريا تدرك مدى خطورة وجود مخزون من الرءوس النووية الإسرائيلية ، فإن مصر لا تهدأ لها بال حتى تستطيع أن تجعل هذه المفاعل الأربع فى إسرائيل تحت إشراف الأمم المتحدة .

لا سيما أن العالم كله لا زال يذكر كيف حدثت الضجة فى الأوساط الدولية عندما خرج مهندس إسرائيلي اسمه « موردخاى فانونو » بعد أن هرب من إسرائيل وكان قد أمضى عشر سنوات عاملاً فنيًا فى مفاعل ديمونة الإسرائيلي ، خرج من إسرائيل منذ عشر سنوات وبالتحديد فى يناير ١٩٨٦م ومعه وثائق ٦٠٠ ستمائة صورة للمفاعل الإسرائيلي ماخينو

رقم ٢٢ الذى تصنع فيه الأسلحة النووية ووقعت هذه الـوثائق فى أيدى علماء بريطانيين قاموا بدراستها . وفى الخامس من أكتوبر عام ١٩٨٦م نشرت صحيفة (الصنداى تايمز) البريطانية أن علماء من أمريكا وبريطـانيا قاموا بدراسة هذه الـوثائق وانتهوا إلى أن إسرائيل تمتلك ما بين (١٠٠ مـائة إلى ٢٠٠ مـائتين سـلاح نـووى) كمـا أنها تمتلك تكنولـوجيـا صنـاعـة القنبلـة (الهيدروجينية) ، كما أنها تمتلك تكنولوجيا صناعة القنبلة (النيترونية) التى تفتك بالبشر دون أن تدمِّر المؤسسـات ، والكل يعلم أن الإسرائيلى فانونو تم خطفـه من قلب لندن ويمكن الاطلاع على قصة المخـابرات الإسرائيلية فى خطف « فانـونو » بواسطة عمـلاء الموساد الإسرائيلى وتمت محاكمته سريًّـا ولا زال محبوسًا حبسًـا انفراديًّا داخـل زنزانة رغم مـرور عشر سنوات على ذلك ولقـد صمتت عنـد ذلك كل منظمات حقـوق الإنسان الأوربيـة والأمـريكيـة عن حالـة هـذا الإسرائيلى ، ومن هنا فإن إسرائيل هى الدولـة الوحيدة التى تنفرد بامتلاك السـلاح النووى وأنه لذا لا تـوجد تصورات متماسكـة لأنماط استخدام قنـابل أو رءوس نووية فى أوضـاع الاحتكار الإسرائيلى وهى فى ظل القـول بأنها أسلحة ردع طالمـا لا يـوجد سـلاح نووى مضـاد فى المنطقة وأنـه فى ظل حالـة احتكار نـووى لا يمكن الحديث ببساطـة عن استقرار إقليمى يستنـد على أسس استراتيجية .

لـذا فإن إسرائيل تعتبر قوة نـوويـة إقليمية من طـراز خـاص فقد أشـارت تقاريـر ذات مصداقية عـالية منذ عام ١٩٨٦م إلى أن إسرائيل تمتلك مـا لا يقل عن ٢٠٠ رأس نووى وتثير حجم ترسانة إسرائيل النووية قضايا مختلفة منها قضية حد الكفاية فتبعًا لتقديرات الأكاديمى الإسرائيلى (شاى فلدمان) أن امتلاك إسرائيل مـا بين ٣٠ إلى ٤٠ قنبلة نووية استراتيجية ذات قوة تتراوح مـا بين ٢٠ إلى ٦٠ كيلو طن يكفى لتدمير كـافة الأهـداف المعلومة والمصـورة لدى إسرائيل فى كل من مصر وسوريا والأردن والعراق وليبيا والسعـودية بصورة تعيد هذه الدول إلى القرون الوسطى . وبالتالى فإن امتلاك إسرائيل لمـا يتجاوز بكثير حدود الكفاية المتصورة لها تثير قضايا كثيرة أهمها نوايا إسرائيل النوويـة فالردع النهائى لا يحتاج إلا إلى عدة رءوس استراتيجية قليلـة العدد لا سيما أن أسلحـة إسرائيل النوويـة لم تكن بعيدة على الإطـلاق خلال العقـدين الماضيين عن مسألة الاستخـدام سواء فيما يتصل بـالاستعداد للاستخـدام الجاهز أو بالتهـديد بالاستخـدام فهناك تقاريـر تشير منذ أوائل الثمانينات إلى أن إسرائيل قـامت بنشر عناصر من قوتها النوويـة فعليًّا على مسرح العمليات فى النقب والجولان فى كهوف أو عربـات متحركة وأن

هنـاك قواعد جـوية نووية وقـواعد صـاروخية نووية ومـواقع لتخـزين الأسلحة التكتيكية فى (تل نوف) وكفار زخـريا ، وشمال الجليل بحيث يمكن القول أن الأسلحة النـووية الإسرائيلية قد بـاتت ظاهرة للعيـون ، ولم تعد هذه الأسلحـة داخل القبو منذ فترة طـويلة حيث أصبحت إسرائيل تتصرف على نطاق معين ، وكأنها دولة نـووية معلنة وليس مجرد أسلحة نـووية وتقدمت أهميـة سياسـة الغمـوض النووى (تبعًـا لمحللين إسرائيليين ذوى ثقل) إلى مجرد غطـاء رسمى لواقع لم تكن إسرائيل تحرص كثيرًا على إخفائه .

ومن جـانب آخر تشير مصـادر متعددة إلى أن إسرائيل فكّـرت فعلاً فى استخـدام قواتها النووية مرتين على الأقل منذ أوائل السبعينات فقـد هددت إسرائيل باستخدام السلاح النووى يـوم ٧ أو ٨ أكتوبـر ١٩٧٣م وذلك عنـدما اشتـدت وطأة الهجـوم المصرى وقبل حدوث ثغـرة الـدفـرسـوار ليلـة ١٤ أكتـوبـر ١٩٧٣م حيث صـدرت إشـارات واضحـة حـول احتمالات الاستخدام النووى ضـد القوات المصرية ، كذلك صدرت إشارات واضحـة حول الاستخدام النووى خـلال حرب الخليج فى ينـاير ١٩٩١م عندمـا أصابت صـواريخ اسكودا العـراقية تل أبيب والمدن الإسرائيلية الأخـرى ، وكذلك لا تخلو تصريحات بعض قـادة إسرائيل العسكريين تجاه إسرائيل خلال العـامين الماضيين (١٩٩٣م) من إيحاءات نوويـة ، وكذلك عنـدما تحدث رئيس وزراء إسرائيل القتيل (إسحق رابين) حيث جـاءت أقوالـه مفـاجأة بالتهـديد بحـرب قادمـة رغم إصراره على احتفاظ إسرائيـل بترسانتها النـووية ومن هنـا فإن أمر امتـلاك إسرائيل للسلاح النووى لم يعد سرًّا على أحد فى العالم بأسره .

ومن هنا فإنـه ليس من المعقول فى عـالم القوة الذريـة الإسرائيلية والعلاقـات الإسرائيلية الأمريكية أن يطالـب أحد العرب بالتخلِّ عن أمنهم وسلامتهم طالما أن إسرائيل تنفرد بامتلاك السلاح النـووى وبعد أن افتضح أمرهـا وصرح به فانونـو وكذلك رئيس الوزراء نفسـه ولم يعد الأمر الإصرار على عـدم الامتلاك وأنها لا تقبل التفتيش على منشآتها النـووية من قبل الوكـالة الدولية للطـاقة الذرية وهذا سيكون كفيـلاً بإثبات أن لديها سلاحًا نوويًّـا لا سيما أن ترك الأمر ملتبسًا فى قضيـة بخطورة امتـلاك إسرائيل لترسانـة نووية يتعـارض ما هـو مطروح حـاليًا على الساحة بشأن السلام وأنه يحمل فى طياته معنى أن الحرب لا السلام ما زالت المرجعية السائدة وأن إسرائل ، لا زالت تتخذ الحرب المستندة إلى الأسلحة النوويـة ملاذًا أخيرًا لها فى حالة فشل مفاوضات فرض السلام بالصورة الإسرائيلية التى تريدها .

وبصورة أدق تستهدف إسرائيل بعدم بوحها بما تملكه من أسلحة نووية جعل فرض إرادتها على العالم العربى أمرًا تقرره هى دون إبداء العرب أدنى اعتراض وأنه بعد أن بات للعيان أن إسرائيل تمتلك هذه الكمية الهائلة من الرءوس وأنها تسير فى معاهدات الصلح وتوقيع السلام مع الدول العربية رغم عدم الاستقرار النهائى فى الشرق العربى ، فهل امتلاك السلاح النووى يضمن بقاء إسرائيل على المدى الطويل ؟

ليس هناك أدنى شك فى أن إسرائيل لا زالت تتخوف من العراق وليبيا وإيران وأحيانًا سوريا بل أكثر من ذلك فإن مخططى السياسة الإسرائيلية يذكرون أن مصر رغم توقيع اتفاقية السلام بعد معاهدة كامب ديفيد ١٩٧٩م فإن الإحساس بأن مصر الخطر الأول على إسرائيل لا زال ساريًا فى النفوس الإسرائيلية لإدراكهم مدى صلابة وعمق الشعب المصرى ، إن امتلاك الأسلحة النووية الآن يضمن بقاء إسرائيل على المدى الطويل وهذا ما سوف نعرض له فى فصل قادم عن عوامل زوال إسرائيل .

ولكن فليكن معلومًا لدى القادة الإسرائيليين وهم الذين يتيهون فخرًا بذكائهم كيف انهار الاتحاد السوفيتى إلى كيانات صغيرة وتمزق رغم امتلاكه للعديد من الأسلحة المتطورة وباعتبار أنه ثانى قوة عالمية بل الأولى عسكريًا فهل يضمن الامتلاك الذرى البقاء .

لقد أضاع العرب حقبة تاريخية هامة فى فترة الحرب الباردة والصراع بين القوى الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفيتى والقوى الغربية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية فى الفترة من (١٩٤٨ - ١٩٨٩م) ولقد كان الأولى بهم استغلال هذه الفترة الزمنية التى ظهرت فيها إسرائيل للوجود ككيان غير شرعىّ على أرض عربية فلسطينية وذلك قبل سقوط الاتحاد السوفيتى والعمل على الاستعانة بالخبرات العلمية للتكنولوجية التى تمكن العرب من إنتاج سلاح ذرى يتوازى مع إسرائيل ولا سيما أن العالم العربى لا سيما بعد حرب (١٩٧٣ - ١٩٨٩م) ستة عشر عامًا قد امتلك أكبر ثروة مالية تتاح لدولة أو مجموعة دول فى تاريخ العالم إذ قدر دخل العالم العربى فى تلك الفترة بأكثر من (٤ تريليون دولار) ثروة ضخمة هائلة لم يحسن استخدامها فى الإنتاج الذرى لا سيما أن العديد من الدول العربية كانت لديها الإمكانيات العلمية والخبرات الفنية والعلماء البارزين فى المجال النووى (مصر والجزائر والعراق) ولكن عدم التعاون العربى قد أتاح الفرصة لإسرائيل أن تتحرك وتتعاون مع الدول

الغربيـة فرنسـا (مفاعل ديمـونة فى صحراء النقب) والـولايات المتحـدة الأمريكيـة (مفاعل ناحال فى شمال إسرائيـل) كل هذا استطاع إنتاج أكثر مـن ٢٠٠ رأس نووى أو ٣٠٠ ثلاثمائة رأس والعرب فى ظل هذه السيادة لم يعقلوا شيئًا .

صحيح أن مصر فى عهد عبـد الناصر (١٩٥٨ - ١٩٦١م) حاولت التحرُّك للـدخول فى المجال النووى بإنشـاء (مفاعل إنشاص) وإرسال وفود علمية إلى الـدول التى ضمن عضوية النادى الذرى وقامت مصر بإرسـال وفد إلى الصين فى ظل رئاسة (شواين لاى) رئيس وزراء الصين وتقابل الوفد المصرى معه لكن كان رد رئيس وزراء الصين الاعتماد على النفس ، ولم يتح للعلماء المصريين فـرصة التعـاون مع علماء الـذرة الصينيين ، وتقـديم أدنى مساعـدة ثم كـان تدخل الـولايات المتحدة المبـاشر لدى القيادة المصريـة بعدم المضى قـدمًا فى تطويـر المفاعل الذرى المصرى فى إنشـاص وبذلك ضـاعت فرصة أخـرى من مصر كما لم تقم الدول العـربية بتقديم الأمـوال اللازمـة لمساعـدة مصر فى التطور والتقـدم العلمى الذرى لا سيما بعـد تجربة إطلاق صـاروخ الظافـر والقاهر ودور العلماء الألمـان فى ذلك المجال والـرسائل النـاسفة من جانب إسرائيل لهؤلاء العلماء وأسرهم .

كذلك لعبت إسرائيل دورًا فى تعطيل العمل فى المجال الـذرِّى المصرى بما كانت تقوم به من تهديـد العلماء الألمـان الـذين استعـانت بهم مصر بإرسـال الـرسـائل والطـرود النـاسفـة والحوادث الكثيرة التى حـدثت من تأثير انفجار هـذه الطرود والـرسائل وكـذلك تهديد أبنـاء العلماء وزوجاتهم فى ألمـانيا بالخطف وأعمال العصابات كـل هذا كان عامـلاً معطلاً فى سبيل تقدم العرب فى هـذا المجال الذى حازت فيـه إسرائيل مجال السبق ، كذلك فإن فرنسـا عندما قامت بمسـاعدة العـراق فى إنشاء المفاعل الـذرى العراقى بـالقرب من بغـداد فإن الطائرات الإسرائيلية قامت عـام ١٩٨٠م بضرب المفاعل وهو فى مرحلة الإنشاء وذلك بإعطـاء رسومات هذا الموقع لإسرائيل (فـرنسا تحصل على المـال من العراق وتمد إسرائيل بـالخرائط) وذلك بعد أن قامت الطائرات الإسرائيلية باختراق المجال الجوى الأردنى والسعودى وصولاً إلى العراق ثم العودة سالمة دون أن يشعر بها أحد .

كذلك فإن أثناء حرب الخليج الأولى (١٩٧٩ - ١٩٨٧م) فإن القدرات العراقية أخذت طريقهـا للتطور العلمى ، وحـادثة اغتيال الـدكتور يحيى المشد عـالم الذرة المصرى الـذى كان

يعمل لـدى العـراق فى بـاريس خير شـاهد على التـدخل الإسرائيلى فى شئـون العـالم العـربى للحيلـولة دون إحـرازه أدنى تقـدم فى هذا المجـال ، ولقـد كانت حـرب الخليج الثـانية وغـزو الكويت (١٩٩٠ - ١٩٩١م) نكسة كبرى على البرنامج العراقى وما تم من قيام الأمم المتحدة بتدمير كل الأنشطة العـراقية وإرسال مراقبى الأمم المتحـدة للتفتيش على كل شىء فى العراق وهكذا أضـاع العرب حقبـة تاريخيـة هامة دون تحقيق أدنى تقـدم مما تـرك المجال واسعًـا أمام إسرائيل ليكون لها ثقل السبق والعمل منفـردة فى المنطقة لكى تكون لها السيـادة وفرض الشروط التى تحقق لها إمكانية التفرد بامتلاك هذا السلاح .

بل أكثر من ذلك فإن إسرائيل قـد دأبت منذ ثلاث سنوات لإثارة العـالم الغربى وبصفة خاصـة الولايـات المتحدة ودول غـرب أوربا بما تـدعيه من قيـام إيران بإنشـاء مفاعل ذرى فى منطقة « خورشهر » بمساعدة روسيا الاتحادية وهو المشروع الذى كانت قد بدأته إيران من عهد الشاه رضـا بهلوى بمسـاعدة من ألمـانيا ثم توقف المشروع بعـد الثورة الإيـرانية بقيـادة آية الله خومينى عام ١٩٧٩م ثم رأت الحكـومة الإيرانية المضى فى هـذا المشروع فى العهد الحالى بقيادة «رفسنجانى» وتبـذل الولايـات المتحدة بقيادة « بل كلينتـون » جهدًا خارقًـا لدى روسيـا لعدم المضى فى التعاون مع إيران فى هذا المجال ولكن روسيـا ماضية فى التعاون مع إيران ولا سيما أن التقارير تشير إلى أن إيـران قد يتاح لها إنتاج بعض القنابل البدائيـة فى خلال بضع سنوات ثم نعرج على باكستـان وهى التى وضعت يديها على كل مقومات إنتاج القنبلـة الذرية التى يطلق عليها الغرب القنبلة الإسلامية .

إن إسرائيل تتـوجس خفيـة من أى إنتـاج ذرّى عـربى أو إسـلامى ؛ لأنها تـرى فى ذلك تهديـدًا لها ولكيانها الـدخيل ، لكن الأمور لـن تسير حسب رغبة إسرائيل والـولايات المتحـدة الأمريكيـة ذلك لأن الحاضر والمستقبل يحمل بين طياته أمور كثيرة فإنـه لن يمضى زمن طويل قد يكون بين عشرة أعوام أو عشرين عامًا حتـى يتاح لأى من الدول العربية (ليبيا - الجزائر - العـراق - مصر - سوريـا) إلا وتكـون قـد وضعت يديها على إنتـاج سـلاح يستطيع أن يجعل التوازن قائمًا بين العرب وإسرائيل .

ثم إنه حتى فى عدم قـدرة أى من الدول العربية السابق الإشارة إليهـا إنتاج سلاح نووى فى خلال عشرة أو عشريـن عامًـا فإن أى من الدول الإسـلامية الأخـرى (باكستـان - إيران - إندونيســيا - مالــيزيا - تركيا) تكون قـادرة على الإنتاج الـذرّى مما يجعل الأمور تسير فى غير

ما تشتهى إسرائيل من بقائها منفردة فى منطقة الشرق العربى أو الشرق الإسلامى بامتلاك السلاح النووى ، إن إسرائيل تدرك تمام الإدراك خطر امتلاك أى من الدول العربية أو الدول الإسلامية للسلاح النووى ، ومن هنا وفقًا لما أذاعته وكالات الأنباء من تل أبيب فإن صحيفة ها أرتس الإسرائيلية قد ذكرت أن إسرائيل تخطط للحصول على اعتراف أمريكى مكتوب لأول مرة لحاجتها إلى الاحتفاظ برادع استراتيجى - أى بأسلحة نووية - حتى فى حالة التوصل إلى السلام الشامل مع جيرانها العرب وقد قال « زائيق ستيف » المحرر العسكرى لصحيفة ها أرتس والمعروف بصلاته الوثيقة بوزارة الدفاع الإسرائيلية أن الجانب الإسرائيلى قد وضع نصًا بهذا المعنى فى مشروع الاتفاق الدفاعى المشترك مع الولايات المتحدة الذى سيوقعه الرئيس الأمريكى بيل كلينتون وشيمون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلى فى واشنطن فى أواخر شهر أبريل ١٩٩٦م ، وأضاف المحرر العسكرى « زئيف ستيف » أن إسرائيل تقترح إدراج هذا الاعتراف فى فصل سرّى للاتفاق الدفاعى الذى سوف يعرف باسم ميثاق التعاون الاستراتيجى والأمن المتبادل لا سيما أن الولايات المتحدة سوف تقدم لإسرائيل مظلة واقية حقيقية لأمن إسرائيل وسيكون ذلك أغلى هدية لبيريز والحكومة العمالية الإسرائيلية وسوف تقدم واشنطن أقوى ما تملكه من تكنولوجيا حديثة مع المعلومات السرية جدًا للمخابرات العسكرية الأمريكية إضافة إلى تحالف عسكرى حقيقى تعترف فيه أمريكا بالقوة النووية الإسرائيلية وإقامة محطة أرضية أمريكية فى إسرائيل للتجسس بالأقمار الصناعية الأمريكية ويعلق المراقبون العسكريون على أن هذه الاتفاقيات الاستراتيجية بين إسرائيل والولايات المتحدة سو ف تجعل إسرائيل الولاية الإحدى والخمسين (٥١) للولايات المتحدة الأمريكية .

ومن كل هذا نلحظ أنه كيف ترك العرب فرصة امتلاك إسرائيل لهذه الكميات من القنابل الذرية وكيف خدع الأمريكان مصر والعرب بقولها: إن إسرائيل تبنى مصنع للمعادن أو المنسوجات فى ديمونة أو أنه يستخدم للطاقة الشمسية حتى فوجئ العالم باعترافات الخبير الإسرائيلى فانونو وكذلك اعتراف شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل فى كتاب (معارك السلام) بامتلاك إسرائيل للسلاح النووى وكيف أن إسرائيل سوف تعقد فى أبريل القادم (١٩٩٦م) اتفاقًا أمنيًا مع الولايات المتحدة تسمح منه الولايات المتحدة بامتلاك إسرائيل للسلاح الذرّى فى ظل اتفاقيات السلام الشامل مع العرب .

ونقول إن امتلاك إحدى الـدول العربية أو الإسلامية للسلاح النـووى قد لا يشكل خطرًا مباشرًا على وجـود إسرائيل أو قد يكون العـامل الفاصل فى نهايـة الكيان الإسرائيلى من الأرض العربية ولكن ربما قد يساعد على أن يكون عامـل قوى فى يد العرب أو إحدى الدول الإسلامية لكى تحد من أطماع إسرائيل كقـوة فى المنطقـة ويحاول أن يجعلها فى حجمهـا الطبيعى ويحد من طموحـاتها للسيطرة على المنطقة العـربية لمـا تملك من قـدرات نووية ؛ لأن التـوازن بين العرب وإسرائيل فى السـلاح النووى هـذا يكون لـه أبعـادًا أخرى مستقبليـة ذلك لأن العرب والعـالم الإسلامى الـذى يمتلك السلاح النـووى سواء إيران أو بـاكستان أو إندونيسيـا أو ماليـزيا لن تستطيع أى من هذه القوى إزاحـة أو إزالة إسرائيل فى ظل وجود الولايات المتحـدة الأمريكية والدول الغربية كقوة أولى مسيطرة على مقاليد الأمور فى العالم إذ أن الارتباط الأمنى والعسكرى والدفاعى بين الولايات المتحدة وإسرائيـل سوف يكون عامل ردع مباشر للعرب والمسلمين فى محاولة إزالة إسرائيـل لا سيما وقد سبق أن قال بروز تيتـو رئيس يوغوسلافيـا وأحد أقطاب دول عدم الانحيـاز أن إزالة إسرائيل أو إلقائهـا فى البحر يقتضى إلقـاء أو إزالة الولايـات المتحدة الأمريكيـة لكن إسرائيل سوف يتم إزالتها على مـراحل لا سيما أن العالم العربى سـوف يتطور ولن يكون السـلاح النووى قـادرًا على حماية وجود إسرائيل ذلـك ؛ لأن الاتحاد السوفيتى كأكبر قوة مضادة للـولايات المتحدة قد انتهى دون طلقة واحـدة وتفسخ المعسكر الاشتراكى ولم يعد لها وجود على الساحة العالمية كقوة كبرى ثانية تناوئ المعسكر الرأسمالى الغربى ، لكن إسرائيل فى ظل الـوقـاية الأمـريكيـة والمظلة التكنولوجيـة المتطـورة لن تستطيع أن تحفظ أمن وكيـان إسرائيل ؛ لأن الشعب الفلسطينى ومن خلفـه العـالم العـربى والإسـلامى يـدرك أن القـدس إسـلاميـة وأرض فلسطين عـربيـة من النهـر إلى البحـر أى من نهر الأردن إلى البحـر الأبيض المتـوسط تكـون فلسطين رغم السـلاح النـووى فـالفلسطينيـون قـادرون لا محالـة بما لهم من إمكانيات للعمل على إعادة الأرض إلى أصحـابها الشرعيين ولن يحمى السلاح النووى إسرائيل من أن تسقط تحت عجـلات التاريخ الـذى وقع فيه غـلاة الصهيونيين ومن دعمهم من قـادة الغـرب ؛ لأنهم لم يقـرأوا التـاريخ وإذا كـانوا قد قـرأوه فإنهم لم يفهمـوه وإن كـانوا قـد فهموه فإنهم لم يستفيدوا من التجارب التاريخية الخاصـة وذلك طبقًا لمـا جاء فى التوراة (بأنهم شـعب لا يفهمون) .

فلن تكون القنابل الذرية درعًا واقيًا ضد إرادة الشعب الفلسطينى إلا أن يعيش اليهود ى ظل دولة فلسطين عربية تجمع المسلمين والمسيحيين واليهود فى ظل كيان واحد يمقراطى دولة علمانية حديثة لا تكون فيها كيان لليهودية كعقيدة تقام عليها دولة مغتصبة من شعب فلسطين .

لا سيما إن هناك إحصائيات تقول إنه خلال أقل من ٥٠ عامًا ستكون هناك حوالى ١٠٠ ولة تمتلك أسلحة نووية بما فى ذلك دول فقيرة ، ولا شك أن من بين هذه المائة دولة لابد أن كون هناك دولة عربية متعددة بل دول إسلامية أيضًا وأن ذلك سيمثّل خطرًا شديدًا على لكيان اليهودى وعلى استقرارها السياسىّ فى الشرق العربى بل على استقرار العالم وأن هناك دد قليلا من الدول التى لديها إرادة سياسية وشرعت فى امتلاك أسلحة نووية (ليبيا - إيران - العراق - سوريا - مصر - باكستان) بل أن هناك دول عربية أو غير عربية تستطيع شراء ذه الأسلحة من الدول النووية الموجودة حاليًا ، لا سيما أن كوريا الشمالية متطلعة إلى بيع هذه لأسلحة بعد أن ضربت رقمًا قياسيًا فى بيع الصواريخ النووية طويلة المدى .

إن المرحلة القادمة بل العقد الأول من القرن الحادى والعشرين سوف يسفر عن تغيرات جديدة فى الساحة العالمية ولا شك سوف تبرز قوى أخرى صاعدة سيكون لها دور أكبر وأهم ى صنع القرار السياسىّ فى الشرق العربى ولن تكون لإسرائيل القدرة على الحماية فى ظل سلاح النووى ؛ لأنه لن يوفر لها هذا السلاح الوجود فى ظل الخصم العربى الذى يصل عداده إلى ٣٠٠ مليون نسمة .

* * *





الولايات المتحدة الأمـــريكيـــة والتـــــوازن العـــــالمى ..

نحن نعلم علم اليقين أن الولايات المتحـدة الأمريكية تقود حاليًا المسيرة العـالمية منفردة
هى التى تتربّع على عـرش القوى العظمى الوحيـدة فى العالم بعـد اختفاء الـدب السوفيتى
ن ذلك لن يدوم ولن يطـول هذا الانفراد ولكن لمرحلـة تاريخية قد تطـول إلى عشرة أعوام أو
ين عامًا ولن تطول أكثر من ذلك بل ربما قـد تقل إلى ربع قرن (٢٥عاما) ، ولكن الولايات
حـدة تدرك ذلك فإن هـذا التفـرد لن يدوم طـويـلا ، ومن هنا فإنها تعمل دون تـوقف على
يـرها عسكريـا بل إنها تتقدم لتكـون على مشارف ثورة حقيقيـة فى عالم تكنولـوجيا الحرب
تيكات المعارك وأنها تعمـل على امتلاك إمكانيات ومصادر عسكـرية أمريكية جـديدة بل
انيـات فائقـة القدرة والتطور والتقـدُّم إلى الحد الذى يمكن الحكم على تكنـولوجيـا حرب
يج الثانية عام ١٩٩١م ، بأنها حـرب بدائية مقارنة بما تصل إليه أمريكـا حاليًا . وقد نقلت
حيفة (لـوس أنجيلوس تـايمز) عن خبير عسكرى بجـامعة (خون هـوبكنز) قـوله : إن
روب القرن الحادى والعشرين ستكـون مختلفة تمامًـا عن حروب اليـوم حيث سيمتد ميـدان
ركة لمساحة ٣٠٠ ميل إضافة أن القتال فى الميدان سوف يكون ليلا ونهارًا أو فى ظل الأحوال
يـة السيئة وأن الحروب لن تكـون لأيام قليلـة وليس شهـورًا أو سنوات كما كـان يحدث فى

الماضى ، وقـد ذكر أحد خبراء حـروب المستقبل فى البنتاجـون أنه لن يتم الاكتفـاء فى المستقبل بالوصول إلى التفـوق الجوى فى ميدان المعركة ولكن سيتم ضمـان السيادة فى المعلـومات بتدبر أنظـمة الرقـابة والـرادار التابعـة للعـدو وإصـابتها بالتشـويش وقـد أوضحت الصحيفـة (لوس أنجيلـوس تايمـز) قولها : إن التغييرات فى حروب المستقبل قـد تم تطويـرها فى مختبرات قتـالية تـابعـة للجيش وأن بعض نـوعيـات التكنولـوجيـا الجديـدة أصبحت جاهـزة بـالفعل للاستخدام لكن معظمها سيكون جاهزًا قبل نهاية هذا القرن أو على الأكثر فى عام ٢٠٢٠م.

ورغم هذة المقدمة والدباجة عن الولايات المتحدة الأمريكية إلا أننا نقول : إن الولايات المتحدة الأمريكيـة تواجه العديـد من التحديات الـداخلية والخارجية السياسيـة والاقتصادية والاجتماعية التى لاشك سـوف تؤثـر على خط نجاحها فى قيـادة العالم ذلك ؛ لأنـه إذا سارت الولايات المتحدة فى تنمية الاتجاه العسكرى لكى تكون لها السيادة الأولى على العالم والتوسع فى تكاليف الإنفـاق العسكرى فإن ذلك سوف يـؤدى فى النهاية إلى حـالة من الإفلاس والـديون وهبوط المستوى الاقتصـادى ذلك ، لأن الاتحاد السوفيتى عندمـا إنجرف فى الصراع العسكرى مع الولايـات المتحدة واتجه إلى الإنفـاق المتزايد على أبحـاث الفضاء وسفن الفضـاء والإنتاج الحربى كالصـــواريخ والقنـابل والمعـدات المتطـورة فإن الحال الـذى وصـل اليـه الاتحاد السوفيتى عام ١٩٨٩ عنـدما تصدعت هذه الـدولة الكبرى نظرا للإفـلاس الاقتصادى وهبوط مستوى المعيشـة وعدم الاهتمام بمصـالح الشعب على حسـاب الإنفاق العسكـرى والأبحاث التكنولـوجية المتقدمـة وبذلك انهارت هذه القوى الكبرى الثـانية فى العالم وبـات علماء الذرة والصواريخ والفضـاء ومراكـز الأبحاث يعيشون فى مستـوى اقتصادىّ متدنـى مما دفعهم لبيع أنفسهم فى الأسواق العالمية لمن يدفع وهاجر كثير من العلماء إلى أوربا والولايات المتحدة ودول الشرق كإسرائيل وإيران والعراق وليبيا .

إضافة إلى أن السيـاسة المـالية الأمريكيـة الخاطئة سوف تؤدى إلى زوال الطبقـة الوسطى وفقدان الاحترام الدولى لا سيما أن ديون أمريكا حاليا تصل إلى أربعة تريليون دولار هذا فى عام ١٩٩٢ أمـا فى عام ١٩٩٥ فإن ديـون أمريكـا قد وصلت إلى ٦,٢ تـريليون دولار وأن الـدولار سوف يفقد قيمته على المدى البعيد بحلول عام ٢٠٠٠ حيث ستكون ديون أمريكا ٢٢ تريليون وأن فوائد هـذه الديون لكل من اليـابان وألمانيا والسعوديـة وغيرها من الدول الـدائنة يصل إلى

٦١٩ مليار دولار وأن الولايات المتحدة فى المدى البعيد ٢٠١٠ سوف تفقد آليات السيطرة على ديونها وفوائدها وتفاقم العجز فى الموازنة العامة وآثارها الاقتصادية والمادية بل أن إنهاك الولايات المتحدة فى مواجهة الأزمات الخارجية (الشرق الأوسط ، البوسنة والهرسك ، الصين ، تايوان ، كوريا الشمالية ، العراق ، إيران) سوف يكلّفها الكثير من الأموال مما يساعد على زيادة التضخم والركود وتبدأ الطبقة الوسطى بالزوال وفقدان السمعة العالمية والاحترام الدوليين والخروج من نطاق المنافسة التجارية والاقتصادية وقد بدأ ذلك بخسارة بعض المعارك الخارجية أمام اليابان وألمانيا وذلك مما يفقد الولايات المتحدة قدراتها الاقتصادية . لا سيما أن التحرك فى دول جنوب شرق آسيا قد بدأ يأخذ بعدا آخر يشكل أكبر خطر عليها فى المستقبل القريب ، ذلك ؛ لأن إنتاج هذه الدول يشكل ٢٤٪ من الإنتاج العالمى يضاف إليه إنتاج الهند ١٢٪ من الإنتاج العالمى يكون ٣٦٪ من الإنتاج العالمى فى الهند والصين واليابان وتايوان وهونج كونج وكوريا الجنوبية وتايلند وماليزيا و إندونيسيا والفلبين وفيتنام وقيام وظهور هذه القوة الاقتصادية الكبرى مما يعنى تعادل إنتاج ٢٤٪ مع إنتاج كل من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك (النافتا) ٢٤٪ ولكن مع نهاية عام ٢٠٠٠ سوف يكون إنتاج هذه الدول ٣٣٪ من الإنتاج العالمى مما دفع دول أوربا الخمسة عشر للتوجه إلى بانكوك عاصمة تايلاند لعقد مؤتمر الدول الخمسة والعشرين التى تضم عشرة دول آسيوية لمناقشة مستقبل التجارة العالمية والإحساس بقوة هذه الدول الآسيوية الكبرى يفقد أمريكا القدرة على التحكم فى حركة الصادرات والواردات العالمية وعدم القدرة على فرض العقوبات الاقتصادية .

والذى ينظر الى المدى القريب يدرك أن أبناء اليابان كانوا وراء كل هذه التحركات الاقتصادية والتقدم الاقتصادى الهائل فى البلدان الآسيوية ، النمور وغيرها الفلبين وبورما وفيتنام وذلك ؛ لأن اليابان لا تنسى للولايات المتحدة استخدامها القنابل الذرية فى ضرب هيروشيما وناجازاكى عام ١٩٤٥ فى الحرب العالمية الثانية بل إنها لم تكتف بذلك بل قامت بإزلال الامبراطور اليابانى رمز الشمس والقوة للشعب اليابانى عند توقيع معاهدة الاستسلام للقائد الأمريكى كل ذلك كان دافع قوى لكى تتحرك اليابان كقوه اقتصادية كبرى عالمية قادرة على إنتزاع زمام المبادرة من الولايات المتحدة لأن التحرك اليابانى فى دول النمور وغيرها من جنوب شرق آسيا قد دفع بها مليارات الدولارات فى هذه الدول ، فنجد مثلا فى خلال ست سنوات ١٩٨٦ - ١٩٩٢ كانت الشركات اليابانية تستثمر ٤٧ مليار دولار فى آسيا ذلك ؛ لأن

اليـابان كـانت وراء النجـاح الاقتصادى المتكـرر فى آسيـا ، إضـافة إلى أن كثيراً من الشركـات اليابانية نقلت مصانعها إلى الأسواق الأمـريكية والأوروبية التى تبيع فيها منتجاتها كذلك كان انتقال الشركات اليابانية الأخـرى إلى دول النمور وكذلك اتجهت بعض الشركات إلى بقية بلاد النمور الأخرى لكى تخلق التوازن مع الولايات المتحدة بل تجاوزتها ومن هنا نحن نشهد التطور العلمى والتكنـولـوجى القـادم من دول النمور واليـابـان والصين فى شكل تهديـدًا خطيرًا على الاقتصاد الأمـريكى الذى لا بد أن يواجـه العديد من المشـاكل على المدى القريب لا سيما أن الصين تتجه إلى ضم هونج كونج فى مايو ١٩٩٧ وكـذلك جزيرة مكاو البرتغالية وأيضا تحاول ضم تايوان (٢٢ مليـون صينى تايوانى) بأى شكل من الأشكال سواء سلما أو حربًـا مما يدفع بالصين بالتعاون مع دول (الأسيان) إلى تحدِّى القوى الاقتصادية الأمريكية (النافتا)بالاشتراك مع المكسيك وكندا ، ومن هنا فالواضح جليا أمام العين أن أمريكا لن تكون القوى الاقتصادية الأولى بـالتعاون مع بـاقى دول (النـافتـا) أو مع دول غرب أوربـا ولا بـد أن تعترف الولايـات المتحدة أن النمو الاقتصادى السريع فى آسيا هو التحدِّى الأكبر لوجودها وكيانها كقوى عالمية أولى ذلك ؛ لأن هذا التطور سـوف يؤدى إلى أزمة تجارية مستعصيـة لها . لا سيما أن العديد من الـدراسات التى أشـارت إلى قـوة اليابـان والصين وبقية دول آسيا أشـارت إلى تراجع الـدور الأمـريكى اقتصـاديـا بل عسكـريا على المدى البعيـد (ربع قـرن ٢٥ سنـة) ذلك لأن القـوه الآسيوية هى التحدى الحقيقى القادم فى القرن الحادى والعشرين ولكن الخطر الأكبر يأتى من الصين القوة العـالمية الكبرى ١,٢٥٠ مليـار ومائتين وخمسين مليون نسمـة القوة الاقتصـادية الصاعدة والتى تحاول أن تتقـارب مع اليابان على حساب التقارب اليـابانى الأمريكى ومن ثم فإن قوة آسيـا لابد أن تضع نهايـة للولايات المتحـدة لاسيما أن الصين تشهد مـرحلة من التغير الشامل فى المستقبل القـريب فى الوقت الـذى تحقق فيه طفرات اقتصـادية قويـة تدفع بـالآلة الأمريكية المتطـورة إلى عـدم القـدرة فى المنافســة مع اليابان والصـين والنمور الآسـيوية ومن هنا تسعى الولايات المتحدة إلى التحالف مع اليابان والتعامل معها فى المرحلة القادمة كحلفين لا خصمين ولما كان التقـدم الاقتصادى الصينى عامـلا حاسما فى وقف القوة الأمـريكية ؛ فإن ذلك سوف يشكل نزعة قومية كجزء من سياسـة الدولة فسوف تنمو القوة العسكرية للصين مما يدفع الولايات المتحدة إلى التودد لليابان لكن اليـابان بالحس الأسيوى ترى أن إهانة الولايات المتحدة لـلامبراطور اليـابانى درسًـا قاسيًـا لن ينساه المواطن اليـابانى الـذى يحس بالكـراهية

الشديدة للـذين استذلوا رمزه وإمبراطوره ومن هنـا لن يكون التقارب اليابـانى الأمريكى بقدر التعامل مع الصين من منطلق المصـالح الآسيوية ، بل أكثر من ذلك فإن سيـاسة بكين تحرص على تجنب التحالف مـع اليابان فى المرحلـة المالية ؛ لأنها سـوف تظل ملتزمة بـوضع مستقل فى الشئون الدوليـة معتمدة فى ذلك على قوتها الاقتصادية والعسكـرية بل إنها تحرص على التعامل مع الولايات المتحدة واليـابان بشىء من الريبة وانعدام الثقة ، لكن السياسـة الصينية السابقة كانت تفضل التعامل مع الولات المتحدة على حساب كل من اليابان وروسيا لكن توازن القوى فى المنطقة يستدعى التقارب مع اليابان والـروس لا سيما بعد تدخل الولايات المتحدة فى الأزمة القائمة حاليًا بين الصين وتايوان (مـارس ١٩٩٦) إن الصين تدرك مدى قوة نفوذها فى مناطق مثل كوريا وتايوان وشبه الجزيرة الصينية .

إن التطور الاقتصادى والصناعى والعلمى والتكنولوجى والعسكرى فى جنوب شرق آسيا بالتحرُّك والتعاون من اليابان والصين ودول النمـور السبع يضاف إليها مستقبلا الفلبين وبورما وفيتنام لتكون دول النمور العشر هـو الخطر الحقيقى الذى يعيد للعالم توازنـه ويجعل الولايات المتحـدة مهما بلغت من تطور عســكرى وعلمى وتكنـولوجى متطـور جـدًا ومتقدم جـدًا فإن التـوازن قـادم لامحالة ولـن يطـول به الزمن إذ لا بد أن يحدث حتمًـا وحقيقـة فى مدى عشــرة أو عشرين عامًا على أكثـر تقدير ويومها لـن تكـون الولايات المتحدة صاحبة القـرار الوحيد فى إدارة كفة الأمور فى العالم .

ذلك لأن التطور الآسيـوى قادر على جعل الـولايات المتحدة تتراجـع عن الانفراد ولكن التوازن العالمى سنة طبيعية فى الكون ولذلك فإن التوازن العالمى سوف يدفع بالولايات المتحدة لا أقول إلى الصف الخلفى فى المسيرة العالمية ولكن ربما تكون القوه الثـانية عالميا وربما الثالثة ؛ لأن قوة الصين مستقبلا ستكـون هى القادرة على قيادة المسيرة تليها اليابـان بالتحالف مع دول النمور وبـذلك فإن الحماية الأمريكيـة لإسرائيل (الولايـة ٥١ الأمريكية) لن تكـون صاحب الدور الفعـال فى الشرق العربـى لأن الاعتماد على البترول كمصدر للطاقـة سوف يقـل وسوف تكون هنـاك بدائل متعـددة ولكن يكون الاعتماد على إسرائيل لتحقيـق المصالح الأمـريكية فى المنطقة وسوف يجد العالم العربى فى القوه الآسيوية خير سند له يحاول التقارب معها والاستفادة من أخطاء الماضى وعدم القدرة على التعـامل مع الاتحاد السوفيتى لتحقيق الأهداف والمصالح

العـربية لأجل تحقيق الهدف الأكبر لها وهـو إعادة الحق الشرعى للشعب الفلسطينى فى أرضـه التى سلبها العـدو الإسرائيلى بمساعـدة الولايات المتحـدة والتحالف الغـربى وبذلك يستغل العـرب التطـور على المدى الطويـل ولا سيما أن تعمل الدول العـربيـة على التعـامل مع القـوة الصينية فى مجال الأمن القومى العربى الذى تسعى إلى مزيد من الفهم للاستراتيجية العسكرية العالمية فى ذلك الوقت لاسيمـا فى الربع الأول من القـرن الحـادى والعشـــرين وكيفية حصولها على الأسلحة الصينيـة المتطـــوِّرة التى تضمن الكيان العـربى وجوده فى ظل تـوسع الصين فى مبيعات الأسلحة ؛ لأن هذه القضايا تحتاج إلى تنسيق شامل بين العرب والصين وشرق آسيا .

هذا عن البعد الاقتصـادى الذى سوف تتردى فيه الولايات المتحـدة بتوسعها فى الإنفاق العسكرى الذى سـوف يتطور أكثر فى المقابل فى الصين واليابان ودول النمـور وذلك هو البعد الخارجى الذى يفقد الولايات المتحدة قيـادتها بل وربما توازنها فى الكيان العالمى كدولة عظمى ثالثة وليس ثانية لكن النهاية التى انتهى إليها الاتحاد السوفيتى قد دفعت دوله إلى الانحدار إلى مصاف الدول غير المتقدمة كما دفعت أكبر دولة (روسيا الاتحادية) إلى أن لا تقف اقتصاديا فى الدول السبع المتطـورة اقتصاديا وعلميـا وهكذا سوف يكون حـال الولايات المتحـدة مع نهاية الربع الأول من القرن الحادى والعشرين (٢٠٢٥ م) .

وهـذا عن البعد الاقتصـادى والتحـدى الـذى سيواجـه الـولايات المتحـدة على المدى القـريب أو البعيـد من دول جنـوب شرق آسيـا ومن حيث ظهـرت العـديـد من الـدراسـات والبحوث التى تـدرس هذه الظاهـرة وذلك التحدى ومنها كتاب أمـريكا (الولايـات المتحدة الأمريكيـة) واليابـان وآسـيا . والـذى بدأت تتجـه أمريكـا إلى هذا الجزء من العـالم بعد إنهاء الحرب الباردة .

وهناك أيضا البعد الـداخلى للولايات المتحدة فإننا نقول : إن اكتشـاف أمريكا قد تم فى عـام ١٤٩٢ وأن الهجرة قـد تدفقت أولا من البرتغـال وأسبانيـا ودول غرب أوربـا والولايـات المتحدة الأمـريكية ويشكل سكانها البالغ عـددهم أكثر من ٢٦٠ مليون نسمـة من جنسيات مختلفة يشكل منهم ٤٠ مليون من أصل أيرلندى فقط إضافة إلى سبعة ملايين زنجى وأكثر من ثمانية مليون مسلـم وأكثـر من ثمانية مليون يهودى وكذلك الطوائف الآسيـوية التى قدمت من دول جنـوب شرق آسيـا وكذلك المكسيك ودول البحـر الكـاريبى وأمـريكـا الجنوبيـة ، هـذه

الجنسيات المتعـددة التى يتكون منهـا المجتمع الأمريكى يعيش فيـه جو من المتنـاقضات التى سيطـر فيها الجنس الأبيض الأوربى والسـلاف والـروسى والألمـانى على مقـاليـد الأمور يـدفع بـالحقد والكـراهية للعنـاصر الـزنجية التى تعيش فى الأحيـاء الفقيرة المحـرومة من الخدمـات والتفرقة بين البيض والسود فى العديد من المجالات يوحى بظهور حالة من الكراهية والانقسام والتفـاوت فى المستوى الاجتماعى ممـا يشكل خطـرًا اجتماعيًّا يهدد الكيان الـواحـد للولايـات المتحدة الأمريكية إضافة إلى الولايـات المتحدة الأمريكية تتكون من خمسين ولاية (٥٠ ولاية) فى شكل وحدة فيـدرالية قد تم تـوحيدها بقـوة السلاح عام ١٨٥٦م عنـدما قامت الـولايات الشمالية بضم الولايـات الجنوبية فى عهد جـورج واشنطن وكذلك توجد متنـاقضات بين هذه الولايات ؛ لأنها لا تشكل جميعًـا مستوى متقارب فى الدخل القـومى والإنتاج المحلى ومتوسط دخل الفـرد إضـافـة إلى تحرر الـزنوج أخيرًا فى شكل قـوة لابـد أن يكـون لها تأثيرهـا على مجرى الأحداث لا سيما الأحداث الأخيرة التى قـادها الزعيم المسلـم (فاراقان) وقيـادته لمسيرة مليون شخص من الزنـوج وقيامه بـزيارة الدول العـربية التى تأخـذ موقفًا مضـادًا لسياسة الـولايات المتحدة حيث زار ليبيا وإيران والعراق وسوريا وأن ظهور هذا الشعور الإسلامى الزنجى سوف يؤدى إلى ظهـور قوة لها تأثيرهـا المستقبلى فى السياسـة الأمريكيـة ، لكن الذى ينظـر من زاوية الأحـداث القريبـة وكيف تفسَّـخ الاتحاد السـوفيتى المكون من أكثـر من خمسة عشرة دولـة إلى كيانات صغيرة ودول متعددة ٣ دول فى بحر البلطيق وسـت دول فى جمهوريات آسيا الوسطى . إضافة إلى جـورجيا ، أبخازيا ، أرمينيا ، روسيـا الاتحادية ، أوكرانيا ، روسيـا البيضاء وغيرها من الكيانات الصغيرة .

هـذا التفكك ربما يأخـذ قيـاسـا على الولايـات المتحـدة الخمسين التى تـرى على المدى القريب أو البعيد قد تحدث بعض المناقضات التى ربمـا قد تسفر عن انشقاق فى هـذا الاتحاد لا سيما أن نظام الولايات المتحدة هو نظام فيدرالى .

وبذلك فإن احتمالات المستقبل لن تكـون أبدًا فى صالح الـولايات المتحدة ربما إحـرازها للعديد من الانتصـارات العلمية الباهرة ، كـالوصول إلى القمر وهبوط أرمستـرونج منذ ٢٧ عام (١٩٦٩) على سطحـه وبناء مسـاكن على سطح القمر منـذ ٣١ ينايـر ١٩٨٦م والوصـول إلى المريخ فى عهد الرئيس السـابق جورج بوش وكذلك إعلان حرب الكواكـب منذ عهد الرئيس الأسبق ريجان وكذلك التقدم الهائل فى سفن الفضاء وإرسال مكوك الفضاءوحشد هذه السفن

بـالعديـد من الـرِّجال والأقمار الصنـاعيـة لـلأبحاث العلميـة والتجسس وتقـدم المعلومـات والإلكترونات وغيرهـا من الأمور المتطورة جدًا فى مجال أبحـاث الكمبيوتر وكـذلك الاستشعار من البعـد والقـدرة على اكتشـاف مـا فى بـاطن الأرض ومـراقبـة تحرك كل شيء على الأرض ، وكذلك التقدم الهائل فى علم الهندسة الـوراثية وعلم استنسـاخ الأجنة وكذلك غيره الكثير من المجـالات التى لا يتسع المجال هنـا لحصرهـا وكل هذه الأمـور المتطـورة علميا وتكنـولوجيـا وهندسيًّـا وصناعيًّـا لن تشفع للولايـات المتحدة بأن تقعد بمفـردها لقيـادة العالم منفـردة بعد القضاء على المعسكـر الاشتراكى الشيوعى ، بل لابد من ظهـور قوة متوازنـة تتمثل فى آسيا بل وربما سيكون ما حـدث من تفكك الاتحاد السوفيتى سوف يؤدى إلى تفكك الـولايات المتحدة المكـونة مـن خمسين ولاية ربما إلى عـدة دول ممـا يفقـد هذا الكيـان المتقـدم علميـا وحضاريـا وتكنولـوجيا إلى عدة كيانـات لاسيما أن الدرس قائم قريبًـا من الولايات المتحدة الأمـريكية فى الشمال حيث كندا وما تسعى إليه ولاية كويبيك الفرنسية فى محاولة الاستقلال عن كندا الناطقة باللغـة الإنجليزية وما يحدث أيضـا فى الدولة الثـالثة المكسيك المنضمة إلى النافتـا حيث ثورة العناصر البدائيـة من الهنود الحمر وثورتهم ضد الحكم بـاعتبار أنهم أهل البلاد الأصليين ، فإن هـذه الأحداث التى تـدور على الجنوب منهـا وعلى الشمال أيضا قـد تدفع بإحـدى الولايـات الأمريكية والتى لاتتوافر لها العناصر البيضـاء إلى الاندفاع إلى إعلان استقلالها عن الكيان الأم (خمسين ولاية) وبذلك فلن تكون الولايات المتحدة فى ظل حالات التمزق السياسى والانهيار الاقتصادى بقادرة على الانفراد بتوجيه السياسـة العالمية دون أدنى تنافس أو معارض ، وبذلك تفقـد إسرائيل جهودهـا كقوة فى الشرق العـربى لاسيما أن الارتبـاط بين الكيان الـدخيل وبين الولايـات المتحدة هو ارتبـاط عضوى مصيرى لكن الأحـداث المستقبلية سوف تظهـر لامحالة ظهور قـوه عالمية تعيـد التوازن العالمى إلى حالتـه الطبيعية مثلما كان قبل انتهـاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتى ومن هنا سوف تكون هناك سياسـة أمريكية جديدة تجاه العالم العربى والإسلامى تنطلق من رؤية مخالفة عما كان عليـه الحال فى أواخر القرن العشرين من تحيز كامل لإسرائيل على حسـاب الحق العربى الفلسطينـى لاسيما أن أمريكـا تتعامـل مع العالم العـربى والإسلامى بنـاء على نصيحة ريتشـارد نيكسون رئيس الولايـات المتحدة الأمـريكية الأسبق فى كتابه (مابعد السلام) والذى دعا فيه أمريكا إلى معاملة العالم العربى والإسلامى ليس كوحدة واحدة ولكن التعامل معه كوحدات سياسيـة مستقلة تشكل مجموعة من الدول لكل دولة منها

مصالحها ومواقفها وباعتبار أنها ستمر فى رحلة السلام بحالة من التوتر السياسى وهذا ما حدث فعلاً فى مؤتمر مدريد ١٩٩١ وما تقوم به إسرائيل فى التعامل مع العرب بالصلح دولة دولة مصر أولاً ثم منظمة التحرير الفلسطينية ثم الأردن ثم بعد ذلك سوريا وأخيرًا لبنان باعتبار أن هذه هى دول الطوق ولكن رغم كل ما يحدث فإن الولايات المتحدة الأمريكية التى دفعت العرب دفعاً إلى عقد اتفاقيات السلام بعد حرب العراق عام (١٩٩٠ - ١٩٩١م) إلى التعامل مع إسرائيل ولكن كل هذا لابد يكون نهاية المطاف فإن هناك العديد من الدول العربية القريبة منها لن تقبل التعامل مع إسرائيل كأمر واقع مفروض على العرب بل أن هذه الدول التى تذكرها إسرائيل بالاسم (لبيا - إيران - العراق) ربما ستكون نقطة انطلاق على المدى القريب أو البعيد بعد انهيار تفرد الولايات المتحدة بقيادة العالم والقدرة على التعامل مع العراق القادم .

إن الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوربا لن تظل القوة الرائدة والسائدة على الساحة العالمية ذلك ، لأن هناك العديد من الدراسات الأوربية وكذلك الأمريكية ومنها تلك الدراسة المطولة بعنوان : « الحرب الباردة القادمة » للكاتب الأمريكى (أوين هاريس) قد أزاحت الستار عن بعض ما كان يتخفى به فكر صمائيل هانتجتون فى مقاله صراع الحضارات أو الصدام بين الحضارات . ذلك لأن القرن القادم الحادى والعشرين سوف يشهد تحديات بالغة الخطورة تواجه الحضارة الغربية وذلك نتيجة صعود دور آسيا المتعاظم (٣٣٪ من الناتج العالمى) إلى أعلى دراجات سلم القوى الاقتصادية والسياسة والعسكرية وذلك فى إثر ما حققته من تفوق اقتصادى كان لليابان فضل السبق فيه ثم الصين ودول النمور الآسيوية التى قفزت باقتصادها فى فترة زمنية قصيرة والآن جاء دور الصين الذى سوف ينهى لامحالة دور الولايات المتحدة .

ومعنى هذا أن التفوق الاقتصادى الذى كان بمثابة العمود الفقرى للحضارة الغربية سينتقل بقوة إلى الجانب الآسيوى فى وقت تتعرض فيه اقتصاديًا دول الغرب للتراجع وللأزمات بينما الولايات المتحدة مرشحة للتراجع فى قدرتها على المنافسة ؛ لأن قوى جديدة آسيوية تصعد للزعامة والقيادة وهى قوى تعرف الحق العربى السليب من فلسطين ودور العرب الحضارى فى العالم ولاسيما أن بعض هذه الدول (ماليزيا - وأندونسيا) دول إسلامية تكن مشاعر الأخوة

الإسلاميـة لما يجرى فى العالم العـربى وسلب إسرائيل لحق الشعب الفلسطينى فى دياره كـذلك فإن الـدور الآسيـوى يحاول أن يرفض لغـة التخـاطب الأمـريكيـة باعتبـار أن دوره قـادم وأن الآسيـاويين لهم القيم الحضـاريـة التى لاتتفق مع القيم الحضـاريـة الغربيـة وأنهم أصحـاب حضارات قديمة وعريقة وأن الصحوة الآسيوية تهدد بإنهاء عصر السياسة الأمريكية وأن الدور الأمريكى فى طريقه إلى الأفـول وأن أمريكا مشغولة بالدراسـات المستقبلية وذلك منذ أن صدر كتاب البروفيسور الأمـريكى (بول كنيدى) بعنوان « صعود وهبـوط القوى العظمى » وكذلك فإن القـرن الحادى والعشرين سـوف يشهد نهايـة الغـرب ذلك ؛ لأن مـراكـز صناعـة القـرار السياسى فى الغرب مشغولة بأن دور الغـرب فى سنوات الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لن يلعب أى دور يذكر وأن جانبى الأطلنطى (أوربا وأمريكا) ربما قد يحدث بينهما تصـادم لاسيما أن توجه كل منهـا بعيدا عن الآخر (مـؤتمر بانكوك فى عـاصمة تايـلاند) الذى ضم خمسـة وعشرين دولة منها عشر دول آسيـوية وخمسة عشر أوربيـة ، أوربا تبحث عن مصالحها . إن أمـريكا لامحالة لم ولن تعد فى القرن القادم الدولـة التى تملك وحدها القدرة على صنع القرار وإدارة الأزمات الـدولية مثلما كان الحال فى الحرب الباردة الأولى ، لكن القوة الآسيوية سوف تلعب هذا الدور .

وهنا يأتى الدور على العـالم العربى لاستغلال العلاقـة الوطيدة مع هذه الـدول الآسيوية استفادة من أخطاء الماضى فى التعامل بقوة مع الاتحاد السوفيتى إنـه عندما يفقد الغرب (أوربا وأمريكا) قيادة العالم وعدم نجاح إسرائيل فى استقطاب القوى الآسيوية كلها لصفها فإن ذلك سوف يعدل التوازن فى جانب الصف العربى لاستغلال الادارة النشطة للدور العربى حيث أن مقدرات القـدرة الغربيـة لن يكون لصـالح إسرائيل لكن النشاط الإسرائيلى المكثف حـاليا فى أندونسيـا والصين وتعويض ما فقـدته فى الماضى فى أربع سنـوات (١٩٩١ - ١٩٩٦) والدور يأتى على نشاط الجانب العربى .

إن الولايات المتحـدة الأمريكية سوف تتحول مـن دور وضع أنفها فى كل شىء فى العالم وتقـرير المصير كما حـدث فى (هـايتى ،بنـاما ، كـوبـا ، كوريـا الشمـالية ، الشرق الأوسط ، الصومال ، الخليج ، البـوسنة والهرسك) لتجد نفسها فى القرن القـادم تدافع عن نفسها لاسيما سـوف يحدث تبـاعد بين أوربـا وأمـريكـا بحثاً عن صيـاغـة الهويـة الأوربية ليس من نـاحيـة

الاطلنطى ولكن من نـاحية البحـر الأبيض المتـوسط ، إن تقلص قدرات أمـريكـا العسكريـة والاقتصـادية فى المستقبل سـوف لايجعلها قـادرة على التدخُّل العسكـرى الشامل فى المنـاطق الساخنة أو إدارة أزمات دولية كبرى بإمكانياتها المحدودة وحدها .

ولكن يأتى الدور أين نحن كعـالم عربى من كل هذه الأحـداث وهل نستطيع أن نوظف مايحدث لصـالح القضايـا العربيـة وفى مقدمتهـا الوطن السليب فلسطين . ذلـك لأن فقدان القدرة لـدى الولايـات المتحدة الأمريكيـة لقيادتها للمسيرة العالميـة منفردة وانتقـال الأمر إلى القوى الآسيوية ، فإن ذلك لابد أن يستدعى من العـالم العربى تحركا واسعا فى اتجاه هذه الدول ومحاولة توثيق عـرى الصداقة والمعاملات المتصلة المتـواصلة فى شتى المجالات وتكثيف أسس التعـاون مع هذه المنـاطق واستغـلال نقط الخلاف لصـالح القضايـا العـربية لاسيما أن دولـة كاليابان مثلا التى تعـرضت خلال الحرب العالمية الثانية للقنابل النوويـة الأمريكية باعتبار أن الولايات المتحـدة أول دولة تستعمل القنابل النـووية فى العالم . وقد ترك ذلـك شرخًا عميقًا فى النفسية اليـابانية لازالت تحس بـه الأجيال المعاصرة وتكن بغضًـا وكرهًا شـديدين للأمـريكان بغض النظـر عن التحرك الحكـومى فى اتجاه لمحاولـة إيجاد سبل التعاون وتحالف بين الـدولتين ولكن ذلك لن يكون إلا مرحليًا .

إن الشعب اليـابانـى يدرك مـدى الكـراهية للـولايـات المتحدة ومـن هنا يكـون مقطع هيروشيما ، ونجـازاكى فى أسماء أبنـاء الشعب وعـدم العمل على تأجير القـواعـد العسكـريـة اليابانية فى أوكيناوا والقيـام بالثورة ومحاولة اقتحام القواعد الأمريكيـة فى أوكيناوا وحـاكم المدينة يتحدى قرار الحكومة بتجديد عقود الإيجار وحاول المتظـاهرون اليابانيون اقتحام أسوار القواعد الأمريكية فى جزيرة أوكيناوا كما شهدت طوكيوا العـاصمة عدة مظاهرات تطالب بإنهاء الوجود العسكـرى الأمريكى فى جـزيـرة أوكينـاوا شارك فيهـا خمسـون ألف يابـانى . وتأتى المواجهـة المتزايدة فى الذكـرى رقم ٥١ لاحتلال القوات الأمريكية لجزيرة أوكينـاوا خلال الحرب العالمية الثانيـة ، إن الشعور اليابـانى القومى سوف يشكل فى المستقبل حجـر عثره أمام نهج الحكـومة اليابانية أى تقـارب مع الولايات المتحدة الأمريكية ولابد أن يكـون تقارب مع الصين وهذا ما تخشاه أشد خشية الولايات المتحدة .

أما التقارب الصينى اليابانى سوف يعجل بإنهاء دور الولايات المتحدة والأيام سوف تبشر بذلك ؛ لأن الشرق هو الشرق ولن ينسى الشعب اليابانى ضرب بلاده بالسلاح النووى ولابد أن يستعيد مجده العسكرى والاقتصادى الذى ينهى وجود أمريكا كقوة أولى .

إن احتلال الحلفاء لليابان أثناء الحرب العالمية هو الذى دفع اليابان للتحرك الاقتصادى السريع وتحقيق طفرة اقتصادية قوية ويصل هذا النشاط إلى الدول الآسيوية المجاورة التى أطلق عليها أخيرًا دول النمور ومن هنا ، فإنه توجد فجوة هائلة فى العلاقات بين اليابان والولايات المتحدة وسوف تتسع هذه الفجوة مع القرن الحادى والعشرين عندما تفقد الولايات المتحدة قدرتها على إدارة دفة الأمور فى العالم .

ومن هنا فإن الخلاف بين اليابان وأمريكا مع دخول القرن الحادى والعشرين يعنى الطلاق الذى لارجعة فيه بين الطرفين ومن هنا فإن ذلك الطلاق سوف ينعكس على الوضع السارى فى الشرق العربى أو الشرق الإسلامى سلبًا أو إيجابًا بقدر مايتحرك العرب فى الاتجاه الصحيح استغلالاً للمواقف المتناقضة بين أمريكا ودول جنوب شرق آسيا مع سد الطريق على إسرائيل التى تتحرك بسرعة تجاه هذه الأقطار ولاسيما أن إسرائيل ترسم سياسة نشيطة فى علاقاتها مع اليابان والصين وأندونيسيا وكوريا الجنوبية وغيرها من دول النمور .

ومن هنا فإن نشاط التحرُّك العربى على المدى القصير والبعيد سوف يجعل كل هذه الطاقات مع هذه الدول الآسيوية فى صالح قضية تصفية إسرائيل سلما أو حربا والقدرة على استغلال الظروف المتاحة مثلما كان فى فترة ١٩٦٠م بين مصر وهذه الأقطار .

كما أنه لن يمر نصف قرن وعلى أقصى تقدير قرن كامل حتى تكون بوادر تفكك المجتمع الأمركى قد بدأت تؤتى أثرها المباشر فى تسليم الولايات المتحدة القيادة الانفرادية للعالم أو وجود شريك قد يستطيع أن يكون له رأى قوى فى قيادة المسير العالمية ذلك ؛ لأنه يعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية حاليا ٢٠٥٠ أقلية جنسية من سلالات وأعراق وأصول مختلفة منها الأفارقة السود الزنوج والآسيويون من جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط (العرب والأتراك واليهود) والأسبان ودول البحر الكاريبى وأمريكا الجنوبية والوسطى والأرمن ، والروس واليابانيون ، والكوريون والصينيون وأصحاب الأصل الأوروبى اللاتينى والأنجلوسكونى (٤٠ مليون من أصول أيرلندية) بالإضافة إلى المواطنين الأمريكيين أصحاب

البلد الأصليين (الهنود الحمر) وكذلك الذين ينتمون إلى أصل مكسيكى يعيشون الآن فى(لوس أنجيلوس) أكثر من وجودهم فى أى مدينة أخرى من العالم باستثناء مدينة (مكسيكو سيتى) ومن هنا فإن هذه الأقليات العرقية فى الولايات المتحدة تمثل ٥٠٪ من مجموع المجتمع الأمريكى وهذه الأقليات تهدد هذا المجتمع فى تحديد هويته الأمر الذى يؤدى مستقبلا إلى حدوث نوع من التفتت والنفاق السياسى وهذا يهدد بانهيار المجتمع الأمريكى كما حدث للمجتمع السوفيتى الذى تحلل إلى أكثر من أربعة عشر دولة وهذا الكيان السياسى المكون من إحدى وخمسين ولاية لن يدوم طويلاً .

ولقد كتب المؤلِّف الأمريكى (آرثر سلاستنجر) فى كتاب له بعنوان (تفكك أمريكا) وهو تخوف موجود لدى الأمريكيين وهذه الدراسة تتناقض مع الدعوة التى تدعو إلى انصهار هذه الأقليات (١٣٠ مليون نسمة) فى بوتقة المجتمع الأمريكى وإذابتها ليكون المجتمع الأمريكى يجمع الأمريكيين لاسيما أن أغلب الأمريكيين هم من المهاجرين الذين عانوا كثيرا بمجرد وصولهم إلى الأرض الجديدة فقد عانوا ألم العنصرية والتمزق الأسرى والغربة ، ذلك لأن هذه الأقليات تبحث عن الهوية والجذور ومن هنا سيكون التفسخ وانهيار المجتمع الأمريكى كما انهار المجتمع والاتحاد السوفيتى شيئًا متوقعًا بل محسوبًا كذلك فإن عملية هضم هذه الأقليات فى الولايات المتحدة تكاد تتوقف لاعتبارات أكثر تتعلق بمشكلة التمييز العنصرى وموجات الهجرة الجديدة المشروعة وغير المشروعة مع تباطؤ فى التنمية وزيادة فى المطالب وهذه المشكلة لاتظهر للكثيرين بجلاء وهو أن جزءًا كبيرًا من هوية المجتمع الأمريكى كانت راجعة إلى قدرة هذا المجتمع على استيعاب وهضم عناصر بشرية من أصول مختلفة وكانت هذه العملية المجددة للشباب والمنشطة تجعل من الولايات المتحدة وعاء صهر ومزج من طراز فريد ولكن للأسف انتهت هذه العملية وظهر التناقض بين الأقليات .

وكذلك فإن المشاهد لحركة السياسة الأمريكية الحالية يدرك أن الولايات المتحدة الأمريكية تبدو مرتبكة مقيدة فى مساحة حركتها ، عصبية فى تصرفاتها ، كأنها غير واثقة من الأرضية التى تقف عليها مما زاد فى تخبط القرار السياسى الأمريكى بعد أن فقد بؤرة التركيز التى أعطته هدفًا محدودًا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ذلك ؛ لأن اختفاء العدو الشيوعى أحدث خللا فى التوازن العالمى ، كذلك فإن الولايات المتحدة مستنزفة فى مسئوليات الفترة التى قادت

فيهـا النظـام العـالمى السابـق فقـد كـانت الطـرف الأكبر فى حـربين عـالميتين الأولى (١٩١٤-١٩١٩م) والثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ثم أنها كانت الـوحيد الذى وقع عليه العبء الأكبر فى الحرب الباردة مما كلفها الكثير وأيضًا فإن الولايات المتحدة هى الآن أكبر دولة مدينة فى العالم فحجم دينها الداخلى والخارجى يتصاعد بسرعة خارقة من ٨٥٠ مليون دولار فى أوائل الثمانينات من هذا القـرن ١٩٨٠ إلى ٤ تريليون فى ١٩٩٢م وأن فوائد الديون سـوف تزيد عن حجم الناتج الإجمالى للولايات المتحدة .

كـذلك فإنه بسبب الحروب السـاخنة والبـاردة فإن الإنتـاج العسكرى الأمـريكى أصبح يمثل مساحة تـزيد عما هو ضرورى للبلاد وزيـادة عن الإنتاج العسكرى على مساحـة خريطة الإنتاج الأمـريكى الأخرى مما أثـر على البنية التحتية أو عمليات الإحـلال والتجديد ممـا ترتب عليـه مشاكل اقتصـادية واجتمـاعية يعانى منهـا الشعب الأمريكى ومنهـا مجـال الخدمـات الصحية والتعليم والضمان الاجتمـاعى والسياسى ، وقد أدى إنهاء الحروب إلى وجود هذا الكم الهائل من السـلاح الذى بدأت تريد به أمـريكا افتعال العديد من الحروب الإقليمية فى قارات العالم المختلفـة ومن هنا فقـد أصبح هـذا السـلاح عبئـا على الأسواق الخارجيـة فى مناخ دولى جـديد كمـا أن المستثمـرين التقليديين تعـد ثـرواتهم إثر الحروب (حـرب الخليج الأولى بين العراق وإيران ثمانية أعوام ، وحرب الخليج الثانية واحتلال العراق للكويت واستنزاف قدرات دول الخليج الماليـة) ومن ثم فلم يعـد فى أيـدى العـرب الكثير من الأمـوال يـدفعـونها لشراء السلاح الأمريكى .

ولقد أدت الأوضاع الاقتصـادية والاجتماعية فى الولايات المتحـدى إلى انخفاض مستوى دخل الفرد فى السنـوات العشرة الأخيرة من ٢٨ ألف دولار سنويًـا إلى ٢١ألف دولار والمواطن اليابانى مابين ٤٠ألف دولار إلى ٥٠ألف دولار سنويًا .

ومن هنا فإن هذه العوامل والأسباب التى عرضنا لبعض منها وليس جميعها فإن الولايات المتحـدة وهى تعبر إلى القرن الحادى والعشرين تـدخل هذا القـرن وهى غير واثقة من قـدراتها على إدارة دفة الأمور فى العـالم ، لاسيما أن روسيا الاتحادية تحاول أن تلملم نفسها وتكـون عاملا ضاغطا فى بـدايات القرن الحادى والعشرين ، كذلك اليابـان معجزة النصف الأخير من القرن العشرين تدخل القرن الحادى والعشرين برؤية يابـانية بأن يكون هذا القرن قرن آسيا إن لم يكن

قرن اليابان ، يضاف إلى ذلك قوة الصين الصاعدة القوية المدركة لحركة التاريخ والتقدم والحلم بأن تكون قوة كبرى أولى وليس ثانية أو ثالثة لاسيما أن حجم الناتج السنوى قد يصل إلى ١٢٪ واليابان ١٣٪ إلى الحد الذى يساوى إن لم يكن يزيد عن حجم الناتج القومى الأمريكى ، كذا هناك قوى أخرى فى آسيا (دول الأسبان السبع ومن ثم العشر النمور) وكذلك الهند ولهذه الأسباب فإن الولايات المتحدة تحاول ، أن تعوق إمكانية أى لقاء أو تعاون استراتيجى بين الصين واليابان وتعمل على بذر بذور الشقاق وعدم التقارب وهذه بالفعل هى الاستراتيجية الأمريكية فى الشرق العربى ، (نجاح مؤتمر القمة الحادى والعشرين الذى عقد فى القاهرة فى الفترة مابين ٢١ - ٢٣ يونيو ١٩٩٦م) وضم وفود إحدى وعشرين دولة وما تمخض عنه من قرارات قوية بإذن الله ستكون فاعلة وفعالة بل مؤثرة إلى المدى البعيد .

كل هذا سوف يعجل بإزالة إسرائيل مهما كانت الضغوط العنيفة والقوية والقاسية التى تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية على الدول العربية لكى تقبل بسلام أمر واقع مع إسرائيل تظن أنه يكفل أمن الشرق الأوسط ويؤكد سيطرة أمريكية على العالم العربى بجميع موارده وإمكاناته وطاقاته ومن هنا فإننا سوف نشاهد إن طال العمر كيف أن الولايات المتحدة الأمريكية وهى نفس القوة التى سادت القرن العشرين ووصلت فى العقد الأخير (١٩٩٠ - ٢٠٠٠) إلى أعلى القمم وقيادة دفة العالم الجديد لن تكون هكذا فى القرن الحادى والعشرين .

ونقول : إنه إذا كان يوم ٩ نوفمبر ١٩٨٩م يوم سقوط حائط برلين غير الشرعى الذى كان يفصل ألمانيا الشرقية عن الغربية سوف يدخل التاريخ باعتباره اليوم الذى بدأ فيه تدفق واندفاع هدير الطوفان الناشىء عن ذوبان جليد الحرب الباردة وقد جرف هذا الطوفان أمامه حطامًا وركامًا كثيرًا من الماضى (١٩٤٥ - ١٩٨٩م) ، كذلك فإن الفاصل الذى يفصل بين القدس الشرقية العربية الإسلامية والقدس الغربية التى سلبتها إسرائيل من أهلها الشرعيين سوف يسقط هذا الجدار بزوال إسرائيل سواء اعترف بنيامين نتانياهو رئيس وزراء إسرائيل الجديد (١٩٩٦ - ٢٠٠٠م) بحق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم الفلسطينية وعاصمتهم القدس أم لم يعترف فإن حركة التاريخ لن تدور عكس طبيعة الأحداث ومجريات الأيام .

ولقـد أعلن العقيد معمـر القذافى رئيس الجمهـورية العـربية الليبيـة فى المؤتمر الصحفى الذى عقـده عقب انتهاء مؤتمر القمة الحادى والعشريـن الذى عقد فى القاهـرة فى الفترة مابين ٥-٧ صفر ١٤١٧هـ الموافق ٢١-٢٣ يونيـو ١٩٩٦م فى نهاية المؤتمر حيث أعلـن قائلا : إن كوبـا قد اعتمـدت فى كل شيء على الاتحاد السوفيتى سنـوات طويلـة ومن ثم بعد ذلـك فقد أصبحت كـوبـا فى العـراء بعـد تفكك الاتحاد السـوفيتى ، ثـم لن يـدوم طـويـلا حتى تختفى الولايـات المتحدة ويصبح الإسرائيليون فى العراء أيضـا وأكد الزعيم معمر القـذافى أن جنوب أفـريقيـا وحل مشكلتهـا هى الحل الأمثـل للمشكلـة الفلسطينيـة بمعنى ضرورة تطبيق نظـام تعـايش سلمى بين العـرب واليهـود فى ظل الـدولة الفلسطينيـة العلمانيـة التى تجمع العـرب مسلمين ومسيحيين ويهود فى دولة فلسطين وليس إسرائيل .

كذلك فإن مشكـلات التفسخ الأسرى والفرديـة المطلقة ونقص التمـاسك الاجتمـاعى هى ظـواهر منتشـرة فى كل الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وأوروبا . لكن تعـرض الولايـات المتحدة للأخطـار يكـون أكثر إزاء المشـكلة العنصـرية ذلك ؛ لأن أمريكا منـذ نقلت الأفارقة داخـل سفن العبيد فإنها كانت قـد بدأت دون أن تعى ذلك ومن هنا فإن ذلك يجعل العنصرية من أصعب المشكـلات لأمريكا نفسهـا ، وكذلك فإن الـولايات المتحـدة سوف تنهـار وحدة ولاياتها الإحدى والخمسـين كمـا انهار الاتحاد السوفيتى بدوله الأربعة عشرة على يد الصهيونى العريق (الكسندر باكو فليف) الذى كان أقـوى القادة وهو أستاذ جورباتشوف ويلتسين فهو قائد تفكك الاتحاد السوفيتى والداعى لحل الحزب الشيوعى عام ١٩٩١م كما قال هو فى سيرته الذاتية ومن هنا فانهيار الولايات المتحدة أمر ليس ببعيد .

* * *



أضع هذا الفصل فى هذه الدراسة أمام الرؤساء العرب وصانعى القرار فى العالم العربى ونحن على أبواب قرن جديد هو القر ن الحادى والعشرين إذ أن ذلك القرن يقتضى من القادة العرب أن يمارسوا جهدًا مضاعفًا ومتطورًا فى تعاملهم فيما بينهم وبين شعوبهم ومع القوى العالمية وذلك لبناء جسور جديدة منطلقين من إدراك الوضع الشاذ فى العالم العربى بقيام الكيان الإسرائيلى على حساب الحق العربى الفلسطينى ؛ وذلك لأن إسرائيل قامت فى المنطقة العربية لكى تبقى لا لكى تُزال لمجرد حرب أو عدة حروب ولكن إسرائيل تبقى لمرحلة قد تطول أو تقصر لكنها فى النهاية لا محالة زائلة من الوجود مهما طال بها الزمن فهى لن تبقى قرنًا من الزمن بعد أن مضى عليها نصف قرن (١٩٤٨ - ١٩٩٦م) بل لن تدوم قرنين ، أو ثلاثة قرون وبأقصى حد خمسة قرون ثم تزول نهائيًا بل أبديًا ولكن يكن فى الاعتبار أن الذين أعطوا إسرائيل وعد بلفور عام ١٩١٧م هم الذين سهلوا لها باب الهجرة إلى فلسطين وأعلنوا انسحابهم من فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٧م وسلموا فلسطين لها وأعلنت قيام إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨م فالإنجليز أعطوا الوعد وسهلوا الهجرة وأقاموا الدولة وفرنسا أمدت إسرائيل بالمفاعل الذرى فى صحراء النقب فى ديمونة والذى أنتج ٢٠٠ أو ٣٠٠ رأس نووى وفرنسا ،

وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية هم الذين أمدوا إسرائيل بكل أنواع السلاح والمال والغذاء ومن هنا يجب أن يكون معلومًا أن إسرائيل باقية بقاء قوة وكيان هذه الدول (الغرب وأمريكا) أقول ذلك ليس من باب التسليم بالأمر الواقع أو الاعتراف بالقوة ولكن تقديرًا للمسئولية فإن إسرائيل هى الولاية رقم ٥١ فى مجموع الولايات المتحدة الأمريكية ولن يتم إزالة إسرائيل وإعادة الحق العربى لأصحابه الشرعيين إلا من خلال إعادة التوازن العالمى وظهور قوة عالمية آسيوية قادرة على كبح جماح الولايات المتحدة الأمريكية ومن يسير فى ركابها من دول الغرب الأوروبى ، ومن هنا فلا بد أن نقول : إن الرئيس السادات عندما أعلن إثر حرب ١٠ رمضان ١٣٩٣هـ / ٦ أكتوبر ١٩٧٣م أنه ليس بقادر على الدخول فى قتال مباشر مع أمريكا لا سيما بعد تصوير الطائرات الأمريكية لمنطقة الثغرة فى الدفرسوار مما ساعد إسرائيل على الهجوم على الضفة الشرقية للقناة مساء ١٤ أكتوبر ١٩٧٣م ومن هنا فالسادات لا يلام على قيامه بحركة السلام ؛ لأن السلام هنا سلام حكومات وليس سلام شعوب والحاكم ربما يرى ما لا يراه الشعب من رؤية سياسية قد تحقق مصالح مرحلية تساعد على تحقيق ما لم يتحقق بالحرب ومن هنا فإن الرئيس السادات عندما ذهب إلى القدس من أجل صالح السلام فإن ذلك لم يكن إلا تكتيكًا مرحليًا ؛ لأن ما لم يستطع العرب الحصول عليه بالحرب فلا بد أن يكون الحصول عليه بالسلم والسلام ومن هنا فإن رحلة الرئيس السادات إلى القدس التى قال عنها الرئيس كارتر : إنها تمثل هبوط أول إنسان أمريكى على سطح القمر . فقد ذهب إلى القدس وصلى فى المسجد الأقصى صلاة العيد ، قال لليهود فى عقر دارهم داخل الكنيسيت الإسرائيلى (البرلمان) وكان معظم أعضاؤه من الصقور المتشددين ومنهم جولدمائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة ومناحم بيجين رئيس الوزراء الذى عقد السادات معه اتفاقية السلام فى ٢٦ مارس ١٩٧٩م . وإسحق شامير رئيس الوزراء السابق وكان زعيم حزب الليكود ، وموسى ديان وزير الدفاع فى حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م وحرب ٥ يونيو ١٩٦٧م وكذلك عيزرا وايزمان رئيس دولة إسرائيل الحالى . وأريل شارون قائد الثغرة فى الدفرسوار والعبور إلى شرق القناة فى حرب ١٩٧٣ وغيرهم الكثير من زعماء إسرائيل قال لهم فى قوة وتحد وبكل صراحة « إن عليكم أن تستوعبوا جيدًا درس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع شيئًا ، لأن أرضنا لا تقبل المساومة .. إن التراب الوطنى والقومى يعتبر لدينا فى منزلة الوادى المقدس طوى الذى كلم فيه الله موسى عليه السلام ولا يملك أى منا أن يتنازل عن

شبر واحد منه ، إن الانسحاب الكامل من الأراضى العربية المحتلة بعد ١٩٦٧م أمر بديهى لا يقبل الجدال ولا رجاء فيه . ولن يستقيم أو يبنى سلام مع احتلال أرض الغير » .

ومن هنا فلا بد أن يكون دائمًا لدى الرأى العام العربى والقادة العرب ورجال صنع القرار أن ما ينطبق على مصر ينطبق على عرب فلسطين فإنه لن يستقيم سلام مع احتلال أرض الغير وهل فلسطين ليست إلا أرض الغير، إن حيفا ويافا وعكا وأشدود وعسقلان وأم الرشراش واللد والرملة وغيرها من المدن وكذلك صحراء النقب وغيرها من الأماكن ما هى إلا أرض عربية فلسطينية محتلة يقتضى الأمر من الجانب العربى الفلسطينى تحريرها بأية وسيلة أو طريقة وأن دولة فلسطين من النهر إلى البحر أى من نهر الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط ومن هنا فإن السلام لن يكون إلا مرحلة وقتية يعبر بها العرب الممر الضيق فى ظل الظروف الدولية السائدة إلى حيث يمكن فى فترات زمنية قادمة تحقيق ما كان يسعى إليه العرب سلمًا وليس حربًا .

إن المعاهدات و المواثيق والاتفاقيات والتبادل الدبلوماسى والعلاقات الاقتصادية والثقافية ليست نصوصًا مقدسة لا تمس ولا تتغير ، بل إن الأيام كفيلة بتغيير كل شىء ومن هنا فإن دول سوريا ولبنان وغيرهما من الدول العربية فى اتفاقيات سلام مرحلى مع إسرائيل لن يكون إلا فى ظل حالة العجز والتردى العربى التى يعيشها العالم العربى هذه الأيام وأنه لا طريق أمام العرب إلا إجادة فن الحوار والسلام وإن لم يكن بين كل الأطراف العربية ؛ لأنه كما تدرك إسرائيل فإن بعض الدول العربية لن توقع سلامًا مع إسرائيل مهما كانت الضغوط الأمريكية أو الغربية .

وهكذا فإن العالم العربى يجب أن يدرك أن ما يجرى على الساحة حاليًا ليس إلا مرحلة لا سيما أن إسرائيل تدرك أن العرب لن يسلموا بوجودها أبد الدهر ومن ذلك قول مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق فى حديث جرى داخل إحدى القاعات المغلقة فى القدس (إننى أريد سلامًا ولكن أريده سلامًا حقيقيًا !!) هكذا يدرك رئيس وزراء إسرائيل الذى وقع السادات معه اتفاقية كامب ديفيد أن السلام لن يكون حقيقيًا ؛ لأنهم يدركون أنهم مغتصبون للديار والأراضى وقال بيجين : إن إنهاء حالة الحرب بمعنى دقيق ينهى العمليات العسكرية ليس سلامًا ؛ لأن القتال يمكن أن يندلع فى أى وقت ، وقال إننا عندما وقعنا الهدنة

عام ١٩٤٩م مع العرب كنا نتصور أنها بمثابة إنهاء حالة الحرب وأنها تمهيد للسلام ولكن ذلك لم يحدث ، وهكذا فإنه بعد ثلاثين عامًا ١٩٧٩م لم يحدث إلا توقيع اتفاق مع مصر (كامب ديفيد) وفى عام ١٩٩٣م أى بعد ما يقرب من ربع قرن تم توقيع الصلح مع الفلسطينيين والأردن ولكن رغم مضى ما يقرب من خمسين عامًا لا زال السلام بعيدًا عن سوريا ولبنان وبقية الدول العربية ولكن السلام الشامل لن يتحقق فى الشرق العربى فى أى حال من الأحوال حتى مع نهاية القرن العشرين ؛ لأن الطبيعة العربية تدرك أن الحق لا يضيع لا سيما أن الجانب الفلسطينى (حماس والجهاد) ترى أنه لا سلام مع إسرائيل إلا بقيام دولة عربية فلسطينية ديمقراطية تضم العرب المسلمين والمسيحيين واليهود فى نطاق هذه الدولة اليهودية الإسرائيلية ما هى إلا دولة عنصرية دينية وأن النهج الديمقراطى العالمى لا يتيح قيام دولة مغتصبة للحق العربى وتقوم على أساس دينى .

هذا ما يجب أن يدركه العرب فى المرحلة القادمة فى ظل المتغيرات الدولية التى سوف تتغير فيها الأطر والأساليب والنظم الحاكمة فى العالم ، إن حركة التاريخ سوف تشهد فى العالم العربى تغيرات بالغة الأهمية ؛ لأن الزمن كفيل بتصحيح الأخطاء التى وقع فيها بعض الحكام عندما لم يدركوا مغزى الحركة التاريخية لصالح الحقوق المشروعة ولصالح الشعوب العربية ونقول : إن العالم العربى الذى يشكل سكانه (مائتين وسبعون مليون نسمة) يقف خلفه عالماً إسلاميًا يمثل(مليار ومائتين وخمسين مليون نسمة) سوف يدركون فى المرحلة المستقبلية أن عليهم أن يتحركوا فى إطار الكيان العربى الواحد وليس عدة كيانات تزيد عن اثنين وعشرين كيانًا عربيًا ، وأكثر من ثلاثة وخمسين كيانًا إسلاميًا ، لأن المتغيرات سوف تكون سريعة وحاسمة تقتضى أن يكون العرب قادرين على تحمل مسئولياتهم التاريخية قبل عودة فلسطين إلى أصحابها ؛ لأنهم سوف يكونوا الرأس المتحرك فى خوض غمار التحرك السلمى أو العسكرى من أجل عودة بقايا الأرض المحتلة قبل عام ١٩٦٧م .

وعلى هذا فإن العرب فى المرحلة القادمة مطالبون أولاً بالنظر إلى جامعة الدول العربية ؛ لأن الميثاق الذى وضع عام ١٩٤٥م لم يعد يلبى مطالب العرب الحقيقية مع نهاية القرن العشرين والدلوف بسرعة إلى القرن الحادى والعشرين أمام الهدف الأكبر وهو إصلاح أخطاء الماضى التى مكنت إسرائيل من أن تحقق لها كيان غير مشروع على أرض فلسطين ومن هنا

فلا بد أن يكون اسم (الجامعة العربية) بدلاًمن (جامعة الدول العربية) ؛ لأن الاسم الأول لا يحدد اسم الدول ومن ثم فإن قبول الاتحاد بين الدول يكون شيئًا مشروعًا حيث أن الميثاق الحالى ينص على المحافظة على الكيان الدولى لدول الجامعة واحترامها وعدم المساس بها وهذا البند يحول دون الوحدة كذلك فلا بد من تدعيم أواصر التعاون الاقتصادى فى شكل إظهار السوق العربية المشتركة مثلاً لوقف نشاط ما يطلق عليه اسم الشرق أوسطية الذى تريد أن تكون منه إسرائيل عضوًا فعلا بل فاعلاً . ما به كذلك تدعيم التعاون القومى الاقتصادى والمالى والعمل على حذو ما قامت به السوق الأوربية المشتركة التى ظهرت إلى حيز التنفيذ فى أشكال سياسية واقتصادية ومالية وعلمية وفنية وثقافية مختلفة لا يتسع المجال هنا للحديث عنها بالتفصيل ولكن يكفى للدلالة على تحرك العالم الأوربى ، وتوقف العالم العربى . أوربا وإصدار عملة نقدية واحدة وكذلك برلمان أوربى منذ عدة سنوات ، قارن بين العالم العربى الذى يواجهه تحديات بالغة الخطورة فى المرحلة القادمة .

لقد سبق أن كتبت مقالاً منذ عام ١٩٨٩ - ١٩٩٦م (سبع سنوات) فى مجلة البلاغ الكويتية بعنوان (هل يتوحد العالم العربى قبل نهاية القرن العشرين) قلت فيه بالحرف الواحد : « إنه إذا انتهى القرن العشرين وها هو يعلن الرحيل قريبًا جدًا دون أن تظهر فى العالم العربى أربعة كيانات كبرى كمقدمة للوحدة العربية فإن العرب لن يكون لهم كيان أو وجود فعلى فى ظل السرعة الهائلة فى المعلومات ووسائل الاتصال ووسائل العلم الحديثة المتطورة يومًا بعد يوم » . ولقد ناديت بأن تكون هذه الهياكل الوحدوية فى شكل وحدة تضم مصر وليبيا والسودان يضاف إليهم الصومال وجيبوتى .

ووحدة تضم تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا ، ووحدة تضم العراق وسوريا وفلسطين ولبنان والأردن ، ووحدة تضم الجزيرة العربيةالسعودية واليمن وعمان وقطر والإمارات والبحرين والكويت . هذا هو الشكل الطبيعى الذى يجب أن تقوم عليه وحدة مرحلية تمهيدًا لوحدة أشمل ، وذلك لأن الاتحادات الثلاثة العربية التى ظهرت على سطح الأحداث السياسية منذ بضعة سنوات لم تحدد الهدف المنشود وهى الاتحاد العربى الذى كان يضم قبل إعلان حله كل من (مصر والعراق والأردن واليمن) واتحاد مجلس التعاون الخليجى الذى يضم دول الخليج الست (السعودية ، الكويت ، الإمارات ، البحرين ، قطر ، عمان) كذلك مجلس

التعاون المغـاربى الذى يضم (ليبيا ، تونـس ، الجزائر ، المغرب ، موريتانيـا) . أى أن كل هذه الاتحادات لم تعـد كافيـة لكى تلبى مطالب الشعـوب العـربية بل إنها ولـدت ميتة ولم يعـد لها مفعـول إن الولايـات المتحدة الأمـريكية ودول الغـرب يهمهـا بالـدرجة الأولى أن يبقى العـالم العربى بوضعه الحالى ضعيفًا ممزقًا متخاصمًا متحـاربًا متنافرًا بل متناحرًا ؛ لأنها تقف حاليًا دون محاولة المصالحة العربية وتعارض أى تقارب عـربى مثلما حدث عام ١٩٩٤ عندما عقد اجتماع ضم الرئيس محمـد حسنى مبارك والرئيـس السورى حافظ الأسـد والملك فهد بن عبد العـزيز وصل إلى حد احتجاج إسرائيل على هذا الاجتماع وذلك فى مدينة الإسكندرية .

إن العالم العربى لابـد أن يمتلك إرادته بنفسه ويستطيع أن يوجه سيـاسته بنفسه ، فليس ما يحدث على الساحـة العربية حاليًا إلا مـرارة فى حلق الشعوب العربية فـالحصار الاقتصادى حول العراق منذ خمس سنوات ؛ وكذلك ليبيا والتمـزق السياسى فى الصومال وحالة التردى فى العلاقـات الأخوية العـربية لا تبشر بـالخير لا سيما أن إسرائيل والولايات المتحـدة يسعيان إلى زيادة اشتعـال النار بين الأقطـار العربيـة فى محاولة لكى تثبت أمريكـا أقدامهـا بقوة وفـاعلية وإسرائيل تحقق طوحماتها دون أدنى معارضة .

إن تكثيف الوجـود العسكرى فى دول الخليج وعقـد اتفاقيـات عسكرية مـع بعض دوله (الكويت ، قطر ، الإمارات) لا تخدم التقارب العربى على المدى القريب وذلك بحجة أخطار عراقية تهـدد هـذه الكيانات وكذلك أخطـار إيـرانية عسـكرية بعد قيام إيران بـاحتلال جزر أبو مـوسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى التـابعة لـلإمارات العـربية وكذلك خلـق متاعب تـواجه قطـر فى صراعها مع البحـرين من أجل الجزر الصغيرة (أم الـذيل) التى تطالب قطـر بأحقيتهـا فى هذه الجزر ، وكـذلك فتح باب جـديـد أمام اليمن الـذى لم يفرغ من صراعـه مع السعـودية على مشكلـة الحدود (جيزان ونجـران) وكذلـك توحيـد اليمن الجنوبيـة حتى يتم الإيعاز إلى إريتريـا الدولـة الصغيرة التى حصلت على استقلالها عـام ١٩٩٢م لتقوم بـاحتلال جزيرة حنيش الكبرى فى مدخل البحر الأحمر فى مضيق باب المندب .

إن المشاكل العربية كبيرة جدًا جدًا ولا يتسع المجـال للحديث عنها هنا بالتفصيل وكلها تهدف إلى إلهاء العـالم العـربى عن التقـارب فيما بينه وخلق المشـاكل التى لم تكن مـوجـودة فى السابق (حلايب وشـلاتين وأبو رماد) ونزاع السـودان مع مصر بشأن هذه الأراضى المصرية ،

خلق متاعب لليبيا فى إقليم أوزو الذى تم تسليمه إلى تشاد ، الصراع الصحراوى بين جبهة الصحراء والمغرب . وغيرها مثل مشكلة جنوب السودان التى تدور رحى حربها منذ أكثر من خمسة عشر عامًا . كل هذه المشاكل لابد من وجود حلول فورية لها .

إن العرب مطالبون وهم يستقبلون القرن القادم والتحدى الإسرائيلى الذى يتّخذ السلام مرحليًا لتحقيق أهدافه الكبرى فى السيطرة الاقتصادية لاسيا بعد تراجع صراع الأيدلوجيا كعامل محرك للسياسة لتصعيد مكانتها وعامل الاقتصاد فى عصر أصبح فيه التفوق الاقتصادى هو مقياس القوة والمكانة قبل التفوق العسكرى (العالم العربى حاليًا مثقل بالديون) بعد أن كان يمتلك أكبر ثروة فى تاريخ البشرية (٤٠ تريليون دولار) ومن هنا فلا يمكن أن يكون للعالم العربى وجود على الساحة العالمية إلا من خلال قوة سياسية واحدة تدعمها قوة اقتصادية ذلك ؛ لأن الفترة الزمنية القادمة (ربع قرن) من تاريخ العالم سوف تكون فترة بناء عالم جديد مختلف عن القرن العشرين لأنه سوف تظهر فيه ملامح لاتكون إلا لمن يمتلك المقومات التى تسمح له بأن يكون له مكان فى هذا العالم الجديد (العرب ٢٧٠ مليون نسمة بها يملكون ثروة نفطية احتياطية ضخمة) قوة بشرية وقدرات عالمية وتكنولوجية لو أتيح لها التكامل لأصبح ذلك يشكل كيانًا قادرًا على إثبات ذاته وتحقيق أهدافه فى ظل القوة العربية ، وليس فى ظل المظلة الخارجية سواء أكانت إسرائيلية ، أو أمريكية ، ذلك لأن من يمتلك هذه المقومات هو القادر على أن يأخذ مكانه فى هذا المجال .

لابد من تملك مفتاح الدخول فى عصر لايسمح إلا بالقوى القادر علميا واقتصاديا ؛ لأن الوجود لايكون من خلال دول منفردة (إلى متى يظل العرب اثنين وعشرين دولة) وإنما من خلال تكتلات تتكامل اقتصاديا (السوق العربية المشتركة) وتكون بينها روابط وصلات ثقافية « وحدة اللغة والدين » والجنس والسلالة ، الحضارة العربية الإسلامية) وتلتقى حول سمات مشتركة تمكنها من أن تتعاون مع بعضها البعض من أجل تحقيق الهدف الأسمى فى الوجود والمحافظة على الثوابت التاريخية فى ظل من يحاول أن يهيمن على المنطقة لقد قال « شيمون بيريز » (رئيس الوزراء السابق) فى لقاء مع قادة كوريا الجنوبية إن إسرائيل تمتلك الأدمغة (العقول) والعرب المال والأيدى العاملة وهنا يكون تكامل السوق الشرق الأوسطية .

فهل يسمح قـادة العـرب بتحقيق حلم شيمـون بيريز ؟ إن العـالم العـربى وهـو يواجـه مصادر التهديد الاقتصـادى والعسكرى (قنابل ذرية مع إسرائيل ٢٠٠ رأس أو ٣٠٠ رأس) ومطالبة الولايات المتحدة فى ظل اتفـاقية التحالف العسكرى مع إسرائيل بالسماح لها بإمتلاك قنابل ذريـة ، ماذا على العـرب أن يفعلوا ؟! إن أمـانة الحكم ومسئولية القيـادة وحكم التاريخ وما سوف تكون عليه الأجيال القادمة يقتضى أن يكون هناك (تعاونًا فعالاً بين قادة هذه الأمة الإثنين والعشرين دولة « حرام يـاقادة » الشعوب تدرك مدى خطر إسرائيل فى المرحلـة القادمة ولابد من مـواجهة هـذا الخطر بل كسره وإبـادته لأنـه لاوجود لعـالم عربى واحـد فى ظل كيان إسرائيل قـوى إن سرائيل يجب أن تكون فى ظل كيـان عربى دولـه بلاسيـادة . شعب يعيش فى ظل دولة عربية فلسطينية من النهر إلى البحر ، إن محاولة ربط الماضى العربى والعودة إلى القيم العربية الأصيلة مع ربط الأصالة بالمعـاصرة والأخذ بكل مايمكن الأخذ به من أساليب علمية متطورة هو السبيل إلى مواجهة التحدى[1] . إن العامل الدينى الإسـلامى المتحضر البعيد عن الإرهاب والتطرف لابد أن يكون عنوان الهاوية العـربية فى ظل التحديات الإسرائيلية الأمريكية فى القرن القادم إن العـالم العربى يجب أن يعيد حسابـاته الحالية للانطلاق إلى المرحلـة القادمة ولابد أن تكـون له صياغـاته الاستراتيجية المتكـاملة ولابـد من استجماع العناصر التى تشكل الكيان العربى وأن تكون هذه الاستراتيجية تتمشى مع متطلبات العصر القادم لأن لكل عصر شعـاره أو المفهوم الأسـاسى الذى يحكم حـركته ولايستطيع أحـد أن يتحرك فى اتجاه معـاكس لحركـة التـاريخ فإن التاريـخ حلقات وفترات وإذا كـانت الفترة الحاليـة (١٩٤٨ - ١٩٧٩م) وهى أضعف فترات التاريخ العـربى فلابـد من علاج الأسباب وإيجاد وسـائل العلاج فى ظل عالم عربى واحد وليس العديد من الدول إن التسلح والتطور العسكرى والأخذ بكل الأساليب التى تمكن العالم العـربى بأن يكون متوازنًـا مع إسرائيل لابد أن يوضع فى الحسـاب لأن السلام لايعنى الاسترخاء العسكرى .

إن سياسة توازن القوى بعيدًا عن الدول الإسلامية التى تشكل خطرًا على إسرائيل سياسة خاطئة والقـول أن تكون عربية صرفة لأن العـرب هم الذين وقع عليهم عبء الحروب الخمس السـابقة (١٩٤٨ - ١٩٥٦- ١٩٦٧ - ٧٠ - ١٩٧١ « الاستنـزاف » ١٩٧٣م) أم أن العـرب

(١) انظر عبد الفتاح مقلـد الغنيمى ـ الحضارة الإسلامية وتحديات القـرن الحادى والعشرين ـ مكتبة مدولى ، القاهرة، ١٩٩٥.

يريدون أن يكون مصيرهم السقوط كما سقط الدب الروسى أو أن يكون سقوطها مدويًا إنهم لازالوا يشكلون كيانات تعيش فى ظل التخلّف العلمى والأمية القراءة والكتابة و الأمية الصحيةوالكمبيوتر وأبحاث الفضاء والصواريخ والذرة وعلم الهندسة الوراثية ومراكز الاستشعار من البعد وغزو الفضاء ، والأقمار الصناعية والوصول إلى المجالات التى لابد أن تكون إسرائيل قد حققت نفس النجاحات بها ومن هنا كان شيمون بيريز (يجلس فى اجتماع مؤتمر صانعى السلام مارس ١٩٩٦ بشرم الشيخ) كأنه الأسد أو النمر المتحفز .

إن العالم العربى بجميع نظمه السياسية المختلفة سواء النظام الوراثى الملكى أو الإماراتى (الأمير) أو السلطنة أو النظام العسكرى أو الجمهورى ، لابد أن يأخذ بالتطور الديمقراطى الذى يضع مشاركة الشعوب فى إدارة دفة الحكم بما تقتضيه ضرورة ومتطلبات العصر بالشورى وأهل الرأى وليس بالقرار الفردى (العراق وحرب الكويت) ولا بد من إعطاء مساحة واسعة من الديمقراطية الحقيقية التى تسمح للهيئات التشريعية أو القضائية أن تعترض على الحاكم وتقول له بالحرف الواحد (كلا بل تولى أنت ومع السلامة) لأن العصر الجديد لابد أن يكون انتصار للديمقراطية ووزير خارجية إسرائيل (يهود يارك) يصرح بأن إسرائيل فيلّا محاطة بالأحراش وهل هذه الأحراش فى تصوره الخاطىء إلا نخبة العرب فلابد أن يسمح النظام العربى بشكل واسع للديمقراطية والمعارضة البناءة والفعالية التى تدرك مصلحة الشعوب وليس مصلحة الوصول للحكم بأن تمارس دورها (إن القرن القادم لامكان فيه للاستبداد السياسى أو التخلف العلمى أو الكيان الصغير) ؛ لأن مواجهة إسرائيل التى فشل العرب فى إنهاء وجودها عسكرياً ويريدون أن تكون نهايتها سلميًا كما سقط الاتحاد السوفيتى لابد أن يكون لذلك حساباته الدقيقة والعلمية والموضوعية التى تحقق الهدف المنشود .

إن سقوط الأنظمة الشمولية فى الاتحاد السوفيتى وشرق أوربا كان انهيار لبناء ضخم لاتحمله أعمدة إنه سقوط لمارد عملاق لاتحمله أسس قوية من الديمقراطية ومن ثم فإن النظم العربية بكافة أشكالها لابد أن تسمح بمزيد من الديمقراطية ، أقول تسمح لأن الشعوب العربية لازالت نسبة الأمية بها بشكل عام وليس قطر دون آخر تزيد عن ٦٥٪ ومن هنا فإن الديمقراطية يجب أن تكون عطاء من الحاكم بدلًا من أن تكون هبة من الشعب فى حالة الشعوب المتقدمة المتعلمة المتحضرة المتطورة .

إن شعار الديمقراطية هو الذى سوف يدفع العرب فى طريق مواكبة العصر والقدرة على التحدى وإضعاف الكيان الإسرائيلى مهما ملك من قوة عسكرية واقتصادية لكن فتح النوافذ هو الطريق إلى السيطرة على إسرائيل وكيفية تحقيق الهدف الأكبر هو إقامة دولة عربية فلسطينية على كل التراب الفلسطينى سلمًا أو حربًا إنه لابد أن يتوج العرب رأسهم بشعار الديمقراطية (لاسيما فى دول الخليج) إن سقوط حائط برلين وانهيار الكتلة الشرقية فى أوربا والاتحاد السوفيتى كان انتصار للديقراطية . فهل تكون الديمقراطية العربية انتصارًا نهائيا بل ساحقًا على إسرائيل .

إن العالم العربى فى ظل التطور الديمقراطى الحقيقى وليس الشكلى لابد أن يربط خططه المستقبلية بالعصر الجديد (التحدى الإسرائيلى) ولابد أن يحكم قدراته وتطلعاته بحكم حركة التاريخ والتطور الإنسانى وإلا فإن هذه الأنظمة لن تكون إلا مجرد جيوب سوف تنتهى فى فترة زمنية معينة ، إن الاتساع الديمقراطى هو الضمان لبقاء الأنظمة وشرعيتها وقبول شعوبها بها مهما كانت وراثية أو جمهورية .

لست أريد أن أقول أن تقوقع هذه الأنظمة فى مجالها الحالى وما تتصوره خاطئًا لن يمكنها من إيقاف حركة التاريخ ؛ لأن الشعوب العربية تتطور وتتعلم وتتحضر وتشاهد بعد أن أصبح العالم قرية واحدة ووسائل الاتصالات لن تكون إلا مبشرة لعصر الديمقراطية العربية التى لاأريد أن أخوض بالتفصيل فى دراسة نظم الحكم العربية الحالية وما هو عليه حكامها من رؤساء وأمراء وملوك ، لأن ذلك ليس هو مجال للبحث ولكن غمزة بسيطة هو السماح بقدر أوسع فى شكل الأنظمة الحاكمة وإفساح المجال للعناصر الشابة القادرة المتعلمة أكاديميًا على تحمل المسئولية التاريخية ؛ لأن الذين أفسحوا المجال لمنظمة التحرير الفلسطينية لكى تجد لها رأس وقدم فى غزة والضفة الغربية وجعل إسرائيل تقبل بوجود المنظمة هم الشباب الفلسطينى المتعلم ، أطفال الحجارة وليس قنابل شيمون بيريز الذرية .

إن العالم العربى لابد أن يقيم حساباته على ما يخدم المصالح الحيوية والأمن القومى لجميع وليس لمصر أو سوريا أو ليبيا أو السعودية فقط ؛ لأن الأمن القومى اليمنى (جزيرة حنيش الكبرى) تمسك برقبة الأمن العربى مجتمعة ، أى الأمن القومى العربى لابد أن يشكل ، ظل حسابات القوة الآسيوية القادمة وليس فى ظل انفراد الولايات المتحدة أو غرب أوربا

(أوربا الموحدة) وأن الأنظمة العربية الديمقراطية العصرية الحديثة لابد أن تجيد أداء أدوارها فى مواجهة إسرائيل فى شكل استقرار عربى متعاون متوحد (إقليم عربى) وليس إقليم قطرى لأن لعبة الصراع مع إسرائيل رغم أنها لازالت تقوم أساسًا وستظل لفترة قادمة صراعًا عسكريًا وإن كانت إسرائيل تحاول أن تلبسه الثوب الاقتصادى متخفية وراء القنابل الذرية ولابد من إدراك قواعد اللعبة التى تريد إسرائيل أن تلعبها فى الشرق العربى أو الشرق الإسلامى (تركيا - إيران - باكستان - دول وسط آسيا السوفيتية سابقًا) ، إن الأنظمة الحاكمة فى العالم العربى إذا لم تأخذ بالديمقراطية على نطاق واسع فإنه سيحكم عليها فى المرحلة القادمة وفى ظل القرن القادم والنظام العالمى الجديد (آسيا القيادة) سوف يصاب بفقدان الشرعية والاستمرار والقدرة على البقاء فى ظل ثورة (المعلومات والإلكترونات والفضاء) ؛ ذلك لأن الديمقراطية قد أصبحت مرتبطة بالإستقرار وذلك لأن الحكومات العربية الديمقراطية هى بالتحديد القادرة على البقاء والاستقرار فى المنطقة العربية وأن هذا من المبادئ الأساسية الذى سوف تتحرك فيه الدول العربية الديمقراطية هى الأساس وليس الهرولة أو الإسراع فى التعامل مع إسرائيل وطلب الحماية من أمريكا وإقامة العلاقات مع إسرائيل والدعوات العلنية لرئيس وزراء إسرائيل بزيارة قطر وعمان . إن قوة السلاح الأمريكى أو الإسرائيلى لن تضمن مهما كانت بقاء الحكومات دون التحول إلى النهج الديمقراطى الحقيقى وليس الشكلى أو الصورى أو الرمزى أو غيره من الظواهر الخارجية .

إن وجود نظم غير ديمقراطية فى المنطقة العربية فى المرحلة القادمة سوف يساعد على بقاء إسرائيل فترة زمنية أطول وسوف يجعلها قادرة على التحكم فى رقاب الحاكم قبل رقاب الشعوب (لاحظ فرض الحصار على قطاع غزة بالضفة الغربية) بعد تفجيرات حماس فى تل أبيب والقدس وعسقلان ، إن العدو الإسرائيلى ذكى جدًا وماكر ومخادع وكيف استطاع فى ظل احتلال هذه المناطق (غزة والضفة) ١٩٦٧ - ١٩٩٣م أن يجعلها معتمدة عليه نهائيًا فى كل شيء (كيف كانت تعيش الضفة وغزة قبل احتلال ١٩٦٧م إن السوق الشرق أوسطية صورة معبرة للحصار الاقتصادى على فلسطين) الهيمنة الاقتصادية الإسرائيلية مستقبلاً كالهيمنة على الضفة أو غزة ، إن التصور العربى للأحداث المستقبلية يجب أن يضع فى حسابه رصد خط عام للمسار الإسرائيلى فى كل حركة مع العالم العربى منفردًا بدوله الصغيرة ولا سيما دول الخليج مصدر الثروة المالية والطاقة النفطية .

إن شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل (١٩٩٦) يريد أن يكون الشرق الأوسط (آسف الشرق العربى أو الشرق الإسلامى) ؛ لأنى أكره لفظ الشرق الأوسط ؛ لأنه يربط إسرائيل بالكيان العربى أو الإسلامى ، كما رآه فى كتابه (الشرق الأوسط) خريطة جغرافية جديدة للمنطقة يأكل فيا شعب إسرائيل العسل والمن والسلوى (هكذا قال بيل كلينتون فى خطابه أثناء توقيع ياسر عرفات وإسحاق رابين هذه الكلمات فى واشنطن) وأن تكون كل الإمكانيات العربية مسخرة لخدمة وإرادة الشعب الإسرائيلى (تنبهوا وتيقظوا ياحكام العرب وأين أنتم) (الشعوب هى الضحية) وأن تكون المنطقة العربية أكبر سوق لإسرائيل تصدر إليها سلعًا وتعيد إليها تصدير ما استوردته لتبقى لها دائرة الاحتكار (فكر وطريقة يهودية منذ القدم لاحظ وجود وزير سياحةيهودى فى تشكيل حكومة المغرب ووزير يهودى فى الوزارة التركية) إنها تريد أن تكون لها الكلمة العليا على مقدَّرات وثروات الشعب العربى البشرية والأيدى العاملة الرخيصة فى مصر والسودان ودول المغرب ، وطبيعية (البترول والمعادن وغيرها من مصادر المياه وتكون هى رابطة أو مركز أو حلقة الاتصال مع الاتحاد الأوروبى ودول شرق آسيا ودول النافتا (الولايات المتحدة والمكسيك وكندا) .

إن شيمون بيريز بكل صلافة وغرور وكبرياء وعنجهية يطالب الدول العربية المنتجة للبترول أن تساهم بنسبة ١٪ من دخلها للتطوير الإقليمى وهذا فى رأيه لن يكون له تأثير على سعر النفط ولكنه سيساعد على خلاص تلك الدول من التهديدات التى تشكل خطرًا على الاستقرار ، أى يريد كحسبة بسيطة أن يأخذ من دول البترول (أربعة وستون مليار وثمانمائة مليون دولار سنويًا) أموال عربية ولهذا تسرع إسرائيل فى عملية تطبيع العلاقات العربية الإسرائيلية ، فهل يدرك حكام الخليج هذه اللعبة (شيمون بيريز سيزور قريبًا عمان وقطر) قام فعلًا بالزيارة وذلك للعمل على إلغاء المقاطعة العربية لإسرائيل فى أسرع وقت ممكن ، (التقاء رئيس وزراء إسرائيل مع وفد رجال الأعمال المصريين ومطالباتهم أن تصل البضائع والسلع الإسرائيلية إلى دول الخليج عن طريق المستوردين المصريين) أفيقوا ياعرب عامة .

إن تضارب وتعارض المصالح العربية سوف تعطى الفرصة لإسرائيل لكى تأخذ كل ماترجوه لأن اختلاف الرؤية الموضوعية العلمية لدى حكام العرب سوف يساعد إسرائيل على تحقيق الهدف ، إن ما ينبغى أن تكون عليه السياسة العربية (٢٢ سياسة) لابد أن يدرك أخطار

المستقبل والاستفادة من أخطاء الماضى (الولايات المتحدة الأمريكية تدفع نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الكويتى فى محادثات جدة بالسعودية عام ١٩٩٠م) للتشدد مع نائب رئيس الوزراء العراقى فى المباحثات ويتم فض الاجتماع الذى كانت ترعاه السعودية ، وتدفع صدام حسين للاعتداء على الكويت « سفيرة الولايات المتحدة تعطى الضوء الأخضر لصدام » وهكذا يقع العرب فى أفدح مأزق تاريخي (عدوان عربى على دولة عربية) .

إن هناك علامات مضيئة أو قطع من الأحجار التى يمكن العالم العربى أن يرجم بها السور العربى المنهار لكى يعيد بناء العالم العربى من جديد وفى ثوب جديد وعلاقات جديدة ، إن العالم العربى لامكان له فى ظل الكيانات الحالية أو السياسات الحالية أو الخطط الحالية فلابد من اجتياز عنق الزجاجة والوصول إلى المصالحة العربية رغم موقف الكويت وموقف الولايات المتحدة وموقف إسرائيل من جمع الشمل العربى ، أيها الحكام ما أقسى حكم التاريخ فأنتم ذاهبون راحلون ، لكن الشعوب باقية فالحكم على البطل صلاح الدين الأيوبى ليس الحكم على أخيه العادل بن نجم الدين أيوب ، فصلاح الدين يعيد القدس من الصليبيين فى أكتوبر١١٨٧م وأخيه العادل يسلمها لفريدريك إمبراطور ألمانيا فى عام ١١٢٩م وهذا هو حكم التاريخ ، يا من تجلسون على كراسى الحكم إن الوضع السياسى والاقتصادى الذى يعيش فيه العالم العربى فى تلك الحقبة من نهاية القرن العشرين لايبشر بخير غير أن الجميع ينزلق إلى هاوية وإن لم نستدرك المواقف ونكون قادرين على تحمل المسئولية تجاه إسرائيل سلماً ودون حرب لن تحقق قيام دولتها من النيل إلى الفرات بل ستكون دولتها من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى (إسرائيل الكبرى) فى القرن الحادى والعشرين .

ولكن دعنا نتحدث بصراحة وهو هل القوى المعادية (إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية) وهى تعارض مصالحة العرب بعضهم على بعض لبث الفرقة وتملى إراداتها على بعض حكام العالم الذين ليس أمامهم إلى الطاعة والولاء تترك هؤلاء يتخذون خطوات فعالة نحو الوحدة أم أن الأمور تسير فى الاتجاه العكسى أى نرى العالم العربى الذى يتكون من اثنين وعشرين دولة قد صار أكثر من أربعين دولة ، لاسيما وأننا نشهد حاليًا العراق وقد تم ترك الجزء الشمالى منطقة الأكراد تحت الحماية الدولية والجزء الجنوبى الشيعى تحت الحكم الذاتى وكذلك مايدور فى جنوب السودان ومحاولة فصله عن الشمال وكذلك مايجرى على الساحة الجزائرية

من عنف وإحياء النعرة البربرية إلا مغازية ولكن بالنظرة الموضوعية ندرك أن كل هذه المخططات فى حالة اليقظة العربية لا يمكن أن تحقق أهدافها رغم كتابات بعض العرب بإلحاح عن الأقليات فى العالم العربى ولكن الوحدة سوف تجد طريقها الفعلى اقتصاديًا أو سياسيًا أو عسكريًا لاسيما الوحدة الثقافية قائمة فى ظل التقدم التكنولوجى الهائل الذى يجتاح العالم فى ظل ثورة المعلومات ولاشك أن العالم العربى يدرك ضرورة ضمان بقائه فى ظل وحدة تحميه إن العرب فى ظل حماية أنفسهم من مصادر التهديد وعدم التفتت إلى مجموعات صغيرة فلابد من الوحدة بعيدًا عن التشرذم أو التبعثر ذلك لأن الدولة الإقليمية العربية الصغيرة لايمكن لها كيانها الصغير القدرة على مواجهة التحديات بمفردها والقدرة على الوقوف فى مواجهة مصادر التهديد مثلما تكون فى شكل وحدة متكاملة وأنه لابد من إدراك الدور المستقل الذى لابد أن تلعبه القوى العربية كقوة إقليمية تواجه تحديات المرحلة المقبلة فى ظل النظام الدولى الجديد بما تفرزه من أشكال جديدة من مصادر التهديد التى وضعت لنفسها هدف زعزعة السلام والاستقرار الإقليمى العربى فى ظل إمتلاك السلاح الذرى (إسرائيل) بإعتبار أنها لاتستطيع أن تعيش إلا فى ظل مناخ زعزعة المنطقة وخلق الخلافات والتحكم فى المقادير .

إن للمرحلة المستقبلية القادمة لابد أن يجد العرب فيها فرصتهم فى حركة متحدة لرحلة المستقبل لاسيما أنها تملك خاصية المبادرة بل أنها لابد أن تتطور وتنمو بقدراتها المتاحة والذاتية بها يعيد تشكيل الأوضاع الإقليمية فى المنطقة التى تنتمى إليها بالصورة التى تضع كتلتها العربية الإقليمية فى المكانة التى تستحقها إقليميًا وعالميًا ولكن العرب وهم يواجهون قوة الغد العالمية لابد عليهم أن يكونوا ضمن منظومة إقليمية قوية فعالة وليس عليهم الجلوس فى مقاعد المتفرجيين .

إن إسرائيل تخطط بعلم وذكاء وتكنولوجيا متطورة لكى تكون لها مركز الصدارة على مسرح الأحداث فى الشرق العربى أو الإسلامى وتريد من العرب أن يكونوا متفرجين على الأحداث التى تجرى ولكن مصر بقوة الإرادة والمحور وقطب الدائرة لابد أن تكون قادرة على مواجهة التحدى إن الجولة القادمة إذا لم يستطع أن يكسبها العرب تحركاً نشطًا سياسيًا واقتصاديًا فإن ذلك لن يكون فى صالحهم لا سيما أن التحرك الإسرائيلى فى اتجاه آسيا وأفريقيا

نشيطًا جدًا إذ نجد أنه بعد توقيع اتفاقية الحكم الذاتى فى واشنطن فى سبتمبر ١٩٩٣م يتحرك رئيس وزرائها الأسبق إسحق رابين من واشنطن مباشرة لزيارة المغرب ثم إلى إندونيسيا أكبر بلد إسلامى ثم رحلة إلى اليابان والصين ونيجيريا وذلك لدفع أسس التعاون الجديد بينها وبين إسرائيل بعد معاهدات السلام مع العرب ، إن إسرائيل تتحرك بانتهازية لا مثيل لها لمواجهة التحركات العربية البطيئة . ولكن داخليًّا فإنه فى ظل الصراع العربى الإسرائيلى كانت تفرض حالة تاريخية من الصراع والصدام والتوتر فى المنطقة العربية على مدى نحو نصف قرن وفى ظل حالة الحرب قامت نظم وترسخت مبادئ وشاعت شعارات وسادت منظومة سياسية فكرية وعسكرية واقتصادية فرضت علينا فى العالم العربى قواعد صارمة مبررها الوحيد هو الحرب المقدسة ضد الكيان الإسرائيلى الصهيونى وفى ظل ذلك اكتسبت النظم العربية الحاكمة شرعيتها الأساسية وقبلت الشعوب منها الحكم الاستبدادى والدكتاتورية السافرة والفساد السياسى وكبت الآراء المعارضة ومصادرة الحقوق وقهر الحريات وسلب الأموال وتهريب الثروات باسم الهدف المقدس (فلسطين) وحشد كل القوى لتحرير فلسطين ولايكون ذلك لا بالديمقراطية الكاملة الصحيحة غير المذوقة شكلاً ذلك ؛ لأن هدف العدو هو تفتت المنطقة العربية بديلاً عن مشروع الوحدة العربية الذى لابد أن يسعى إليه العرب سعيًا قويًا علميًّا بعد أن كان شعارًا فى الستينات من هذا القرن ذلك ؛ لأن التفتيت يعنى تقسيم الأمة العربية إلى أمم وشعوب وتقسيم الدول العربية إلى دويلات صغيرة وفق أسس عرقية ودينية وطائفية وأنه فى ظل هذه التداعيات التى يخطط لها أعداء الوطن العربى لشل حركته حتى لا يستطيع أن يتحرك فى الاتجاه الصحيح باعتبار أن العمل العربى الجماعى هو السبيل الوحيد للخروج من المآزق الذى تحاول القوى المعادية وضعها فيه ذلك ؛ لأن العالم يتحرك ولن تتوقف حركته المتسارعة نحو التكتل والتقدم وإقامة الكيانات الكبرى ولفظ الكيانات الهشة الصغيرة الاستبداية التى تمزقها الفرقة لتلقى بها فى زوايا النسيان ومن ثم فلا بد أن حركة الوطن العربى المصابة بالجمود أن تتحرك بسرعة ، ذلك العالم كله يسير بنشاط كبير نحو الوحدة والتكتل ومن ثم فإنه يجب على كل دولة من دول العالم العربى لابد أن تقرر فيها كل دولة وضعها المستقبلى مع بداية القرن الحادى والعشرين .

ومن هنا لابد أن يكون العرب قد حققوا بعض النجـاح فى أن يصيغوا رؤية سياسية قومية واضحة نـابعة من أصـول عربية لكى تقـودنا إلى الطريق الصحيـح ومن هنا فإن الاقتراب من القضايا العربية المستقبلية لا يمكن دراساتها بأسلوب القفز فوق المشكلات المعقدة بل العمل على حلها ثم تجاوزها خطوة بعد خطوة وصولاً إلى تحقيق الأمن الشامل للوطن العربى ؛ لأن فى ذلك الضمان الوحيـد لاستقرار الوجـود القومى لهذا الـوطن ، لذا فإن عدم الاتفـاق بين الدول العربية حتى الآن على وجـود حد أدنى من التفاهـم القومى بين الدول العـربية لكى يمثل خطأً استراتيجيًا ليعكس مخاطر جسيمـة قد تقضى على آمال الشعوب العربية ومتطلعـاتها القطرية والقومية على المدى البعيد والمدى المتوسط .

لذا فنحن نطالب فى هـذه الدراسة بالعمل على عـدم إضاعة مزيـد من الوقت وعلينا أن نتذكر دائمًا أننا فى المـاضى القريب قدمنـا تجربة رائدة فى التعاون والتضامن القومى وذلك إبان حرب أكتـوبر ١٩٧٣م . حيث تحول العـرب إلى قوة عالميـة فاعلة ومـؤثرة . إن هنـاك بلا أدنى شك مأزقًا تـاريخيًا تعيش فيه كل الـدول العربية ، وإن كـان بدرجات مختلفـة إلا أن النتائج فى النهاية تؤثر على أمن الأمة العربية ومستقبلها فى ظل التطبيع العربى الذى لابد أن يواجه بعمل عـربـى جماعى ؛ ذلك لأن إسرائيل فى ظل الـوضع العـالمى الـذى يسعى إلى التكتل (تكتل إقليمى أوربى ، وتكتل إقليمى أمريكـى) وغيرها من التكتلات الأخـرى ومن هنا فإن إسرائيل وجـدت نفسهـا مضطـرة لأن تجد لها مكـانًـا مستـديمًا كإقليم وهـو الشرق العـربى ، والشرق الإسلامى ، آسـف الشرق الأوسط . ومن هنا هـرولت إسرائيل فى طلب السلام بعـد أن فقدت علاقـاتها العضويـة ، وقطعت شرايين بقائهـا وحياتها مع القـوى التى أنشأتها فى البدايـة وهو التكتل الغـربى المسيحى الذى انقسم على نفســه ومن هنا فإن إسرائيل لا تبحث عن سـلام ، ولكنها تبحث عن تكتل تكون لها فيه البقاء الدائم إن الكيان الذى هو إسرائيل والذى انفصل عن التكتل الذى أنشأه فإنه لا يستطيع أن يستمر كيانًا بمفرده فى المنطقة العربية ولذا سعى إلى السلام وإلى إقامة نظام أو تكتل إقليمى بالاستقرار بين دوله .

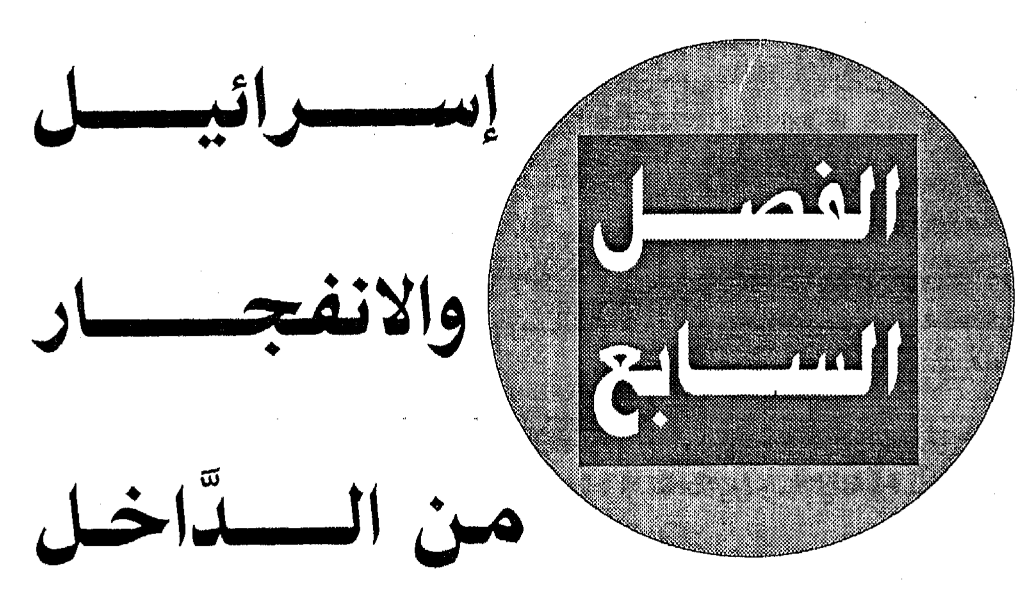
فهل تستطيع إسرائيل الانصهار فى هذا النظام أم سوف توضع أمامها العراقيل ، المستقبل كفيل بتفسير ذلك إن المرحلة القادمة لابد أن تطرح فكرًا عربيًا بأنه لا مشكلة مع اليهود الذين يريدون السلام ولكن المشكلة مع المشروع الذى ينفى الـوطن العربى الإسلامى الثابت فى فكر

الأمة العربية وهو أن فلسطين عربية وأن الصراع القديم قد تم حسمه من خلال الفكر العربى الإسلامى الداعى إلى الحفاظ على هوية الشخصية العربية والأراضى العربية ، إن مراحل التاريخ الماضية استدعت من العرب الوحدة والتكامل والتقارب لأجل تحقيق الهدف فى الحفاظ على الكيان ومن هنا فإن السلام إذا كان يحقق للعرب عودة كل التراب الفلسطينى من النهر إلى البحر على المدى الطويل فلابد من أن يكون سلامًا دون استرخاء عسكرى بل إن السلام لابد أن تدعمه القوة العسكرية المتطورة المتقدمة القادرة على الردع والدفاع والصد والحفاظ على الكرامة العربية فى ظل تحديات حرب النجوم والحرب الإلكترونية وثورة المعلومات والكمبيوتر .

فهل يدرك العرب أخطار المستقبل ومواجهة التحدى الإسرائيلى سلمًا وحربًا ؛ لأن السلام مع إسرائيل ليس الاسترخاء والتقارب بل العمل بقوة لبناء المستقبل .

* * *





إنه يجب أن يكون معلومًا لدى القارئ الكريم أن شعب إسرائيل الذى يعيش على الأرض المغتصبة للشعب الفلسطينى لا يمت بأدنى صلة للجنس السامى وأن ٩٥٪ من سكانها الحاليين ينتمون للجنس الشنكازى الغربى ، وأن اليهود اليوم على مستوى العالم وليس إسرائيل إنما هم أقارب الأوربيين والأمريكيين بل هم فى الأعم والأغلب بعض وجزء منهم وشريحة لحمًا ودمًا وإن اختلف الدين ، ومن هنا فإن اليهود فى أوربا وأمريكا ليسوا كما يدعون غرباء أو أجانب دخلاء يعيشون فى المنفى وتحت رحمة أصحاب البيت وإنما هم من صميم جنس الشعب الذين يعيشون معهم وأنهم أصحاب البيت شكلاً وسلالة لا يفرقهم عنهم سوى الدين هذا أوربى مسيحى وذاك أوربى يهودى وليس لهم أدنى صلة بالسامية أما أين يمكن أن يكون اليهود غرباء أو دخلاء بلا جذور فذلك فى فلسطين والأرض العربية حيث لا يمكن لوجودهم إلا أن يكون استعمارًا واغتصابًا بالقهر والابتزاز وغير هذه الأقوال ، فإن ذلك لويًا لحقائق التاريخ والأنثروبولوجيا والأركيولوجيا وغيرها من أنواع الدراسات التى تثبت أنهم عضو غريب عن الوطن العربى الإسلامى وفلسطين كما أنه يكن معلومًا لدى القارئ الكريم أن اليهود الذين يعيشون اليوم ١٩٩٦م على أرض فلسطين هم يتشكلون من اثنين

وخمسين جنسية أى أنهم قادمون من اثنين وخمسين دولة فى آسيا وأوربا وأمريكا وأفريقيا بل ومن استراليـا أيضًا وانطـلاقًا من هـذا فإنه يسقط أى ادعـاء سياسى بـاطل بأن أرض فلسطين هى أرض الميعاد لهم . وأن التاريخ والأنثروبولوجيا تبـدد أى أساس جنسى فهم قد يزعمونه فى هذا الصـدد ، فإن اليهود ليسـوا جنسًا أو شعبًـا أو أيـة قوميـة بل هم طـائفة دينيـة شأنها شأن كل الطوائف الدينية يتألفون من شعوب وقوميات وأمم مختلفة وليس لهم أدنى صلة أو رابطة عرقية أو سلاليـة أو تاريخية بفلسطين إنما هم غزو أجنبى غـريب أراد بالقوة أن يسيطـر على بقعة من العالم العـربى فى ظل ضعف الصف العربى ومساندة القـوة الأجنبية الغربية والشرقيـة له لكى يتمكن من الأرض والديار ويطرد أهلها .

والذى ينظـر إلى ســكان إسـرائيل طبقا لإحصـائيات نهـاية عـام ١٩٩٣م يدرك حقيقة ما نقـوله ؛ ذلك لأن تعداد إسرائيل فى ذلك العـام يبلغ أربعة ملايين وثـلاثمائة وخمس وثلاثين ألف وثلاثمائة نسمة (٤,٣٣٥,٣٠٠) وذلك غير العـرب المقيمين بها والذين يصل تعدادهم إلى ما يقرب من مليون مواطن . وتوزيع هذه الأعداد كما جاء فى سجلاتهم هم كالآتى :

١٧,٠٠٪ من سكان إسرائيل الحالى من أصل آسيوى .

٢٣,٨٠٪ يهود مواليد إسرائيل (الصابرا) ويعودون إلى أصول آسيوية وأوربية .

١٦,٣٠٪ يهود سوفييت .

٣٩,٩٠٪ يهود من أصل أمريكى وأوربى .

١٩,٣٠٪ يهود من أصل أفريقى (الفلاشا وغيرهم) .

٢٨,٠٠٪ يهود من الدول العربية منهم :

٩,٨٠ ٪ يهو د عرب آسيويين .

١٧,٧٠٪ يهود من أصل عربى أفريقى (دول شمال أفريقيا) .

هكذا تقـول إحصائيات اليهـود أنفسهم ، لكن إحصائيات الأمم المتحـدة عام ١٩٩٤م تـذكر أن سكـان إسرائيل يبلغ تعدادهم ٥,٦٧٢ خمسـة ملايين وستمائة واثنين وسبعـون ألف نسمة بما فيهم مليـون عربى إسرائيلى مسيحى ، ومسلم ؛ لأنهم عاشوا فى إسرائيل بعـد احتلال ١٩٤٨م ومن هنا منحـوا الجنسية اليهـودية الإسرائيلية . ولقـد استطاعت الصهيـونية أن تخدع العالم بقولها أنها تريد غزو وطنها السابق لكى يقيموا كيانًا يهوديًا لكن مكونات هذا الشعب كما جاء فى إحصائيـاتهم تتشكل من الشعوب البولندية والـرومانية والروسية والأوكرانيـة واللتوانية والفالسية بل من أجنـاس الهنود الحمر . إن شعب إسرائيل به عناصر يهودية سـلالتها تعود إلى

الهنود الحمر وأن كل الشعوب هـذه تنحدر من قبائل الخزر Khazar التى كانت تسكن بالقرب من بحـر قزوين وجبـال الأورال وفى منطقة شمال غـرب آسيا وهم سـلالة شعب وثنى كـانت تعيش مع القبائل المغولية والشراكسة قبل القـرن الأول الميلادى وقد اضطر هذا الشعب الذى اعتنق ملكـه (بولان Bulan) الديـانة اليهودية ومن ثـم تبعته رعيته ثم تقهقرت هـذه الشعوب سالكة الطريق شمال بحر قزوين وهى تحمل الديانة اليهودية إلى شرق أوربا وغربها .

هذه الشعـوب وربما كان هؤلاء الغـزاة اليهود قد جلبـوا معهم إلى شرق أوربا من وطنهم الآسيوى طـابع الحرب التى كانت تتميـز بها شعوب القبائل المغـولية فإنهم سرعان مـا سيطروا على شرق أوربا حتى أنـه لم يكد يأتى القرن السابع الميـلادى حتى كانوا قد احتلـوا منطقة تقع بين جبال الأورال شرقًا ووسط أوربا غربًا وشمال البحـر الأسود جنوبًا وقد استقر الخزر فى هذه المنطقة ثم أصبح الـدين اليهودى دينًا رسميًّـا لشعب الخزر وهكذا صارت مملكة الخزر الـوثنية يهودية مع نهايـة القرن التاسع الميـلادى ومن ثم قام المبشرون والتجـار من هذا الشعب وأسرى الحرب والمبشرون من اليهود إلى نقل هذا الـدين إلى شعوب مختلفة من العالم مع حـركة التجارة التى حذقها اليهود وصـار اليهود ينتمون إلى كل الأجناس المعروفة وفى كل جنـس كانت توجد أقلية يهودية اعتنقت اليهودية ؛ لذا كان تكوين إسرائيل الحالى من اثنين وخمسين جنسية .

وهكذا فإن غـالبية اليهود من الوجهـة العلمية فى عالم الأجنـاس شعب غير سامى ينتمى إلى السلالة التركية المغولية التى كانت تسكن أواسط آسيا ولا يوجد أدنى صلة بين هؤلاء الخزر وبين القبائل الســامية التى كانت تعيش فى فلسطين تحت اسم « العبرانيين » أحفـاد يعقـوب ابن إبـراهيم عم إسحاق أو يـوسف بن يعقوب أو قـوم موسى عليـه السلام الـذين عاشـوا فى الأرض المقدسـة وليس لهم أدنى صلة بالممالك اليهوديـة التى كانت قديمًا فى الأراضى العـربية وكذلك حدثت عدة تغييرات سياسية استـدعت توزيع شعب الخزر الذى تزايدت أعداده إلى العديد من الدول فكـان أن انضم إلى روسيا وغالسيا وليتوانيا وبولندا ورومـانيا والنمسا والمجر وكان هـذا الشعب يعيش فى تلك المناطق قبل أن تعرف هذه البـلاد التقسيم السياسى وتسمى دول شرق أوربا بوضعها الحالى وقبل أن تهاجر هذه الشعـوب إلى فلسطين وأن حركة إقامة دولة فى فلسطين تسمى دولـة إسرائيل هـى المحـاولـة الحديثـة التى جـاءت وجمعت شتـات الخزر المبعثـرين فى أنحـاء العـالم ومن جنســيات مختلفة فى دول شرق وغـرب أوربـا وإسكـانهم فى فلســطين ، ومن هنا تسقـط كل دعوى قرابة دم بين العـرب واليهـود ذلك ؛ لأن أحفاد إسحق

أبو اليهود قد ذابوا فى دماء غريبة ووصل الـذوبان إلى حد الإحلال حتى أننا نواجه فى فلسطين حاليًا قوم غرباء لا علاقـة لهم بإسحق أو يعقوب أو موسى أو أحفاده بل شعوبًا ليس لها صلة بهذه الأسماء القديمة .

والخلاصة الموضوعية العلمية الأكاديمية التاريخية الأنثربولوجية الأركيولوجية هى أن يهود إسرائيل وبقية يهود العـالم مختلطون اختلاطًا يبعـدهم عن أى أصول إسرائيلية قـديمة وأن يهود اليـوم ليسوا من بنى إسرائيل وأن الحاليين شىء وأولئك شـىء آخر أنثـربولـوجيًا ولا رابطـة بين الطرفين إلا فى الدين فقط .

ويذكر الدكتـور العلامة « جمال حمدان » فى كتابه (اليهود أنثربولـوجيًا) والذى طبع عام ١٩٦٧م ثم أعيد طبعـه ١٩٩٦م قد توصل إلى أن ٩٥٪ من اليهـود الذين يعيشون اليـوم ليسوا من يهود بنى إسرائيل التواره إنما هـم أجـانب مختلفون وأنهم فعـلاً أوربيون من سلالـة السلاف والآريـون وهذا يصـدق على يهود الأشكنازم فى أوربـا وعلى امتـدادهـم الأمريكى الـذى زاد فى اختلاطه فى البوتقة الأمريكية أكثر منـه على أية مجموعة أخرى حتى اليهود مع ملاحظة أن يهود الأشكنازيم هـم السـواد الأعظم من يهود العالم . ومن هنـا فإن الحقيقة الثابتـة والمؤكدة أن يهود إسرائيل اليوم ليسوا على أدنى قرابة أو صلة أو رابطة من أى الروابط سوى الدين فقط هو الذى يجمعهم وأن خطأ غير مشروع أن يتحـدث أى من كتـاب اليهـود أو مـؤرخيهم أو الأوربيين أو الأمـريكيين عن جنس يسمى اليهـود كما أنه من الخطأ الحديث عـن جنس يسمى الأمريكـان والاثنـان ينتمـون إلى أصـول مختلفة ومختلطـة من شتى بقـاع الأرض . ذلك لأن اليهـود كـانـوا يتزوجون من غير اليهوديات من سكان البلاد التى أقاموا بها وأن المجتمعات اليهودية أصبحت تشبه السكـان المحليين فى كثير من الخصائص وبهذه الطريقـة أصبح يهود أفريقيـا وشرق أوربا وأسبانيا والبرتغال وغيرها من الأقطـار الأخرى مختلفين بوضوح عن بعضهـم البعض لا سيما أن العنصر الحديث به من الأدلة والأحداث الثانية التى تؤكد التزواج والتحول فمع الهجرة إلى بلاد العالم الجديد (أمـريكا) تحول كثير من الهنود الحمر والـزنوج فى أمريكا الـوسطى والجنوبية إلى الديانـة اليهودية وصاروا يهودًا ولا علاقـة لهم جنسًا ودمًا باليهود أصـلا ومع ظهور العلمانية فى أوربا توسعت العلاقات غير الشرعيـة وزادت بصورة كبيرة حركة تحول اليهود إلى المسيحية وفى روسيا أيضًا تحول كثيرًا من اليهود إلى المسيحية ولقد كانت النازية فى العصر الحديث قد أثبتت أن الكثير من الألمـان المسيحيين تجرى فى عروقهم دمـاء يهودية ومن هنا ذاب اليهود فى الـديانة المسيحية .

وهكذا صارت اليهودية تجمع شتات الأجناس ، فهناك اليهود السود (الفلاشا) فى الحبشة وجنوب الصحراء الكبرى واليهود الملونين فى الهند ، بل اليهود الصفر فى التركستان والصين واليهود الشقر فى أوربا من كل الأنواع والألوان يوجد اليهود البيض والسمر والسود والعيون المغولية فى يهود أواسط آسيا والسفارديم والأشكنازيم واليهود الشرقيين وهكذا يتكون المجتمع اليهودى فى المجموعات الرئيسية الثلاث (الأشكناز والسفارديم والشرقيين) فالأشكناز يشملون يهود غرب ووسط أوربا بالإضافة إلى خلاياهم الجديدة التى انشطرت فى العالم الجديد بقاراته (أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية) ثم جنوب أفريقيا واستراليا ويشمل اليهود السفارديم يهود البلقان والشرق الأدنى ، أما اليهود الشرقيين فهم يهود العالم العربى ثم القوقاز وإيران والتركستان الروسية وكذلك الهند والصين .

إن الحديث عن شتات اليهود وتكويناتهم السلالية والجنسية والعرفية قد يبعدنا عن رأس الموضوع وهو إسرائيل والانفجار من الداخل ولكن أردنا بهذا العرض فى الصفحات السابقة أن نعطى القارئ الكريم فكرة عن شتات اليهود والأجناس المختلفة التى يتكون منها شعب إسرائيل اليوم وما هى المتناقضات التى تعيش فيها هذه الجموع وما هى الأسباب والعوامل والتفاعلات التى ستؤدى إلى انفجار إسرائيل من الداخل وبعوامل داخلية بحتة دون النظر إلى العوامل الخارجية لا سيما أن هذا الخليط رغم مرور نصف قرن على إنشاء دولة إسرائيل لا زال يعيش صراعات وانقسامات سوف تؤدى به إلى تمزيق دولته لا سيما أنه يرتفع شعار فى كل إسرائيل هو أن إسرائيل هى دولة الأشكناز فقط ومن هذا الشعار الذى يجعل الأقلية ٣٩,٩٪ الأوربية الأمريكية تتحكم فى الأغلبية ، وإن كان اليهود الروس يحاولون أن يلعبوا دورًا ليكون لهم كيان فى توجيه السياسة الإسرائيلية . لا سيما أن إسرائيل تتحرك كغزوة مقدسة تفرض نفسها من طرف واحد كأنها حرب دينية تبعث بذلك شبيهة صليبيات جديدة فى العالم العربى والإسلامى بل أن الصهيونيات أسوأ من صليبيات جديدة فما كانت الصليبيات فى العصور الوسطى إلا استعمارًا استقلاليًا تخفى وراء الصليب إن الصهيونيات التى تتخفى وراء النجمة السداسية بحث عن الذات على حساب الشعب الفلسطينى ، استهدفت اقتلاع وتصفية الشعب الأصلى تصفية جديدة تعمل على تهويد الأرض وتغيير طبيعتها ومعالمها إلى الأبد ، وتجعل من داود صاحب النجمة السداسية جالوت الجبار وهكذا صار يطلق عليها جالوت .

لكن نستدرك القول : أن الانفجار فى الداخل سوف يأتى فى ظل اتفاقيات السلام ؛ ذلك لأن الإحساس بالخطر السابق قد دفع إسرائيل للدخول فى أربع أو خمس حروب مع

العرب وكانت هذه الحروب تجمع الشعب الاسرائيلى الـذى جاء من شتات الأرض لكى يدافع عن الكيـان المغتصب بـاعتبـار أنه ضمان الأمـن لهم فى ظل العيشة الـذليلـة فى كنف الـدول المختلفة ، لكن عندمـا لا يكون هناك صراع خارجى فإن الصراع سـوف يتجه للداخل لا سيما أن الشعوب المختلفة غير متجانسـة سلوكيًّا أو اجتماعيًّا أو ثقافيًّا أو فكـريًّا بل القيمة هى التى تجمع الجميع لأن الاختلاف سـوف يشتد عندمـا لا تكون هناك محاولات للغـزو العسكرى على أية من الجبهات ومـا حدث من قيام « ايجال عامير » الشـاب اليهودى الشرقى الذى من جيل الصـابرا الـذين ولدوا فى إسرائيل ، بـاغتيـال إسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل دليل حيـوى وقوى على بدايـة تفسخ المجتمع الإسرائيلى وحدوث انشقاق بين الاتجاهات الفكـرية المختلفة ذلك لأنه رأى أن السـلام سـيكون هو العقـاب الحقيـقى لإسحق رابين ولقـد ذكر قاتل رابين (ايجال عـامير) أن قتل رئيس الوزراء السـابق كان ضروريًّـا لـوقف ما يعتبره سيـاسة سلميـة إسرائيلية تنطوى على كارثة محققة سوف تؤدى بطريق غير مباشر إلى تدمير إسرائيل .

كذلك فـإن الصراع بين « بنيامين ناتنيـاهو » زعيم حـزب الليكود يـرى فى التعصُّب ضد حزب العمال صورة سـوف تؤدى إلى توسيع فجوة الخلاف لا سيما أن حزب الليكود كـان يدعو إلى التطرف والعمل على قتل رابين ونجاح حزب الليكود بزعامـة ناتنياهو وسياسة التطرف التى يتبعها سوف تكون لها عواقب وخيمة على بقاء إسرائيل طويلاً .

إنها صورة سوف تتكـرر فى ظل السلام بل إن هذه الأجناس التى تـرى أنها محرومة من أن تنال حقوقها مثل الأشكنازى الغربيين الذين يتصدرون قيادة إسرائيل دون غيرهم من الأجناس ستزيـد من الحقد والكراهية لهذه القيـادة لا سيما أنها تنظر إلى بقية الشعب الإسرائيلى وخـاصة القادمين من أفريقيا كشعوب من الدرجة الثالثة .

إن إسرائيل دولـة الأشكناز فقط فهم الأعلـون وأصحـاب السيادة والقيـادة ليس مهمًّا أن يكون غيرهم مواطنين من الـدرجة الثانية والثالثة ، إن المهم ألا يكـون غير الأشكناز فى الدرجة الأولى المحجوزة للأشكناز وحدهم ولقـد كان من الممكن أن تكون إسرائيل درجة أولى شكناز والثانيـة للشرقيين لكن كان من الممكن أن ينضم الأثيـوبيون (الفلاشـا) إلى صفوف الـدرجة الثانية التى تشكل يهود الشرق عامـة لكنهم وجدوا أنفسهم فى قاع المجتمع ولا كيان لهم ؛ لأن يهود الشرق ينظـرون إلى يهود الفلاشـا القادمين من أثيـوبيا نظـرة الأشكناز إليهم بينما ينظـر إلى العـرب الذين يحملـون جنسية إسرائيليـة على أنهم نفـايات وقـذرات المجتمع الإسرائيلى ، هم الخدم والأرقاء فى نظر السادة .

لقد ظهرت الطبيعة الأشكنازية لإسرائيل تتأكد من جديد بعد أن ظهرت بوادر السلام وأنه لم يعد المجال العسكرى يشكل الأهمية الأولى لإسرائيل ،ولقد كان قدوم اليهود السوفييت ويهود أثيوبيا وهى آخر هجرتين لإسرائيل حيث بدأ اليهود الروس يحتلون مكانتهم كصدارة المجتمع الإسرائيلى ، لأنهم أوربيون بحصولهم على ٧ مقاعد فى الكنسيت فى الانتخابات الأخيرة ١٩٩٦ بينما الفلاشا فهم فى الدرك الأسفل من المجتمع .

وهكذا بين الصعود والهبوط تزداد الفوارق الاجتماعية فى إسرائيل وتبدو المشكلة الطائفية « لاحظ ٥٢ جنسية يعيشون حاليًا فى إسرائيل وتصور كيف سيكون الصراع القادم والتمزق وانهيار المجتمع الإسرائيلى » لا سيما أن اليهود الفلاشا الأثيوبيون سوف يقفون ضد بقية الطوائف ويهود الشرق والعرب الإسرائيلين سوف تزداد عداواتهم وتتصاعد ضد الصعود المتمكن لليهود الروس واتساع قاعدة الأشكناز (٣٩,٩ + ١٦,٣ روس = ٥٦,٢٪ من مجموع سكان إسرائيل يهود شكناز أوربيون وأمريكيون ويهود سوفييت) وأنه فى تنظيمه جنسية وتشكيله من بقاع الأرض بهذه الصورة تبدو الصورة المستقبلية للمجتمع الإسرائيلى أنه يتجه إلى معالم غير واضحة وأنه سوف يسير ليجد نفسه فى مفترق طرق حاد .فالدين اليهودى لن يكون رابطة قومية متينة لا سيما أن إسرائيل قد قامت على أساس الأمة اليهودية ترفع شعار الدين والتوراة والأرض الموعودة والعودة إلى الديار القديمة .

والذى ينظر إلى صراع الجنسيات والقوميات اليهودية بهذه الصورة ويرى أبعاد هذه المشكلة وبروزها بهذا المستوى الشديد المتناقض يجد أن المجتمع أو التجمع لشتات اليهود غير قادر على معالجة مشاكله الداخلية وعدم القدرة على التصالح مع نفسه رغم خطوات التصالح مع الدول العربية والفلسطينيين ، ولكن الذى يتفحص هذه الهجرات والتشكيلات اليهودية التى مضى على أقدمها فى إسرائيل أقل من نصف المواليد الجدد وغيرهم من شتات الأرض يدرك تمام الإدراك مسألة المواطنة الإسرائيلية المتجانسة مازالت غير ثابتة فى العلاقات بين طوائف وجماعات التجمع اليهودى فى إسرائيل وأن الوضع فى عمقه يشير إلى أن الأمور تأخذ بعدًا مغايرًا عما كان عليه الوضع فى السابق عندما كانت إسرائيل تتعرض لخطر الحرب لا سيما حرب يوم الغفران السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣م .

ورغم سنوات هذه الدولة القصير فإن الكاتب الإسرائيلى (دان كيسلو) يعلق على انفجار اليهود الأثيوبيين كمقدمة للانفجار والانهيار الأكبر للدولة الإسرائيلية على المدى

المتـوسط أو البعيـد « إن ما حـدث سـوف يحدث أقـوى منه فى المستقبل » إن الثقـافـة ليست فولكلور فقط بل أيضًا وبالأساسى التوافق والتكيف مع المستوى الحضارى والتكنولوجى وثمة ثقافات مختلفـة ومتصارعة ومتباينـة بل متضادة « لأنه حين تأتى مجموعـة كبيرة من الأشخاص من واقع ثقـافى على مستوى الظلام الأفـريقى إلى واقع ثقـافى بمستوى أوربى فذلـك يؤدى إلى صدمـة ثقافية وإحباط وربما انفجـار واضطرابات » ويصف (دان كيسلـو) أنه من الممكن أن تحول دون الصـدام والصراع والتحـارب بين الفئات الثقـافيـة المختلفـة فى المجتمع الإسرائيلى والتى تتكون من (اثنين وخمسين ثقـافة) إذا منحنـا كل طائفة من هـذه الطوائف الإمكـانيات لكى تتطور فى بيئتها الطبيعية (لاحظ جتيو يهودى داخل إسرائيل اثنين وخمسين جتيو) تشكل منها الدولة اليهـودية لا سيما أن توجد فوارق جسيمة وجنسية ولا يـوجد أدنى تماسك بيولوجى بين هذه العناصر .

إنه رغم مرور ما يقرب من نصف قـرن فإن الاختلاط أو تخليط اليهود فى فلسطين لم يتأكد النجاح ولا زالت العـزلة والتبـاعد والتناقض صـورة عامـة عن مكونـات هذا الشعب ؛ لأنهم لازالوا يعيشون حياة العزلة فى الجيتـو التى كانوا يعيشون بها فى أوطانهم قبل جلبهم إلى إسرائيل ولا زال العداء بين الطوائف صـورة سائدة دائمة وتوجـد عوامل مضادة لـلاختلاط والزواج إذ كيف يتزوج يهودى فلاشا من يهودية من أصل أوربى أو أمريكى .

إن الثقافات المختلفة إذا أخـذنا بفكرة (صمايل هانتجتون) فى مقـاله الذى نشر فى مجلة الشئـون الخارجية التى تصـدرها جـامعـة هارفـارد وبعنوان (صراع الحضـارات) فإن الصراع الحضارى والثقافى بين هذه الطوائف والقوميات المختلف فى إسرائيل سوف تظهر على السطح لا محالة وسوف تعيش دورة من الانهيار والتمزق مهما تكن اللغة عبرية لكن اختلاف الثقافات والفوارق الاجتماعية والسلالية والجنسية وغيرهـا من العوامل الأخرى سوف تقدم نهاية إسرائيل ليس على المدى الطويل الذى ربما سيكون خمسة قـرون (٥٠٠ عام) لكن ربما تكون نتائج هذه الخلافات خلال (القرن الحادى والعشرين) وربما بعد ذلك بقليل ، إن إسرائيل تعيش فى أزمة عميقـة فى عدم القـدرة على حل المشاكل الاجتماعيـة التى تترتب على الأجناس المختلفـة ذات الطباع والعادات والتقاليـد والثقافات المختلفة ليس اليهودى اليمنى كاليهـودى الأمريكى إنه ليس خـافيًـا على أحـد إن المجتمع الإسرائيلى تسـوده حـالة الفـوارق العنصريـة والتمايـز بين الأجناس فيما يواجهه يهود الفـلاشا من اضطهاد وعنصرية يواجه بدرجـات مختلفة يهود مغاربة ويمنيون وعـراقيون ومصريون وغيرهـم من الأجنـاس الشرقية هجـرتهم اليهودية الصهيـونية إلى

فلسطين ومطلوب من المؤسسات العربية أن تمضى فى متابعة أحوالهم انطلاقًا من كونهم جزء ينتمى لحضارتنا العربية الإسلامية وأن نعرض حالتهم ونعرف العالم بما يتعرضون له من تفرقة عنصرية يمارسها الأشكناز اليهود الغربيون على اليهود الشرقيين السفارديم وصولاً إلى أن يطرح الحل الفلسطينى لبناء دولة فلسطينية ديمقراطية للمسألة اليهودية الشرقية التى حاولت أوساط الحضارة الغربية الأوربية الأمريكية أن تعاملهم معاملة غير إنسانية ، إن شعار دولة عربية فلسطينية يعيش فيها المسلمون والنصارى واليهود كأخوة فى المساواة بين أبناء الشعب العربى الفلسطينى .

إن الهجرة إلى إسرائيل لم تعد تجذب اليهود من الأقطار المختلفة فالهجرة فى طريقها إلى أن تتوقف بل إن الهجرة تتم حاليًا من إسرائيل إلى أوربا وأمريكا . إن الذى يتذكر أو يطالع حركة الأحداث خلال الأسبوع الثالث من يناير ١٩٩٦ عندما قام « عزرا وايزمان » . رئيس الكيان الإسرائيلى بزيارة ألمانيا . فإنه دعى يهود ألمانيا إلى الهجرة من وطنهم ألمانيا إلى إسرائيل وأبدى أسفه من بقائهم فى بلد حدثت فيه مذابح (الهولوكسيات) أثناء الحكم النازى لألمانيا . وقد سارع رئيس تنظم اليهود الألمان بالرد عليه مبينًا له ، « إن أبناء اليهود يعيشون فى وطنهم ألمانيا ولايوجد مايعكر صفوهم مما يدعوهم إلى الهجرة إلى إسرائيل » وهذا دليل قوى على نقص الهجرة إلى إسرائيل وعدم رغبة يهود الخارج فى الذهاب إلى إسرائيل .

أنه لم يكن قول رئيس أبناء الجالية اليهودية فى ألمانيا هو الذى قال ذلك فقط بل نجد رئيسه اتحاد الجاليات اليهودية الإيطالية التى طالبت فى نهاية يناير ١٩٩٦م ، أمام اجتماع المؤتمر اليهودى العالمى بضرورة إلغاء قانون العودة إلى إسرائيل ليهود الشتات وقالت (تليث فعليا زيفى) إن فكرة إسرائيل المحاصرة (فيلاً وسط أحراش) وضرورة قيام اليهود الموجودين فى أنحاء العالم بمساعدتها وهى فكرة قديمة يجب أن تنتهى ، وهذا دليل آخر على عدم اقتناع يهود العالم بقيام دولة إسرائيل وأن الهجرة إليها ليست واجب يهودى ؛ لأن قيامها لم يكن ضروريًا . وهكذا سوف يتم تفريغ إسرائيل من الداخل لكى تنهار الدولة اليهودية قبل أن تمضى على قيامها قرن أو بضع قرن (لاحظ ١٩٤٨ - ١٩٩٦م) .

لقد طالبت العديد من الجاليات اليهودية فى العديد من أقطار العالم بعدم النظر إلى التاريخ اليهودى القديم كسند لعودة اليهود وضرورة إعادة النظر فى الروابط بين إسرائيل وجاليات الشتات اليهودى حيث أن إسرائيل لم تعد تحتاج إلى أموال هذه الجاليات (لاحظ

أقوال يهود يطالبون بقطع العون عن إسرائيل أليس ذلك مقدمة للانهيار الداخلى مهما كان التطور العلمى والتكنولوجى فإن المساعدات المالية الخارجية الحالية اليهودية ضرورة لتقدم وتطور الاقتصادى الاسرائيلى وازدهاره.

بل طالبت بعض الجاليات بإصدار قانون يحرم الهجرة إلى إسرائيل لاسيما أن المساحة الجغرافية الصغيرة لإسرائيل لايمكنها أن تستوعب الملايين الثمانية من اليهود الموجودين فى شتات العالم لذا يجب إلغاء قانون العودة و الهجرة إلى إسرائيل نهائيًا . إن ألمانيا وإيطاليا (يهود البلدين) يرفضان الفكرة الصهيونية واغتصاب وطن فلسطين العربى ويعارضان فكرة تهجيير اليهود فى العالم من أوطانهم إلى فلسطين المحتلة بحجة أن لهم ثقافتهم وتقاليدهم وقيمهم التى تختلف عن اليهود الآخرين وأنهم يشكلون قومية خاصة بهم وأنهم لا يستطيعون أن يمارسوا دينهم اليهودى إلا فى إسرائيل إن تلك الأقوال تدل دلالة قاطعة على أن الانهيار من الداخل وجفاف منابع الهجرة كفيل بوقف الدم الجديد وكذلك الأموال التى يتبرع بها اليهود فى ألمانيا وإيطاليا ، إن كل ذلك نذير سوء يشير بالنهاية الحتمية لدولة إسرائيل .

بل إنه مما يحيى الأمل لدى الشعوب العربية فى القدرة على المواجهة والتحمل لبضع سنوات أنه فى الوقت الذى كانت تستعد فيه طائرة شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل والوفد الكبير الذى كان يرافقه فى الهبوط فى مطار مسقط (عُمَان) ثم منها إلى الدوحة عاصمة قطر فإنه كانت هناك ثورة عربية تشتعل فى خمسين قرية (٥٠ قرية) وتشمل أنحاء إسرائيل بمناسبة مرور عشر سنوات على يوم الأرض (١٩٨٦ - ١٩٩٦م) فإن ذلك يعطى مؤشر قوى على أن عرب فلسطين (إسرائيل) لن يكونوا لقمة سهلة الهضم ، وأن الصغير لابد أن يكبر وأن الأيام قادرة على تحديد المصير .

إضافة إلى ذلك حصار يهود الفلاشا الأثيوبيين لمقر رئيس مجلس الوزراء الإسرائيلى فى القدس المحتلة يوم ٢٨/ ١/ ١٩٩٦م احتجاجًا على سياسة التميز العنصرى لبنوك الدم للقيام بإعدام الدم الأثيوبى خشية تلوثه بأمراض منها مرض نقص المناعة (الإيدز) وقد قامت الشرطة الإسرائيلية باعتقال أعدادكبيرة منهم وكان قادة يهود الفلاشا قد اتهموا السلطات الإسرائيلية بالعنصرية والتميز بين الطوائف الإسرائيلية وأنها بذلك تعمق جذور الصراع والتنافس مع بقية الطوائف لا سيما أن الحكومة الإسرائيلية تميز بين الفلاشا وأقرانهم اليهود فى كل شيء من السكن للمدرسة ومن الجيش والشرطة إلى العمل وحتى الصحة (فوارق وتمايز

بين الطبقات والطوائف اليهودية) ففى الجيش ينادونهم كوش وهى كلمة عبرية تعنى الأسود وأن هناك الكثير من الجنود اليهود الفلاشا قد انتحروا بين عامى ١٩٨٤ - ١٩٩٤م وهو أعلى انتحار بين مختلف المجموعات الإسرائيلية .

ومنذ بداية وصول الفلاشا إلى إسرائيل فقد تعرض هؤلاء للإهانة بعد إصرار الحاخامية الإسرائيلية على التحقق من يهوديتهم كما أن الفلاشا يشتكون من تعامل جيرانهم معهم بروح عنصرية فوقية متعالية وأنهم لم يقبلوا فى المجتمع الإسرائيلى كيهود لهم حقوق كاملة ثم تعرضوا لمشاكل عديدة ومنها السكن لأنهم ؛ أجبروا منذ جلبتهم إسرائيل على العيش لعدة سنوات طوال فى مقطورات أشبه بالمعازل وأغلب شبابهم يتم توجههم إلى الحرف القذرة وأعمال يدوية بينما المهاجرون من الأقطار الأوروبية أو الروسية يتم توجههم للدراسة بالمعاهد والجامعات وأنهم لم يستطيعوا رغم مضى أكثر من عشر سنوات على جلبهم إلى إسرائيل١٩٨٤ فى القدرة على التعامل مع غيرهم أو إندماجهم بسبب لون بشرتهم السوداء ؛ لأنهم يعاملونهم ليس كمعاملة يهود مع يهود إنما يهود مع أعداء .

ولقد ظهرت بوادر الانقسام بشدة عام ١٩٩١م عندما احتج الأثيوبيون الفلاشا على سياسة التميز العنصرى ضدهم ورفض السلطات الإسرائيلية اليهودية لرجال الدين الفلاشا بالعمل فى المعابد اليهودية كحاخامات وكذلك فإن الشرطة استخدمت القوة ضد يهود الفلاشا عند ثورتهم ضد مجلس الوزراء فى قضية إعدام دماء الأثيوبيين قبل إيداعها فى بنوك الدم وأن الشرطة لم تتعامل معهم كيهود بل كأعداء ، وذلك دليل على ظلم وقع عليهم والتميز ضد عشرين ألف يهودى أثيوبى فما زالت الإشارة السائدة عنهم فى إسرائيل أنهم سكان وليسوا مواطنين وأنهم طائفة ومجموعة وليسوا إسرائيليين وهكذا يتبين لنا الحال الطبيعى والاجتماعى فى البنية الإسرائيلية التى تتشكل منها إسرائيل على حساب الأرض العربية الفلسطينية فإن التميز والتباين والتنابذ فى النظرة الفوقية للطبقات الأفريقية والشرقية سوف تباعد فى الشرخ النفسى بين الفئات التى يتكون منها المجتمع الإسرائيلى غير المتجانس وأنه فى ظل السلام وعدم الإحساس بالخطر الخارجى فإن الصراع سيكون داخليًا لاسيما أن طبقة إسرائيلية جديدة قد بدأت تدخل فى هيكل المجتمع الإسرائيلى وذلك بعد تفكك الاتحاد السوفيتى وانهياره عام ١٩٨٩م مما سمح للأعداد الهائلة من اليهود الروس (الخزر) وغير الساميين بالهجرة الواسعة إلى إسرائيل وهم الذين بدأوا يتبوأون مكانة عالية فى المجتمع الإسرائيلى فى سرعة خاطفة وذلك فى فترة وجيزة جدًا لاتتجاوز ثلاث سنوات رغم أن بعضًا منهم قد أخذ طريقه

إلى الهجرة خارج إسرائيل إلى الولايات المتحدة وغرب أوربا ؛ لأنه لم يجد عملًا مناسبًا له فى إسرائيل ونظرًا للدور الروسى البالغ ، فهناك سؤال يطرح : هل أصبحت إسرائيل روسية ؟ (يشكل اليهود الروس ٢, ١٦٪ من مجموع السكان) ولقد بدأت اللغة الروسية تسمع فى شوارع العاصمة تل أبيب وغيرها من المدن الكبرى لاسيما أن بروز ثلاث أرباع المليون الروس يتحدثون اللغة الروسية يضمن تنافر المجتمع الإسرائيلى ولايساعد على التقارب بل دعوة إلى الصراع والتطاحن الذى يؤدى فى النهاية إلى الانفجار داخل المجتمع الإسرائيلى الذى يؤدى إلى الانهيار النهائى .

ويعبر أحد كبار الكتاب الإسرائيليين عن الدور الروسى قائلاً : « قيل قديمًا : إن إسرائيل تعتبر الولاية الأمريكية الحادية والخمسين (أو الثانية والخمسين) وبعد الهجرة الروسية الواسعة يصح أكثر أن نقول : إن إسرائيل أصبحت قطعة مصغرة من روسيا وأن ذلك لن يكون فى صالح المجتمع الإسرائيلى ولا فى صالح البنية التى يتشكل منها هذا الكيان غير المتجانس أو المترابط .

بل أكثر من ذلك فإن الجاليات الروسية تشكل قوة ضاغطة على عملية الانتخابات التى تمارسها المافيا الروسية التى تصرف ملايين الدولارات لمساعدة أنصار حزب الليكود على حساب حزب العمل لدخول الكنيست وتمثيل مصالح المافيا الروسية داخله وسندًا لقواتها ٧ مقاعد للروس فى الكنيست التى تساعد أعمالهم على الازدهار فى الصناعة والتجارة وغيرها من الأنشطة الأخرى ، وإنه مع الصعود الروسى داخل إسرائيل لن تكون مفاجأة أن نرى فى الشوارع الإسرائيلية صدامات وتواترات معهم . فالشرطة الإسرائيلية تعتبر عمليات المافيا الروسية بمثابة تهديد استراتيجى للدولة لاسيما أنه تشير تقديرات الشرطة الإسرائيلية إلى أنه تم تهريب نحو أربعين مليار دولار عبر الحدود الروسية خلال السنوات الأربع الأخيرة وأن ١٠٪ من هذه الأموال ادخلت إلى إسرائيل (أربعة مليارات) واستخدمتها المافيا الروسية فى مشاريع داخل إسرائيل .

إن الانتخابات الإسرائيلية فى مايو ١٩٩٦م سوف تكون مناسبة لإيضاح الأوزان الطائفية داخل إسرائيل إلى جانب أوزان القوى السياسية إذ توجد تقديرات باحتمال فوز (الروس) بنحو ٦ مقاعد بالكنيست فيما يبدو أنه ليس أمام الأثيوبيين الفلاشا سوى الفشل خاصة أنهم يفتقدون داخلهم كطائفة وكقيادة أنهم ليسوا يهودًا ، وهكذا فإن هذه الأمور والتعقيدات الجنسية والطائفية والصراعات بين هذه الطوائف ووجود لغات تصارع اللغة

العبرية وعدم وحدة الكلمة تجاه القضـايا الكبرى لاسيما أن حادثة مقتل إسـحاق رابين على يـد يهودى الصـابرة إيجال عـامير تشكل مقـدمـة لأحـداث دمويـة ستحـدث بين الإسرائليين مستقبلاً .

وهكذا عـرضنا لجوانب الصراع والتصـادم بين الطوائف اليهوديـة التى تتشكل من اثنين وخمسين جنسية وتشـكل عناصر من قارات العالم أجمع مما يوشـك أن يكون بداية النهاية لدولة إسـرائيل لكنه لايمكن للسـلام إلا أن يفرض ويبرز هـذه المتناقضـات التى تعجل بوضـع نهاية لإسرائيل .

لكن يبقى جـانب آخـر مهم هو العـرب داخل إسرائيل ، سكـان إسرائيل قبل ١٩٤٨م والذين فضلوا البقـاء فى أماكنهم وقراهم بعد قيـام دولة إسرائيل على حساب الحق الفلسطينى فى ١٥ مايو ١٩٤٨ والذين كان تعدادهـم عام ١٩٤٨ ربع مليون نسمة (صاروا عام ١٩٩٥) مليون مواطن عربى إسرائيلى لاشك أنه سوف تحمل الأيام القادمة وجود وزن سياسى لهم وقوة مستقبليـة ١٢ عضو عـربى إسرائيلى فى الكنيست (انتخـابـات مـايو ١٩٩٦)لاسيما أن جـو السلام سوف يساعد على بروز دورهم والقدرة على التحـرك لاسيما أنه حاليًا لايوجد إلا حزبين رسـميين عـربيين أحدهم الحزب العـربى الديمقراطى الـذى يترأسه عبد الـوهاب الـدرواشة عضـو الكنيست الإسرائيلى ويشكل العـرب عـدد ١٢ عضـو فى داخل الكنيست لكن ذلك لايمثل القوة الحقيقية للـوجود العربى بسبب تناحرهم وعدم تـوحدهـم فى الهدف والحركة رغم أن توحدهـم على قائمة انتخابية واحدة يرشحهم كقوة سياسية ثالثة فى السياسة الإسرائيلية بعد حزبى العمل والليكود .

ولكن لابد أن يأتى اليوم الذى يتيقظ فيه هؤلاء العـرب الإسرائيليين عندما يدركون مدى الهدف القوى فى إقامة دولة فلسطينيـة علمانية تجمع اليهود والمسلمين والمسيحيين فى ظل كيان فلسطينى عربى وليس إسرائيلى العنصريـة وهنا تكـون هذه الجموع العـربية قد ازداد تعـدادها لاسيما أن نسبة الإنجاب تشكل نسبة عالية جداً بالنسبة لمواليد العرب رغم انخفاض الخدمات الصحية والتعليميـة والاجتماعية فى القرى العـربية (ثـورة خمسين قرية مـارس ١٩٩٦) وفرض اللغة العبرية كلغة رسمية فى المدارس إلا أن قوة العرب لابد أن تأخذ فى التصاعد وليس الهبوط لأن المجال السياسى سوف يتسع لاسيما أن القوى الفلسطينية بدأت تنزل لترشيح نفسها داخل إسرائيل نفسها والعمل على تـوحيد الجانب العربى للعمل على نيل الحقوق الضـائعة ولابد أن

تأتى اللحظة التاريخية التى تعيد للعرب قوتهم كأصحاب حق مسلوب ولاسيما أن اليهود الشرقيين يبدون تعاطف مع عرب إسرائيل لاسيما أن اليهود الشرقيين لم يكن لهم خيار سابقًا سوى الليكود أو العمل لكن فى ظل السلام ستكون لعبة السياسة الانتخابية تشكل بعدًا جديدًا للعرب ؛ لأن ثلاثة مقاعد (١٢ مقعدًا حاليًا) لن تكون الهدف الذى يسعى إليه التكتل العربى الذى يسعى لإحراز العديد من المقاعد داخل الكنيسيت ؛ لأن الأصوات العربية فى إسرائيل سوف تلعب دورًا مؤثرًا مهما كانت محدوديتها وفى الماضى كانت معظم الأصوات العربية تذهب إلى حزب العمل ، ولكن هناك علامات استفهام حول هذا التوجه العربى إذا استمر شيمون بيريز فى سياسة هدم المنازل وإرهاب الفلسطينيين تعاطف عربى لابد أن يأتى اليوم الذى يمارس فيه الدور الفعلى وسيكون عامل هدم للدولة الإسرائيلية التى اغتصبت أرض أجدادهم، ومع أن عرب إسرائيل (قوة الغد القادمة الفعالة والفاعلة) فى أغلبهم لن يصوتوا لصالح حزب الليكود بزعامة (بينيامين نتانياهو) مباشرة ، لاسيما أن قادة حزب العمل ألغوا جولاتهم الانتخابية فى القوى العربية (المحرومة من كل الخدمات) التى تعيش على حالها كما كانت قبل ١٩٤٨م . وذلك بعدما وقع من أحداث فى إحدى مباريات كرة القدم فى ملعب قرب (الطيبة) العربية وهتف خلالها (يحيا يحيى عياش ، والموت لليهود ، ردًا على ماحدث فى قرية كريات شيمونة) اليهودية فى شمال إسرائيل حيث هتف المشاهدون الموت للعرب وهكذا سوف يكون لعرب إسرائيل دورهم الفعال فى المرحلة القادمة وسوف يكون دورهم على سطح الأحداث المستقبلية عامل هدم إضافة إلى المتناقضات بين الأجناس التى تتكون منها إسرائيل فالغد سيكون الانهيار من الداخل ونهاية لإسرائيل .

وأنه إزاء البعد السياسى الذى تحدثنا عنه كعامل سوف يؤثر سلبًا فى الحركة الاندماجية بين الطوائف اليهودية مما يضع مؤثرات أو علامات فى طريق الانهيار فإن البعد الاقتصادى والمشاكل الاقتصادية سيكون لها تأثير أكثر خطورة على إسرائيل لاسيما إذا كان الاقتصاد الإسرائيلى فى بداية قيامها قد شهد نوعًا من الازدهار وذلك بعد سلبها وإحتلالها ٧٨٪ من الأراضى الفلسطينية عام ١٩٤٨م ومصادرة كل ماتركه العرب خلفهم من بيوت ومزارع ومصانع ومحلات تجارية وأنه رغم استيعابها فى الاقتصاد الإسرائيلى ثم مصادرة المزيد من الأراضى والملكيات فى الضفة الغربية وغزة والجولان بعد حرب ١٩٦٧م واستغلال مصادر النفط المصرية فى سيناء وما انهال عليها من معونات أمريكية وصلت إلى ٥٨ مليار دولار وتعويضات ألمانية وصلت إلى أكثر من ٥٠ مليار مارك ألمانى غير التسهيلات الائتمانية

لاستيعاب المهاجرين اليهود وهو ماجعلها تتطور فى خلال هذه الفترة ، لكن مع بداية الثمانينات توقف نموها الاقتصادى ولم يستطع معدل نموها أن يتطور .

ومن ثم فقد تكاثرت مشاكل إسرائيل الاقتصادية فى خلال السنوات (١٩٩٢ - ١٩٩٥) بسبب زيادة الإنفاق العسكرى وبناء قوة عسكرية حيث تجرى إسرائيل بتنفيذ برنامج خطتها (جوما) فى إطار مشاركاتها الولايات المتحدة فى برنامج حرب النجوم واتفاقيات التعاون الاستيراتيجى بين البلدين وارتباط برنامج إسرائيل لإطلاق أقمار صناعية فى الفضاء وأقمار التجسس الإسرائيلية وذلك لبناء ترسانة وقوة عسكرية ضخمة حديثة العتاد وبسبب زيادة بناء المستوطنات ، إضافة إلى ارتفاع معدلات البطالة وتدنى الحركة التعاونية من « الكابيو تيات » معنى هذا أنه بالرغم من المعونات المالية الضخمة التى تحصل عليها إسرائيل من الخارج فإن مشاكلها المتراكمة لايمكن أن تجد لها حل إلامن خلال شرق أوسط جديد أو من خلال سوق شرق أوسطية مشتركة لكى تستطيع أن تتغلب على مشاكلها وكسر الطوق العربى وإلغاء المقاطعة العربية ، لكن العرب سوف يكونوا متيقظين لمواجهة هذه الأفكار لاسيما أن إسرائيل ستكون أخطر منافس للعرب بعد السلام فى الشرق العربى ، وذلك هو التحدى الأكبر وأن مواجهة العرب الحضارية لإسرائيل على مختلف مساحات التحدى هى فى قوة مقاومتهم وتكاملهم فى أى عمل مشترك . لأن ذلك أصبح واجبًا بل فرضًا أن نعمل على إزاحة كل مايهدد مستقبل الشعب العربى ؛ لأن التعاون والتكاتف واليقظة هى الطريق لسد الثغرات التى تحاول أن تدخل منها إسرائيل ، ولابد من استغلال العوامل التى تساعد على التفكك والانهيار الإسرائيلى فإن ذلك لايمكن إلا من خلال سوق عربية مشتركة سدًا مانعًا أمام السوق الشرق الأوسطية تجاه إسرائيل .

أنه مما ساعد على انفجار إسرائيل من الداخل أن اليهود ليسوا قومية ولا هم شعب أو أمة بل مجرد طائفة دينية تتألف من أخلاط من كل الشعوب والقوميات والأمم والأجناس ومن ناحية أخرى فلا علاقة لهم جنسيًا أو أنثربولوجيًا بفلسطين وهم أجانب غرباء عنها دخلاء إن يهود إسرائيل حاليًا لا صلة لهم بيهود التوراة الذين اختفوا كالشبح ومن هنا يسقط كل ادعاء بأرض فلسطين ذلك ؛ لأن الأنثربولوجيا تبدد أى أساس جنسى أو حق تاريخى لهم فى فلسطين كما يزعمون . وأن يهود اليوم ليسوا من بنى إسرائيل وأن هؤلاء شىء ويهود التوراة شىء آخر أنثربولوجيًا ولا رابطة بين يهود القرن العشرين والحادى والعشرين ويهود التوراة إلا فى الدين اليهودى فقط .

وأن يهود فلسطين اليوم (١٩٩٦) أوربيون سلاف أو أوربيون أكثر منهم سامين وأنه ليس هناك أدنى صلة جسمية أو جنسية بين يهود اليوم ويهود التوراة بل إن يهود التوراة والشتات الأصلاء قد ذابوا وانصهروا وضاعوا فى محيط المهجر كقطرة فى بحر وأن يهود العالم اليوم فى سوادهم الأعظم هو أجانب متجولون أكثر منهم يهود متجولين ولقد قام عالم بريطانى أنثربولوجى هو (جيمس فنتتون) ببحث أثبت فيه أن ٩٥٪ من يهود إسرائيل ليسوا من بنى إسرائيل التوراة وأنهم أجانب اعتنقوا اليهودية عقيدة لهم . وأن اليهود فى فلسطين عبارة عن مجموعة عشوائية gnb-bag توحد بينها رابطة الدين بلا تماسك بيولوجى أو جنسى أو جينى أو سلالى وذلك بناء على رأى (لومبروزو) Lombroso بقوله : إن اليهود جنسيًا آريون أكثر منهم ساميين أو يفسر آخر أنهم أوربيون يهودًا أكثر منهم يهودًا بأوربا أو غيرها فإن كل سكان إسرائيل الحاليين يختلفون عن بعضهم البعض فى النمط الجسمى .

لذا فإن إسرائيل لا بد أن تنفجر داخليًا ويكون لها نهاية ذلك ؛ لأن الفكرة الجذرية فى خلق واغتصاب إسرائيل لأرض فلسطين لم يكن فى النهاية إلا فكرة (الجيتو) ، ذلك لأن الجيتو دولة أو هى دولة الجيتو ولكن كما ذاب الجيتو من الخارج لن يمضى وقت طويل حتى يذوب ويزول جيتو إسرائيل إلى الأبد ويتأكد ذلك لا محالة مستقبلاً ولن يجدى صراخ الصهيونية فى الانفجار داخليًا عندما يتأكد انحراف شعارات الصهيونية التى سلبت فلسطين من أهلها ، ولن يكون موقف الولايات المتحدة وأوربا الغربية إلا موقف المتفرج عندما تتغير موازين القوى العالمية ولن تفلح دعاوى الصهيونية التى تحاول أن تجعل من اليهودية العالمية شعبًا وقومية وأمة بل جنسًا مستقلاً وليس مجرد طائفة دينية تجمع من شتات الشعوب والقوميات والأمم والأجناس إنها لا تزيف التاريخ فقط بل أنها تقاوم حركة التاريخ وتطوره وأنها تسعى إلى تجميد التطور الإنسانى وإعادة حركة التاريخ للوراء وراء هرطقات وأفكار بالية لن يكون لها وجود فى مفهوم القرن الحادى والعشرين حيث سيسعى العرب للحصول على حقوقهم الضائعة فى فلسطين بأى شكل من الأشكال .

ويشير سفر (خرافيال) أن يهود فلسطين التوراة تخلطوا فى عقر دارهم مع جيرانهم من الفلسطينيين والثابت أن التحول والاختلاط كانا من المظاهر المتفشية قبل العصر المسيحى مباشرة وفى قرونه الأولى وهذا بالدقة ما حدث مرارًا وتكرارًا ؛ لأن اليهود قاموا بكثير من التبشير عبر قرون طويلة بين الأجناس بدليل تهود كثير من الهنود الحمر والزنوج فى أمريكا الوسطى والجنوبية واتخذوا اليهودية دينًا لهم ولا علاقة لهم جنسيًا ودمويًا باليهود أصلا والأدلة التاريخية

تشير إلى أدنى حق لليهود فى فلسطين وقد تشعبت اليهودية بين شعوب العالم المختلفة سواء من الوثنية أو المسيحية وهذه حالات معروفة تاريخيًا كحالة الخزر حول بحر قزوين والفلاشة فى الحبشة واليهود التاميل فى الهند وغيرهم من اليهود الكثيرين الذين هم أصلاً من داخل هذه الشعوب وليسوا من يهود التوراة الذين انقرضوا نهائيًا ولم يبقى منهم حاليًا إلا قرابة مائة أو مائتين فرد يعيشون فى قرية من قرى نابلس ويعرفون بالسومرين ولا يوجد مجتمع يهودى فى أى دولة من دول العالم أفلت من الاختلاط الجيولوجى مع غيره من الشعوب التى عاش فيها منذ المراحل الأولى لنشأة اليهودية والشتات .

ويذكر جوليان هكسلى Julian Huxley وهادون Haddon وكارسونداز فى كتابهم نحن الأوربيين We Europeans قولهم : إن اليهود لا يمكن أن يصنفوا لا كأمة ولا حتى كوحدة أنثربولوجية بل بالأحرى هم مجموعة دينية تنتمى إلى الجنس الأرمنى (أرمنيا) فإنهم بالتأكيد يحملون كثيرًا من الصفات الأرمنية وتقاربهم مع الخزر وأنهم من أصول متنوعة ولا توجد بينهم وحدة طبيعية ونفسية وحضارية وما هم بوحدة جنسية ولا وطنية ولا لغوية وأنهم ليسوا إلا مجموعة معزولة حضارية Group Culural Isolate . وأن القول بوحدة جنسية بين اليهود ككل لا محل له من حقيقة أو علم على الإطلاق ، وأن الوحدة البشرية خرافة من خرافات اليهود كما يقول (رابلى Ripley) فثمة اليهود السود (الفلاشا فى الحبشة) وجنوب الصحراء الكبرى ويهود الهند الملونين والصفر فى التركستان وأواسط آسيا واليهود الشقر فى أوربا وأن بين هؤلاء الأجناس تفاوت كبير فى الدم وأن كل هذه الأجناس ليس بينها أدنى صلة عرقية أو سلالية أو جنسية مع اليهود السامريين الذين لا يزيد عددهم عن مائتين فرد والذين هم أصلاً لهم حق فى سكنى فلسطين حاليا .

وليس هناك ثمة فارق بين اليهود والمسيحيين فى روسيا وبولندا وكذلك بين يهود التركستان وذلك دليل على الاختلاط الجنسى وامتزاج الدماء . وأن يهود التوراة السامين القدامى سكان فلسطين كانوا طوال الرءوس ولا يوجد بين يهود اليوم طوال الرءوس وهذا يؤكد اختلاط الدم اليهودى بعناصر متعددة فى شتى أنحاء العالم وينفى حق السكنى فى فلسطين لأنهم ليسوا من يهود التوراة وأنهم تهجنوا صناعيًا لا وراثة بيولوجية ، وأمامنا ظاهرة معاصرة تعيش فى إسرائيل حاليًا وهى ظاهرة يهود الفلاشا Falasha والذين كانوا يعيشون فى شمال الحبشة قبل استجلابهم إلى فلسطين وهؤلاء ليسوا إلا عناصر متزنجة Negroid ويتكلمون لغة الأجادو الكوشية القديمة وكذلك بعض اليهود الأفريقيين الدجاتون Daggatuns فى جنوب

الصحراء الكبرى وكذلك يهود التاميل فى إقليم (كوتشين) جنوب غرب الهند وكذلك اليهود السود فى أمريكا اللاتينية والجنوبية وهم من الخلاسين الذين جلبوا من أفريقيا واعتنقوا اليهودية عند اختلاطهم بيهود مهاجرين ، ومن المعروف عن اليهودى أنه قصير القامة إن لم يكن كالقزم أحيانًا (إسحق شامير) كمثل لليهودى .

ونقول كذلك : إن هناك اتفاق تام بين علماء الأنثربولوجيا على أن يهود عصر التوراة فى فلسطين كانوا مجموعة سامية انقرضت منذ عصور طويلة ولايوجد أدنى علاقة بين يهود التوراة ويهود اليوم وأن المعاصرين اليوم هم نتاج تحول غريب بالاختلاط والانصهار والتزاوج بشتى عناصر متعددة مختلفة لأصولها وأنهم اختلطوا مع كل عناصر العالم وأن مايجمعهم فقط هو الدين اليهودى (قصة الطفل الكويتى الذى تبنته أسرة يهودية فى انجلترا) صحيفة التايمز اللندنية (٤/ ٦/ ١٩٩٥م) نموذج على مايقوم به اليهود من الدعوة لليهودية والرغبة فى زيادة أعدادهم فى العصر الحديث بعد أن نجحوا فى إقامة دولة لهم على حساب الحق الفلسطينى .

ومن هنا نؤكد ونكرر أكثر من مرة أن الأيام القادمة سوف تثبت أن إسرائيل لن تكون إلا مجرد مرحلة زمنية بل رحلة فى عمر الزمان لن يطول لها المقام بل مرحلة شتات تجمعى فى فلسطين شأن الشتات التاريخى وأن وجود إسرائيل فى الشرق العربى والإسلامى لن يكون إلا جملة اعتراضية فى تاريخ هذه المنطقة بل ومضة عابرة ونقطة سوداء فى تاريخ فلسطين ولكن بطول الزمان حتى يكون الخروج الأكبر والجديد من فلسطين ذلك ؛ لأن إسرائيل ظلت حتى اليوم لاتتحمل خسارة معركة واحدة ؛ لأن معنى هذا زوال إسرائيل الدولة ومحوها من خريطة المنطقة بل وخريطة العالم وظل العرب كما هم يتحملون خسارة الحروب السابقة (١٩٤٨-١٩٥٦-١٩٦٧م) ليقفوا على أرجلهم بعد كل هزيمة (العمق التاريخى والصلابة والقدرة العربية على تحمل الصعاب) ليواصلوا القتال من جديد حتى أنهم أفقدوا إسرائيل حلمها العريض فى قيام إسرائيل الكبرى باستخدام القوة وأوصلوها إلى النقطة الحرجة التى انتقلت فيها من استراتيجية الهجوم التوسعى إلى استراتيجية الدفاع الوقائى أى أجبروها على أن تتراجع عن استراتيجية اختراق الحدود للتوسع (١١-٢٧ أبريل ١٩٩٦م) والهجوم على لبنان لمحاربة (حزب الله) والاضطرار للعودة من حيث قدموا ، ومن ثم اضطرت إلى البقاء داخل الحدود حفاظًا على الوجود ومن ثم فإن الصراع العربى الإسرائيلى سوف ينتقل إلى عوامل القدرة ، والقدرة هى مجموع قوى الدولة من رأس مال ومساحة أرضية وقوة بشرية وإنتاج وتصدير ونفط وغاز ومياه وسوق عربية مشتركة وقوة عسكرية ، وإسرائيل لاتملك كل هذه

العناصر ومن ثم فإنه فى حالة عدم توحد العرب فإن إسرائيل سوف تحاول الحصول على المصادر الأخرى التى تنتقدها ؛ لأنها لاتملك إلا القوة العسكرية ورغم إحرازها الكثير من التقدم فى العديد من المجالات المختلفة فإن ذلك لامكان له بدون التعاون الاقتصادى والسوق الشرق أوسطية والعلاقات ، وفى حالة نجاح العرب فى حصارها فلن يكون أمامها أية قوة وتكون عاجزة عن فرض الوجود والبقاء أبد الدهر الذى هو فى أيدى العرب ومن ثم تكون إسرائيل إلى زوال فى ظل توحد العرب .

إن كل هذه العوامل سوف تساعد على زوال إسرائيل وانفجارها داخليًا إن لم يكن خارجيًا وكل هذا يعتمد فى المقام الأول على الدور الذى يستطيع العرب أن يلعبوه فى مواجهة التحدى ولقد كانت دعوة مؤتمر دمشق الذى عقد بين الرئيس حسنى مبارك وحافظ الأسد والأمير عبدالله عبد العزيز ولى عهد المملكة السعودية وما نجم عن عقد مؤتمر قمة عربى يعقد فى القاهرة فى الفترة بين ٢١-٢٣ يونيو ١٩٩٦ تحضره عشرين دولة عربية لتقرير خطة المواجهة للمرحلة القادمة مع مواجهة (لاآت) بنيامين نتانياهو رئيس وزراء إسرائيل الجديد والقدرة على وحدة الصف العربى تحركًا لمرحلة قادمة يستطيع فيها العرب أن يحققوا أهدافهم فى استرداد الحق السليب فى فلسطين ذلك لأن إنشاء دولة يهودية فى فلسطين تتعارض مع مبادئ الدين الموسوى .

إنه رغم الخط الذى تنتهجه الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عامة من توجس خيفة من نهضة العرب بقيادة مصر ومن ثم فليس النفط والموارد الطبيعية وإسرائيل وحدهما اللذان يحددان مسار السياسة الغربية الأوربية الأمريكية إزاء العرب ومصر ولكن هناك هواجس التاريخ والعمق الحضارى والحس بالدور العربى والجغرافيا والاستراتيجية التى تجعل أمريكا والغرب يتوجس خيفة مرة أخرى من القومية العربية (مؤتمر القمة العربى بالقاهرة ٢١-٢٣يونيو ١٩٩٦م) بل الأحرى الخوف من الإسلام والعروبة ولذا تبدو العوامل الأربع العروبة والإسلام وإسرائيل والنفط بمثابة حوائط عازلة نسبيًا بين الغرب والولايات المتحدة والعرب ومصر .

ومن هنا وقفت الولايات المتحدة منذ منتصف الأربعينيات من هذا القرن موقف مناهض للأمانى العربية القومية على طول الخط منحازة إلى جانب إسرائيل والصهيونية ولكن

كل هذا لن يكون فى نهاية الأمر إلا مرحلة من مراحل التاريخ التى تعود فيها الأمور إلى مسارها الطبيعى ؛ لأن وجود إسرائيـل فى المنطقة العربيـة الإسلاميـة ضد مسار التـاريخ الطبيعى ولأن وجودها على عكس حـركة التاريخ الطبيعى والتاريخ يتحرك للأمـام ولن يكون وجود إسرائيل الا ضد طبيعة الأشياء وهو الاغتصاب الذى لامحالة إلى زوال .

ولقد سبق أن قال هـنرى كيسنجر اليهـودى العقيــدة الألمـانى الأصـل ووزير خارجية الولايـات المتحــدة الأسـبق قولتـه المشهورة (إن كل الحـروب تبـدأ من حالة ســلام) وهـذا القول يناســب جدًا الوضع القائم فى الشـرق الأوسط الذى شـهد تـاريخه حـالات لا تحصى من تمزيق معاهــدات صـداقة وســلام كـانت مبرمة بين الـدول بعضـــها البعض ولم تمنع من نشوب حرب .

إننا إذا كنا نعيـش جيل (الصابرا) المولود فى إسرائيل منـذ عام ١٩٤٨-١٩٩٦م بعد أن قرب الجيل القديم الذى أقام إسرائيل أن يترك مقاليد الأمور للجيل الجديد (بنيامين نتانياهو) رئيس وزراء إسرائل الحالى وزعيم حزب الليكود (٤٧ سنة) والادعـاءات الباطلة باسم شعب الله المختار والشعب اليهودى الواحد فإن كل ذلك يبطله التاريخ والأحداث الحالية؛ ذلك لأنه لا يوجـد على الأرض أمة تنحـدر جميع أفرادهـا من أصل واحد ويتحـدون فى الدم بل أنـه من المستحيل وجود أمة شبه خالصة أو نقية الـدم بسبب كثرة الهجرة والاختلاط وتداخل الأجناس فى مختلف أدوار التاريخ فما بالنا بيهود شتات كل العالم ، ومن هنا فإنه يمكن القول بكل تأكيد أن وحدة الجنس فى إسرائيل ليست إلا قولاً باطلاً لا سنـد جنسى أو أنثربولوجى أو جنسى أو جينى بل هو وهم من الأوهام الكبرى المضللة التى لا تستند إلى أية أدلة أو براهين علمية وعلى هذا الأساس يمكن أن نرفض يهودية وحدة الجنس اليهودى كأساس من أسس بناء أو مقومات الدولـة اليهودية . إنما وحدة الـدين هى التى تشكل الدولة ، لأن الأخذ بفكـرة الجنس السامى الواحد نوع من الخيال الذى لا يقف مع الوقائع التاريخية والحقائق العلمية .

وأن فكرة الدين اليهـودى فى إقامة إسرائيل إسراف مبالغ فيه ؛ لأن الوحـدة الدينية لم تعد دعامة أساسية فى بناء الدولة لأن العقيدة فى هذا العصر الحديث أصبحت شيئًا شخصيًا يتعلق بمصير الإنسان فلكل فرد أن يعتنق ما يشاء من الأديان السماوية وإسرائيل هى الدولة الوحيدة على الأرض التى تتكـون من مواطنين يـدينون جميعًـا بدين واحـد (يوجد حـوالى مليون عـربى

إسرائيل قبل ١٩٤٨ يـدينون بـالإسلام والمسيحيـة) ذلك لأن الـدين شيء بعيد عن أن يكـون بمفرده أساسًا لتكوين دولة فى العصر الحديث .

لكن كيفيـة المواجهــة المستقبليـة مع إسرائيل فى مـرحلـة التحـديـات والقـرن الحادى والعشرين وفى ذلك يقول الدكتـور فوزى حماد رئيس مؤسسة الطاقة الـذرية السابق إن الصراع العربى الإسرائيلى قد حسم حين لم يوجد رد فعل عربى على إنشاء مفاعل ديمونة عام ١٩٥٦م وما يحدث الآن هـو تداعيـات لهزيمة وقعت وهى هـزيمة تكنـولوجيـة وأن مراحل بنـاء القوة الإسرائيليـة هى قوة علميـة تكنـولوجيـة من الأسـاس والأمن القـوى الإسرائيلى هو أن التقـدم العلمى والتكنـولوجى هما مصـدر قـوة إسرائيل وفى خلال الأربع أعـوام الماضيـة ومنذ مـؤتمر مـدريـد (١٩٩٢-١٩٩٦م) فإن إسرئيل نقلت نشـاطهـا العلمى إلى كل المجتمع الإسرائيلى حيث تم بنـاء قاعدة تكنـولوجيـة رفيعة المستـوى فارتفعت صادرات إسرئيـل من ٤,٥ مليار دولار إلى ٩ مليـار دولار ، إن إسرائيل تتدعم بـاستمرار ، لقـد وصل إلى إسرائيل مـايزيـد عن سبعمائة ألف روسى يهودى من بينهم مـابين خمسة إلى سبعة آلاف عـالم روسى حـاصلين على الـدكتوراة منهم أربعين عـالم ذرة على مستوى رفيع من الخبرة ، لـذا فإن المواجهة مستقبـلاً مع إسرائيل لن تكون إلا بـالاهتمام بالمراكز العلمية والبحثيـة وقدر ة العرب جميعًا على بنـاء قاعدة علمية تكنولوجية متطورة ومتقدمة وذلك لقـدرة الأمة العربية والإسلامية على مواجهة التحدى الخطير ؛ لأننا تـواجه قـوة إقليمية مهيمنـة على المنطقة حـاليًا فهل يكـون العرب قـادرين على مواجهـة التحدى وتحقيق الهدف الأسمى فى أن تكون فلسطين من البحـر الأبيض المتوسط إلى نهر الأردن ، إن بقاء إسرائيل إهانة بالغة للأمة العربية .

إن العنصرية تهدد المجتمع الإسرائيلى بـالزوال بسبب التفرقـة والانقسام بين يهود إسرائيل الشرقيين السفـارديم واليهود الغـربيين الأشكيناز ، فيقـول مـواطن يهودى شرقى لإذاعة لنـدن مسـاء السبت ٢٢/ ٦/ ١٩٩٦م أنا ولـدت فى إسرائيل عام ١٩٥٢م وألاحظ أن الفـوارق كبيرة بين اليهود الشرقيين والأوربيين والعنصرية ظاهرة جدًا ، الأوربيون يشكلون القوة والإدارة وقيادة الجيش والحكم والشرقيـون يعاملون كيهـود من الدرجـة الثالثـة والشرقية أكثـر الفرق اليهـودية استياء ، اليهود الروس سبعمائة ألف نسمة استطاع تنظيمهـم أن يفوز بسبع مقاعد فى انتخابات إسرائيل الأخيرة ، بينما الشرقيون اليهود عاملهـم حزب العمل بطريقة عنصرية .

ويقول يهودى شرقى يـدعى (يرون ازراهى) أنه فى الانتخابـات الأخيرة صوت ٧٠٪ من اليهود الشرقيين لصـالح نتانياهـو كذلك صوت ٩٠٪ من اليهود المتـدينين لصالح نتانيـاهو . وكل ذلك ســوف يسـاعـد على المدى البعيـد بتفكك المجتمـع الإسرائيلى لاسيما أن كل هـذه العنـاصر ستكـون سالبـة فى غير صـالح المجتمع الإسرائيلى ، كـذلك فإن إسرائيل لم تعـد لها مزاياهـا التى كانت تعتمد عليهـا أمريكا فى مقاومـة الشيوعية التى لم تعد لها وجـود بعد انهيار الاتحاد السوفيتى عـام ١٩٩١م ، واتخاذ دولة النهج الـديمقراطى للسير إلى الغـرب ، كذلك لم تعد تحمى آبـار البترول العربية بعـدانتشار القوات الأمـريكية فى هذه الأقطـار ، كما أن السلام الشامل فى المنطقة تجعل اليهود فى شتى أنحاء العـالم لا يحسون بالخطر على إسرائيل وهذا يفقد الصلـة القوميـة بين الطوائف اليهـودية فى شتـى أنحاء العـالم ، وإسرائيل التى ستفقد العـون المادى والمعنوى والهجـرة إلى إسرائيل حيث أن إسرائيل لم تعد البلـد المثالى لليهـود لذلك فمن المتوقع أن يهجرها الكثيرون إلى أمريكا وأوربا وكل هذه الأمور سوف تساعد على انهيار إسرائيل من الداخل .

* * *



إســـــرائيل والانفجــار من الخـــــارج

(هل تكــون حــرب عربية إسرائيلية أخرى)

إسرائيل تسعى حاليًا لكى تمد جسورها إلى دول الشرق العربى وإقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية باعتبار أنها عضو شرعى معترف به من الدول العربية المجاورة وغير المجاورة لا سيما الانطلاق الإسرائيلى الواسع إلى دول العالم الإسلامى بعد توقيع اتفاق واشنطن بين العرب الافلسطينيين وبين إسرائيل عام ١٩٩٣م لكى تضع لبنات وجودها فى المجتمع العربى الإسلامى ناسية دور الحركة التاريخية التى تعيد الحق لأصحابه الشرعيين رغم الفكرة الاستيطانية ، وهنا نعالج درسين من دروس الماضى انتقالاً إلى مرحلة مستقبلية ؛ ذلك لأن أخطاء الماضى ساعدت على قيام إسرائيل وهو ما يتداركه العرب وأخوانهم المسلمين .

إن العرب فى صراعهم السابق مع إسرائيل (١٩٤٨ - ١٩٧٣م) لم يأخذوا البعد الإسلامى منطلقًا لإعادة الحق لأصحابه الشرعيين لكن البعد كان عربيًا قوميًا وذلك أفقد الصراع بعدًا يزيد فى قوتها ذلك ؛ لأن فلسطين جزء من صميم أرض الرسالة فى الإسلام ؛ ذلك لأن مهد الإسلام يمتد كمحور طولى من الحجاز وفلسطين وكل من هذين القطبين الشمالى والجنوبى هو بحق عاصمة الإسلام دينيًا (مكة المكرمة والقدس) إن مكانة فلسطين فى العالم تتلخص ببساطة وبما فيه الكفاية من أنها منطقة النواة وقدس الأقداس فيه أرضًا ودينًا (الإسراء

والمعراج) ومن هنا فإن الصهيونية هى استعمار دينى طائفى فكان لابد أن تواجه بوازع دينى وفكر إسلامى دينى ، وإن كان الفكر الدينى فى الصراع لم يستطع العرب استخدامه وإن كانت الفكرة الدينية فى القضية الفلسطينية أخذت بعدًا جديدًا بعد الثورة الإسلامية الإيرانية (١٩٧٩م) وتدخلها المباشر فى الحرب الدائرة فى جنوب لبنان ومساندة حزب الله اللبنانى بالمال والسلاح والتدريب والتأييد حتى هذه اللحظة .

والمعروف إن الدول الإسلامية تحركت عام ١٩٣١م لمساندة عرب فلسطين فى الحفاظ على عروبتهم وعدم تمكن إسرائيل لبناء دولتها لا سيما بعد أن قام وفد فلسطينى بجولة استمرت سبعة أشهر طاف خلالها بالعراق وإيران وأفغانستان وبلوخستان والهند واجتمع بزعماء المسلمين ، لكن الحكومة البريطانية عرقلت هذه المساعى وكانت تقف وراء عدم جعل القضية الفلسطينية قضية إسلامية وحصرها فى نطاق العرب للعمل على تمكين قيام إسرائيل .

ونقول بكل وضوح تصحيحًا لأخطاء الماضى : إنه إذا كانت الجهود الفلسطينية والعربية والإسلامية التى حاولت أن تتجمع فى بداية الثلاثينات من هذا القرن ووضعت أفكارها حيز التنفيذ وقيام حركات إسلامية عربية لاستطاعت هذه الأفكار على الأقل عرقلة المشروع الصهيونى لإنشاء إسرائيل ، ولتغير وجه التاريخ فى فلسطين ربما لفترات أطول ، ولكان القرار العربى الإسلامى قادرًا على اتخاذ الموقف الإيجابى القادر على مواجهة مخطط تهويد فلسطين ، ولنا فى ذلك عبرة منذ أحداث عام ١٩٧٥م عندما ظهرت فكرة تنظيم مسيرة إسلامية إلى مدينة القدس لا سيما بعد عقد مؤتمر بشأن القدس فى المغرب فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى حيث طرح تصور تنظيم مسيرة إسلامية تجمع ما بين اثنين مليون مسلم أو أكثر ليعبروا نهر الأردن فى مسيرة شعبية يواكبها فى الوقت نفسه إعلان عشرة أو أكثر من رؤساء الدول الإسلامية عزمهم على دخول القدس برًا أو جوًا فى يوم محدد تخطر به الأمم المتحدة ، ويتم ذلك بتنسيق كامل مع الأردن ومصر والمغرب والسعودية وباكستان وإيران ، وأن توضع خطة العمل والتجمع والتحرك قبل إتمامه .

وفى ذلك لقد رحب بعض رؤساء الدول الإسلامية بهذه الفكرة ترحيب يدعو إلى الطمأنينة بقوة العزيمة الإسلامية والإيمان بالحق العربى الإسلامى فى فلسطين ويكفى الإشارة إلى أن (الزعيم على بوتو رئيس وزراء باكستان فى ذلك الوقت ووالد بنظير بوتو رئيسة وزراء

باكستان الحاليـة) قد صرح بأن باكستان يمكنهـا أن تقدم فى سبيل الوصول إلى القـدس ثلاثة ملايين متطوع ومليون شهيد إذا اقتضى الأمر .

ولقد حـال دون إتمام هذه المسيرة عدم الإجماع العـربى والإسلامى بشأنها وهكـذا كانت التدخـلات البريطانيـة فى أوائل الثـلاثينات (١٩٣١م) عـامـلاً قويًـا فى عـدم اتخـاذ البعـد الإسلامى منطلقًا لمواجهة المخطط الصهيونى لابتلاع فلسطين وكذلك كان التدخل الأمريكى عام ١٩٧٦م بعدم القدرة على تحريك المسيرة الإسلامية نحو القدس وهكذا تمكنت الصهيونية من تنفيذ أحلامها فى سلب فلسطين ، هذا خطأ قـاتل لم ينجح فيه العرب والمسلمون فى عرقلة المشروع الصهيونى .

وجاء الخطأ الثـانى أنه عندما دخلت الجيـوش العربية متفرقـة إلى فلسطين عام ١٩٤٨م دون حدوث أدنى تعاون أو خطة قتال مدروسـة أو متعاونة مما أتاح لليهود أن يحرزوا انتصارات وأن يحققوا هدفهم فى إقـامة إسرائيل وتم توقيع الهدنة عام ١٩٤٩ ، وبعـد ذلك قام الملك عبد الله ابن الحسـين ملك شـرق الأردن بضم الضفة الغربيـة الفلسطينية للأردن وإعـلان المملكة الأردنية الهاشميـة وكذلك قامت مصـر فى عهد الحكم الملكى بوضـع قطـاع غزة تحت الإدارة المصـرية كان ذلك خطـأ تاريخيًـا قاتلاً لم ينتبه العـرب إليه حتى الآن ؛ ذلك لأنه كان الواجب العـربى يحتم أن تقام دولة فلسـطين فى تلك المناطق منـذ عام ١٩٤٩م وليس حـكم ذاتى عام ١٩٩٣م (تصور كم عامًـا أضاعها الحكام العرب على عرب فلسطين ، أربعـة وأربعين عامًا) كـانت الأمور فيهـا قد تغـيرت وكانت لابـد أن القـوى العـربية قـادرة على إيصال الضـفة الغربيـة مع غـزة بشـريط أرضى يمكن قيـام دولـة فلسـطين على الأرض التى كـانت تحت السـيادة الأردنيـة والمصـرية ، ولكن عامل الوصـاية على الشـعب الفلسـطينى آخر القضـية لهذه الأعـوام الطويلـة ولـو أنـه تمكن الشعب الفلسطينى من إدارة شئـونـه بنفسه لتغير وجـه التاريخ فى هذه المنطقة على الإطلاق ولكان ما يسعى الفلسطينيون الحصول عليه عام ١٩٩٦م قد تحقق عام ١٩٤٩م .

أفضل هنا فى هذا التحليل الذى ربما يكون خاطئًا أو خياليًا من وجهة نظر العديد الذين يرون أن إسرائيل أمرًا واقعًـا وأن إسرائيل وجدت لتبقى أبد الدهر وأن اتفاقيـات السلام تجعلها عضوًا معترفًا به فى العالم العربى والإسلامى . لكن قيام منظمة التحرير الفلسطينية بعقد صلح

« أسلو » فى النرويج ثم التوقيع على اتفاقية السلام فى واشنطن عام ١٩٩٣م وكذلك قيام سلطة الحكم الذاتى فى غزة وأريحا أولاً ثم بعض أجزاء من الضفة الغربية فى ظل ظروف تحكم إسرائيلية قاسية جدًا إلا أن ذلك يشكل بادرة أمل فى المدى البعيد ذلك ؛ لأن حلم الفلسطينيين ليسوا من الذين يشكلون نظام الإدارة الحالية . لكن فكرة المستقبل فى أن دولة فلسطين الديمقراطية لابد أن تمتد من النهر إلى البحر لكن هذا الشعار لا يرفع حاليًا إن سلطة الحكم الذاتى فى بعض أجزاء فلسطين لا زالت وليدة والوليد لابد أن يحتاج إلى رعاية وحماية وتحصين وإعطاء جرعات دوائية لحمايته وأنه عندما يشب عن الطوق ويصل إلى مرحلة الرشد فإن ذلك سوف يكون منطلقًا جديدًا لدولة أدركت أنها وصلت إلى مرحلة الشباب والقوة ؛ لأن الشباب قوة وأنه لن يمضى بعيدًا على قيام الدولة الفلسطينية التى ستكون عاصمتها القدس الشريفة وإلا يجد الإنسان نفسه أمام حقائق لا يمكن إغفالها إن شرطة الحكم الذاتى الفلسطينى منزوعة السلاح وأنها دولة بلا جيش ولا وزارة خارجية ولا تنظيم دبلوماسى يعطيها حق الدولة المستقلة الكاملة .

ونحن أنفسنا هنا نعود إلى ابن خلدون فى مقدمة الفصل الرابع عشر بعنوان (فى أن الدولة لها أعمار طبيعية كالأشخاص) ونقول فى ذلك : إن الدولة فى الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال ، والجيل يتكون من أربعين عامًا ، الذى هو إنهاء النمو والنشوء إلى غايته ، وأنه بالنسبة لبنى إسرائيل فى حكمة التية فى صحراء سيناء ، والمقصود بالأربعين عامًا فيه فناء الجيل إحياء ونشأة جيل آخر ، وهكذا فإنه فى خلال ثلاثة أجيال يكون هِرَم الدولة (الهِرَم - الكِبر) (الشيخوخة) ولهذا كان انقراض الحسب فى الجيل الرابع ، ولهذا يجرى على ألسنة الناس أن عمر الدولة مائة سنة ، ومن هنا فإن السلطة الوطنية الفلسطينية التى تسعى حاليًا فى ظل ظروف سياسة وتحكم إسرائيل فى مقدرات هذه السلطة لابد أن تجد متنفسًا بعد مرحلة تاريخية قادمة لاسيما أن الشعب الفلسطينى الذى عانى كثيرًا فى ظل الاحتلال والتشرد والإبادة والمعاملة غير الإنسانية سوف يجد نفسه فى وقت من الأوقات فى صورة قوية وهو الشعب الصابر المصابر الذكى المتعلم الذى أفزع دول العالم بأطفال الحجارة والانتفاضة وتسليم إسرائيل بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية فإنه لقادر كل القدرة مهما تكن الضمانات والمواثيق الدولية التى وضعها ياسر عرفات فإن عرفات لن يدوم والخط السياسى ليس خطًا

ثابتًا فالدول تتغير سياستها برؤية الحكام ولاسيما أنه فى المدى القريب (ربع أو نصف قرن) سوف يكون البعد الفلسطينى فى إدارة دولته قد حقق تقدمًا كبيرًا ولاشك أن الموازين الدولية سوف تتغير لغير صالح الولايات المتحدة وغرب أوربا السند الأوحد للكيان الإسرائيلى .

إن التوازن بين آسيا والغرب سوف يجعل الحركة الفلسطينية المستقبلية قادرة على أن تجد فكرة إقامة فلسطين الديمقراطية العلمانية طريقها إلى التنفيذ وأنه ببساطة وموضوعية فإن الدولة الفلسطينية سوف تكون القشة التى تقصم ظهر البعير .

إن إسرائيل تسودها حالة من الفزع والخوف فلم يعد الإسرائيليون يعرفون موعد ومكان الموت القادم هل فى القدس أو فى تل أبيب أم فى عسقلان أم فى أى مكان فى إسرائيل ، فإسرائيل لاتعرف ماذا تفعل حدث ذلك بعد قيام حركة التفجيرات الإنتحارية التى قام بها فلسطينو حماس فى خلال أسبوع واحد أصبح الإسرائيلى يبحث عن أمانه الشخصى المقتول لقد مرت فى إسرائيل ثمانية أيام من التفجيرات والجحيم الذى لم يسبق له مثيل فى إسرائيل . لقد تحطمت فكرة الإسرائيليين الكاذبة بأن العرب قبلوا السلام بسبب قوة إسرائيل فجاءت موجة الانفجارات لهدم هذا الاعتقاد من أساسه فالقوة لم تأتى بالسلام والسلام القائم على القوة صورة من صور الحرب .

ولكن منطق القوة فكرة خاطئة تسود الذهن الإسرائيلى عن العرب ونعود للوراء بالذاكرة عام ١٩٧٣م ولينظر القارىء العربى إلى صورة الإسرائيليين غداة حرب العاشر من رمضان ١٩٧٣م وانظر صورة وزير خارجية إسرائيل أولاً قبل رئيسة وزراء إسرائيل ووزير دفاعها وماذا فعل « أبا إيبان » وزير خارجية إسرائيل فى ذلك الوقت لقد صرخ وزير خارجية إسرائيل عام ١٩٧٣ إن إسرائيل تنتهى ولقد انتهى الاستعلاء والغرور الإسرائيلى وانتهت الاستهانة بكل ماهو عربى (أباإيبان) وزير خارجية إسرائيل يدخل قاعة الأمم المتحدة مهرولاً ووراءه رئيس وفده بالأمم المتحدة (تاكواه) وهو يصيح فى رعب إسرائيل تنزف ويطلب فى لهفة التدخل من جانب المنظمة الدولية .

من كان يتصور أن يحدث مثل هذا الرعب من جانب من كان يسخر بالأمس من العرب وهو يردد أن اليد الإسرائيلية قد قطعت ، ومن ثم فإنى واثق كل الثقة فى المستقبل العربى والفلسطينى ، نعم مستقبلنا العربى الفلسطينى بخير ولانقبل الانهزامية التى تحاول الأحداث

أن تدفعنا إليها دفعاً مهما كانت اتفاقيات السلام ، لكن كيف تحول حلف المعتدين على مشهد من الأمم المتحدة إلى ذعـر واستغاثة مـوجهين نداءهم إلى المنظمة الـدولية ومرددين : انقـذونا «إسرائيل تنـزف ، إسرائيل تنـزف» . ولكن سـوف تـأتى أيـام يقـال فيهـا : إن إسرائيل مـاتت بالسكتة القلبية .

إن الأحداث كثيرة وذكرها هنا لايدخل فى نطاق الموضوع ولكنها تذكرة فإن الأحداث لابد أن تتكرر ولن يـدوم الحال فدوام الحال من المحـال ولكل بداية نهايـة ، فالعـرب الفلسطينيون يتحركون فى الاتجاه السليم على درب الاستقلال وبناء الدولة الفلسطينية ، إن الفلسطينيين ربما يحققون أهدافهم بـلا حرب وبلا جنود وبـلا دبابات وطائرات وصـواريخ إنما حرب المنتحرين حـرب الأجساد الملتهبـة التى تحترق الأجساد ليست كحـرب الحدود والصحراء الخاليـة إلامن العساكر وعتادهم .

لكن ماهى صلة كل هذا برأس الموضوع : انهيار إسرائيل من الخارج ، معنى هذا أنه لابد أن تحدث صراعـات عسكريـة خارج حـدود دولة إسرائيل سـوف ينهى وجودهـا من خريطـة الشرق العربى أو الشرق الإسـلامى . ونقول هنـا : إن الدولـة الفلسطينية إذا لم تستطع أن تحقق هدفها البعيد أو القريب فى بناء دولـة فلسطينية كاملة على التراب الفلسطينى الكامل من النهر إلى البحـر ؛ فإن ذلك إن لم يتحقق عن طـريق إذابـة اليهـود فى هـذا الكيان لاسيما أن الـدولـة الفلسطينيـة حاليًـا تتشكل من ٢ مليون نسمـة يضاف إليهـم مليـون فلسطينى إسرائيلى داخل إسرائيل يكـون عددهـم حـاليًـا ٣ مليون ضـد أربعـة ملايين يهودى مع مـراعـاة نسبة المواليـد والتعاطف اليـودى الشرقى وكراهية بعض اليهـود لفكرة كيان يهودى صهيونى ومطـالبة بعض الجاليات اليهودية بعدم تقـديم المال لإسرائيل وانهاء فكرة الهجرة إلى إسرائيل كل هذه العوامل سوف تكون مساعدة على إضعـاف إسرائيل مع الـوقوف ضد فكرة الشرق أوسطية وقيام السوق العربية المشتركـة ، كل ذلك سوف تكون عوامل مسـاعدة للدولة الفلسطينية كى تـدخل بندية مع الكيان الإسرائيلى ، لأن الدولة الفلسطينية لن تقبل بفكرة دولة فى الظل بل تكون دولة كاملة متكاملة بها كـل مقومات الدولة ، عسكـريًا وسياسيًا وثقـافيًا وعلميًا وتطورًا ممـا يدفع إسرائيل لمحاولـة إثارة المشاكل أمـام الدولة الفلسطينيـة مما يستـدعى تعاطف بعض الدول العـربية أو الإسلاميـة مع الفلسطينيين فى صراعهـم مع الجارة إسرائيل لاسيما أنـه ليس كل الدول العـربية

مهما كانت تطلعاتها نحو السلام على استعداد للاعتراف بإسرائيل وإسرائيل تدرك ذلك رغم المخططات الأمريكية بمحاولة تقليم أظافر هذه الدول (العراق - إيران - ليبيا) .

كذلك فإن إسرائيل التى جبلت على العدوان والاغتصاب والإرهاب والتوسع لن يحقق السلام كل طموحاتها لاسيما أنها مساحة ضيقة من الأرض ولاتملك موارد طبيعية تتيح لها الطموحات التى تريد تحقيقها فى بناء دولة واسعة على حساب جيرانها العرب وكذلك قلة مصادر المياه التى سوف تجد نفسها على المدى البعيد فى أمس الحاجة إليها كل هذه العوامل سوف تدفعها مستقبلاً لشن حرب عدوانية أو وقائية على الدولة الفلسطينية عندما تشعر بقدراتها على التعامل معها من منطلق الند وليس دولة تابعة وكل هذه العوامل قد تكون من المسببات لحدوث صدام واسع فى الشرق العربى أو الشرق الإسلامى كذلك فإن منطق القوة الذى تسير عليه إسرائيل وتدركه خطأ هو الطريق إلى تركيع العرب لابد أن يأخذ بعدًا مغايرًا للفكر الإسرائيلى الذى يتحكم ليس فى عامة الشعب بل فى القيادة الإسرائيلية لاسيما أننا جميعًا شاهدنا وتابعنا وسمعنا شيمون بيريز فى مؤتمر صانعى السلام الذى عقد فى مدينة شرم الشيخ بسيناء مصر فى يوم الأربعاء ٢٣ مارس ١٩٩٦ أمام كل القادة يقول بالحرف الواحد إننى أتحدث من منطلق القوة .

فهل لفكر مثل هذا يكون السلام طريقًا للتعايش معه ؛ لأن منطق القوة يتعارض مع السلام ولن تكون إلا استسلام ولكن ماذا فعلت القوة النووية والصواريخ العابرة للقارات مع الاتحاد السوفيتى ، إن الاتحاد السوفيتى سقط وانهار وتصدع دون طلقة واحدة فهل تعتبر إسرائيل بما حدث ، بل إنها لم تأخذ درسًا من حرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما صرخت جولدمائير رئيسة وزراء إسرائيل فى هذا الوقت معها وزير دفاعها « موشى ديان » للولايات المتحدة (إن إسرائيل تنهار ، إن إسرائيل فى خطر) وما كان إلا أن تم شحن المعدات العسكرية من قواعد فى ألمانيا فورًا إلى ميدان القيتال فى سيناء وأنزلت هذه المعدات فى ميناء العريش المصرى المحتل فى هذا الوقت ، وعندما تم تحطيم دبابة إسرائيلية وجد أنها حركتها لم تزيد عن ١٠٠كم أى أنها المسافة التى قطعتها من مكان شحنها إلى العريش ثم من العريش إلى ميدان خط القتال غرب القناة ، إن إسرائيل لاتدرك كل هذه الأحداث ومن هنا فلابد أن تكون جولة أخرى من القتال ، ونقول : إن إسرائيل قاتلت أربع حروب أو خمس حروب وحققت انتصار على الجانب

العربى فى معظمها لكن العرب ظلوا كما هم فى ديارهم وتابعوا حركة النضال ولكن إسرائيل ستظل تحت رحمة هزيمة واحدة وسيصبح موقفها عند ذلك باعثًا على الأسى وغير قابل للإصلاح ولن تكون إلا النهاية وقد حدث هذا فى أكتوبر ١٩٧٢ وسوف يحدث فى المدى القريب أو البعيد ولن تدوم إسرائيل فى أرض عربية مغتصبة ذلك ؛ لأن الأجيال العربية تدرك أن إسرائيل دولة مغتصبة وأن الأراضى التى تقوم عليها هى أراضى عربية منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد وأن المرور الإسرائيلى القديم فى أرض فلسطين لبضع سنوات لايعطى لها الحق فى اغتصاب هذه الأرض ، بل إن الإسرائيليين القدامى أتباع التوراة قد تنصروا واعتنقوا العقيدة المسيحية ، أو اعتنقوا الإسلام وأن بقاياهم قد ذابت[1] .

إن الحرب مع إسرائيل قادمة لامحالة إن آجلاً أم عاجلاً طال الزمن أوقصر ، ولكن تكون إسرائيل هى الرابحة هذه المرة لأن التوازن النووى والوحدة العربية أو التكامل العربى أو التعاون العربى سوف يكون قد تحقق ولن يكون أمام إسرائيل إلا التعاون فى ظل دولة عربية فلسطينية علمانية تضم الطوائف الثلاثة فى كيان واحد (المسلمين والمسيحيين واليهود) .

إن الفكر الإسرائيلى لن يتغير فكما قال الدكتور أسامة الباز مدير مكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية فى ندوة له بجامعة القاهرة بعنوان : (النظام العالمى الجديد وعلاقات مصر الدولية) بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٩٤م ، « إن هناك فئات فى المجتمع الإسرائيلى تنظر إلى العرب على اعتبار أنهم حشرات يجب إبادتها والقضاء عليها وأن التصورات الإسرائيلية تصورات خلافية ففى إسرائيل جماعات تؤمن بفكرة الحرب الطويلة لسنوات قادمة ورغم الاختلاف فى القضايا فإن اليهود يتماسكون عندما يحسون أن إسرائيل فى خطر وأن الحكام الإسرائيليون كانوا يخيفون الشعب بأى اعتداءات محتملة وبأن الأمن الإسرائيلى فى خطر وأن العرب سوف ينقضون عليهم حتى بعد الحروب التى انتصروا فيها وهذا هو الفكر الإسرائيلى على المدى البعيد » فهل هذا الفكر يعيش فى سلام أم السلام مرحلة مؤقتة لابد أن تتبعها حرب (إن شيمون بيريز وإسحاق رابين) طالما هددوا بالحرب الوقائية ضد سوريا عندما كانت تتوقف المفاوضات ويرفض الطرف السورى المساومة على الأرض .

---

(١) راجع جمال حمدان اليهود أنثربولوجيا .

ومن هنا فإن الذى يتابع الأحداث يدرك أن إسرائيل سوف تنتهى خارجيًّا إن لم يكن داخليًّا وتسوق هذه الحادثة ليدرك القارئ العربى والمسلم وكل من تصل إلى يده هذه الدراسة أن الإسرائيلى عدوانى إستفزازى .

ففى إحدى الاجتماعات الفلسطينية والإسرائيلية قبل أحداث التفجيرات الأربع جلس ضابط إسرائيلى كبير إلى جانب شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل ولاحظ أن رئيس الوزراء نفسه فى مؤتمر صانعى السلام بشرم الشيخ كان يجلس بجواره رئيس الأركان الإسرائيلى والإحساس بالفزع والخوف ، وكان يجلس أمامهما الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات وقد جاء خصيصًا ليباغت عرفات بسؤال محدد حيث قال الضابط الإسرائيلى لعرفات ما رأيك فى عمليتنا الأخيرة التى قتلنا بها يحيى عياش ؟ لم يضق بيريز من ضابطه فقد استمر على بروده ولكن يبدو أن عرفات قد حيره الرد لا سيما أن الفلسطينيين العاديين يقولون عن هذه العقلية : إنها حيرت الأنبياء فماذا نفعل نحن ! ولم يجد عرفات لسائله سوى رد غامض بالإنجليزية قائلاً (Welcome) وهى بالعامية الفلسطينية أهلاً وسهلاً ، ونقول هنا : إن الإسرائيلى لم يكتف بالقتل للقتيل والمشى فى جنازته إنما يريد إعجاب القتيل به ! إن الذى ينظر إلى هذه الصورة التى عليها هذا الضابط الكبير ، يرى صورة عكسية لها بعد حدوث الانفجارات فقد صارت محطات الأتوبيس خاوية إلا من أعداد قليلة تركب فى حراسة رجال الأمن بعد أن أصبحت لهم أماكن مخصصة داخل الأتوبيسات وعلى كل محطة أتوبيس يقف جنديان ويتم تفتيش الركاب ولا ركوب إلا بعد تفتيش الشرطة ، والجيش والأمن فى كل مكان . وتقوم القوات بحراسة الأماكن الحساسة وأماكن التجمعات الجماهيرية الكبيرة يبحثون عن رائحة الفلسطينى!

موقفان متناقضان : العنجهية والخوف الشديد فى سلوك الإسرائيلى قبل العمليات الانتحارية وبعد مقتل يحيى عياش وقبل حرب ١٩٧٣ وبعدها ، إن هذه الشخصية وتكوينها النفسى لا تستطيع أن تعيش فى سلام ؛ لأنه بطبيعة تكوين عناصر الخزر القديمة التى ينتمى إليها ٩٥٪ من شعب إسرائيل هى طبيعة عدوانية كالمغول فهم من جنس واحد ، لذا فإن الذين ينادون بثقافة السلام ويدخلون فى مناقشات بشأن هذه النقطة يقعون فى خطأ قاتل فإن ثقافة السلام قد تكون من جانب البسطاء السذج الذين لا يدركون مكونات النفسية

الإسرائيلية وعقليتها بل أنهم فى دعوتهم هذه إنما يعملون على محو ذاكرة العرب بل اغتيال هذه الذاكرة التاريخية لصالح إسرائيل وعلى هذا وبعد هذا العرض فإن الحرب قادمة لا محالة مع إسرائيل طال الزمن أو قصر ، وفى هذه الحالة فلن تكون إلا الطَّامة الكبرى على إسرائيل بل تكون النهاية ، الموت بالسكتة القلبية ذلك لأن كل نبات طفيلى ظهر شيطانيًّا لابد أن يختفى فجأة كالأشباح ، ولن تكون نهاية إسرائيل إلا على تلك الصورة فإسرائيل زائلة لا محالة ، بعد قرن أو قرنين أو ثلاثة قرون ولكنها لن تصل أبد الدهر إلى خمسة قرون ولكن يكون اليهود إلا بقايا فى دولة فلسطين ، إن المستقبل دمويًا كما كان الماضى دمويًا ولايقول بغير ذلك إلارجل ساذج .

والحقيقة التى لاشك فيها أن الإسلام نفسه هو العقبة الحقيقية فى وجه الهيمنة الإسرائيلية فإذا نجحت إسرائيل فى تغيير مناهج التعليم فى بعض البلاد العربية لكى يتمشى مع رغباتها فلم تنجح فى تغيير لفظ أو حرف من القرآ ن الكريم ولن تنجح فى فرض اللغة العبرية ، فالإسلام والقرآن عقبة فى بقاء إسرائيل فى المنطقة وإسرائيل تحاول أن تلتف حول القضية فتحاول أن تصبغ المنطقة بالصبغة العلمانية الانحلالية وتحاول أن تلتف حول الإسلام بتمزيق الدول العربية الإسلامية وتقسيم المسلمين والعرب أنفسهم وانتزاع الجذور الأصلية التى تضرب فى عمق الزمن خمسة آلاف قبل الميلاد والغزو الثقافى والفكرى تحت مسميات مثل ثقافة السلام ، وماذلك إلا لطمس الهوية العربية الإسلامية ، إن التطبيع الذى تريد أن تكون به جزء من الأمة العربية الإسلامية هو وسيلتها للبقاء ولكن لن تسمح لها الشعوب العربية بالتطبيع إن الشعوب فى مصر وسوريا والأردن وفلسطين وكل العالم العربى والإسلامى إلا فئة قليلة لاتريد تطبيعًا مع إسرائيل إن إسرائيل وراء كل المشاكل فى المنطقة العربية بل والإسلامية أيضًا ، ذلك لأن السلام هو سلام حكومات ؛ لأن الحكومات فى واد والشعوب فى وادى آخر ولكن هل حدث استفتاء على اتفاقيات السلام مع إسرائيل بين الشعب المصرى والأردنى والفلسطينى ، إن السلام أسلوب الساسة وأن ذلك شعارًا ترفعه إسرائيل لتخفى ورائه أهدافها الحقيقية فى السيطرة على المنطقة ، ولكن كل ذلك لن يغير فى طريقة فهم الناس بحقيقة الصراع وما جاء فى القرآن عن إسرائيل ولن تستطيع إسرائيل الدخول فى قلوب الناس ، إنه رغم الترسانة الذرية

والتسليح الأمريكى والمليارات التى تتدفق من المراكز الصهيونية من شتى أنحاء العالم فإسرائيل تحلم بالمستحيل فإذا هيمنت على الأرض فلن تستطيع الهيمنة على الناس ، إذا قتلت فردًا فسيولد فى العالم العربى والإسلامى عشرة أفراد ، والعالم العربى ٢٧٠ مليون نسمة ، والعالم الإسلامى مليار ومائتين وخمسين مليون نسمة ، إسرائيل سوف تخسر معركتها مع الزمن ، لقد جاء ذلك فى القرآن الكريم فى سورة الإسراء الآيات ٤ ، ٥ ، ١٠٤ . بزوال إسرائيل وكذلك جاء فى الأحاديث النبوية الشريفة « يوم ينطق الحجر فيقول : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » . إن العدو الإسرائيلى سوف ينتهى إلى دمار . إن إسرائيل قامت لتزول وأنها ستموت بالسكتة القلبية وستكون نهايتها عاجلاً أم آجلاً نهاية مؤسفة .

إن الرب يقول لبنى إسرائيل فى سفر أرمينا بالإصحاح الثالث والعشرين (ها أنذا) أنساكم نسيانًا وأرفضكم من أمام وجهى أنتم والمرتبة التى أعطيتكم وآباءكم إياها . إلى آخر العديد من الآيات التوراتية والإنجيلية . فرذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد تاهيين حتى طردهم من أمامه . إن التاريخ والكتب السماوية تقول بزوال إسرائيل ، إن إسرائيل بالكبرياء والغطرسة تطفىء النار بالبنزين وتتطلع إلى الحياة فوق جثث العرب ، إنهم يسجنون الشعب الفلسطينى كله فى سجن الاحتلال والغطرسة لكن إسرائيل إلى زوال وأن التاريخ يقول بذلك .

إن « نبوختنصر » الكلدانى لم يكن من رجال فتح أوحماس أو الجهاد الفلسطينى عندما فعل فعلته فى عام ٥٨٦ق.م وأزال اليهود وحرم فلسطين عليهم كذلك لم يكن سرجون الثانى ملك أشور من حزب الله أو المنظمات الإسلامية عندما دمر إسرائيل وجعلها ولاية آشورية عام ٧٢١ق.م ولم يكن كذلك الملك (بيتبوس) حينما أباد شعب اليهود وسبا الباقين عام ٧٠م وكذلك الإمبراطور هارديان عام ١٣٥م إن الإسرائيليين لم يقرأوا التاريخ جيدًا كما أنهم لا يؤمنون بالقرآن الكريم ولا برسوله ﷺ فلو أنهم قرأوا القرآن الكريم وعرفوا هذه الآيات الكريمة لما كان هذا حالهم ولعاشوا فى ظل فلسطين كرعايا وليسوا حكاماً إن هذه الآية الكريمة ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ هذه الآية لو وجد مسلم واحد يعيش فى أقصى بقاع الأرض فى بورنى مثلاً أو جزر المحيط الهندى أو الاسكا أو فى أية بقعة من بقاع الأرض

وسأل عن المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين لقدم إلى فلسطين وحرر هذا المكان المقدس من أيدى اليهود الذين يرفضون جعل القدس الشرقية عاصمة الدولة الفلسطينية .

كذلك نحن نتلو قول الله الكريم القائل فى نفس سورة الإسراء ﴿ **وقضينا إلى بنى إسرائيل لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوًا كبيرًا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولا** ﴾ (صدق الله العظيم) .

إن هذه الآيات القرآنية تقطع بالدليل القاطع على أن إسرائيل لامحالة زائلة كذلك فإن قول رسول الله ﷺ عن شعب مصر « ستفتح لكم مصر فاتخذوا من أهلها جندًا فهم خير أجناد الأرض وهم فى رباط إلى يوم القيامة » إن مصر ليس معنى اعترافها بالسلام كمنهج سلوكى فى المنطقة فإن ذلك لايعنى أنها غير قادرة على تحمل المسئولية قبل المنطقة العربية ولكنها بكل تأكيد قادرة وفاعلة ولكن للظروف الدولية أحكامها وللخريطة الجديدة التى تقوم بتشكيلها مراكز الدراسات المستقبلية فى الولايات المتحدة الأمريكية نصيبها لكن مصر ستكون محور السلام ومحور الحرب ولن يكون زوال إسرائيل سلمًا أو حربًا إلا بدور من مصر فهذا قدر مصر فى تحمل مسؤليتها التاريخية عبر أغوار التاريخ .

فهل تحقق نبؤة الإزالة قريبًا أو بعيدًا فالزمن قادم وقادر لامحالة على تصحيح الأخطاء التى لم يتداركها الذين أداروا الصراع مع إسرائيل سلمًا أو حربًا فلا مفر من نهاية إسرائيل لأن إسرائيل وجدت لتزول فهى دولة بلا جذور شأنها شأن الولايات المتحدة الأمريكية عمر الأولى ١٩٤٨ - ١٩٩٦م وعمر الثانية مائة عام قبل خمسائة عام منذ اكتشاف أمريكا ١٤٩٢م - توحيد أمريكا ١٨٥٨م

* * *



نظرة سريعة وفاحصة وعلى عجالة فى ثنايا هـذه الدراسة يدرك القارئ بعدها أننا وضعنا بين يديه موضوعًا يربط الماضى بالحاضر بـالمستقبل عن أخطر قضية تواجه العرب فى تاريخهم الحديث حيث سلبت قطعـة عـزيـزة هى عين قلب العـرب تلك هى فلسطين حيث المسجـد الأقصى أولى القبلتين وثـالث الحرمين وفشلت دعـوة القـوميـة العـربيـة فى مـواجهـة المخطط الصليبى - الصهيونى فكان على العرب أن يقبلوا بوجود هذا الجسم الغريب سلامًا من منطلق السلاح الذرى والقوى العالمية الوحيدة القائدة للعالم ولكن السلام لايعنى النهاية فالسلام هو البداية إلى النهاية .

لكن القارئ حين يدرك فى أعماق هذه الدراسة أن حتمية الصراع عسكريًا وسلميًا لم تكن تدوم فترة طويلـة ذلك ؛ لأن الحق التاريخى فى صالح القضية العربية منـذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد عندما خرجت الهجرات العربية من الجزيرة العربية إلى تلك الأنحاء جنوب الشام حيث أرض فلسطين ثم تنساح جنـوبًا عبر سيناء إلى مصر وشمالاً إلى سـوريا ولقد خـرجت الهجرات من الكنعـانيين والفينيقيين والبـابليين والأكاديين والأشـوريين والكلـدانيين وسبأ ومعين وحمير تسلك طريقها لتكون الفرشـة العربية فى فلسطين قبل أن نسمع عن هجرات تسمى العبرانيين

بآلاف السنين ويكونوا وحـدة عربية قديمة شارك فيها أخـوة العرب فراعنة مصر وشملت كل هذه المناطـق حتى آسيا الصغرى ولاسيما أن القرن الثالـث قبل الميلاد قد شهد الهجـرة العربية الواسعة إلى فلسطين ٢٥٠٠ ق.م ثم مع حركة التاريخ القـديم ظهرت أحداث سياسية واسعة ضمت مصر مع أقطار الشرق العـربى ثم كانت القبيلـة العربية بـوليستو Pulestiu حوالى عام ١١٩٢ ق.م ومن ثم أخـذت فلسطين اسمها من هـذا الاسم وهنا نستطيع القـول أن فلسطين عربية قبل هـذا التاريخ كله أخذت اسمهـا منذ أربعة قرون هكـذا فلسطين وهنا نضع الدليل القوى على عروبة فلسطين منذ أقدم الأزمنة .

وبعـد ذلك تحركنـا كثيرًا عبر فترات زمنيـة ؛ لأننـا لم نقصد أن يكـون بحثًـا تـاريخيًـا عبر المراحل المختلفة لكن أردنا أن يكـون له بعدًا سياسيًا مستقبليًا ومن ثم كـان حديثنا عن الفكر الصهيونى وكيف ظهـر على سطح الأحداث منذ القرن الســابع عشر محاولاً اغتصاب فلسطين من أهلها الشرعيين بإنشاء وطن قومى لليهود وتحرير اليهود بـواسطة اليهود وقد طرحت العديد من الأفكـــار بشأن تحديـد وطن أو أوطـــان غير فلسطين لكن كـان التصميـم على اغتصـاب فلسطين ، فكـانت محادثات سـايكسـو بيكـو ثم وعد بيلفـور ١٩١٧م وكيف استغل اليهـود تسامـح العرب الذيـن فى فلسـطين وفتحت فلســطين للهجـرة اليهـودية أمام اليهـود فى ظل حكم الانتداب البريطانى لاسيما أن عدد اليهود كـان بسيطًا جدًا لايزيد عن ستة آلاف يهودى عـام ١٩١٤م لكن الهجـرة من مختلف بـلاد العـالم جعل الغلبـة لليهـود لاسيما فى ظل تحالف أمريكا وبريطانيا وكل أوربا على العرب فكان قيام إسرائيل فى ١٥ مايوا ١٩٤٨م .

ثم كيف وقعت إسرائيل فى مأزق تاريخى لاسيما جـاء احتلالها لشعب له تـاريخ حضارى وثقافى عميق لم يـدرك الصهيونيون والصليبيـون عمق النضال والقدرة على الـرد والتصادم عبر التاريخ ومن هنا فإن الذين أعطـوا وعد بلفور وساعدوا على الهجرة بالجملة وأمـدوها بالسلاح والعتـاد والتقنية العلميــة وقعوا فى خطأ كبـير ؛ لأن العرب ليســوا هنود حمر أو زنـوج كالأقزام أو البوشمن أو البـانتو ولكنهم شعب صـانع حضارة وأنهم لن يقبلـوا مهما كانت التحـديات العالمية بأن تسلب أراضيهم ويأتى من يقيم عليهـا دولة من منطلق القوة والسيادة . إن الجذور العربية وقـوة البعد الحضارى مهما كانت حـالات الاستسلام القـادرة على تصحيح وصمة العار الإسرائيلية ومهما تكن إسرائيل من قوة علميــة واقتصادية وتكنولوجية وامتـلاك للسلاح النووى

فإن ذلك مهما فعلت الولايات المتحدة والاتفاقيات الأمنية وضمان أمن السلاح وتفوقها على العرب ، فإن ذلك لن يحول عن امتلاك أى من الدول العربية أو الإسلامية للسلاح الذرى لاسيما أن هناك خمسون دولة مرشحة لامتلاك هذا السلاح فى خلال عشرون عامًا ، ولابد أن تكون أى من هذه الدول عربية أو إسلامية وهنا سوف يكون التوازن مع إسرائيل ويستطيع العرب أن يحققوا مطالبهم ولاتستبد إسرائيل بالرأى وفرض الرأى بأن التوازن النووى سوف يكون مقدمة لاقتلاع هذا الداء الخبيث من الجسم العربى .

ولكن يكون هذا السلاح ضامنًا لبقاء إسرائيل ، ثم تأتى بعد ذلك على الدور الأمريكى الذى يقود العالم منفردًا بعد عام ١٩٨٩م سقوط الكيان السوفيتى والكتلة الاشتراكية وتمزق هذا الكيان وفرض الإرادة الأمريكية على الشعوب الصغيرة وفرض قضية السلام على الشعوب العربية من منطلق إعادة صياغة المنطقة العربية من جديد فإن ذلك لن يدوم فقوة شرق آسيا الاقتصادية (اليابان - الصين - دول النمور - الهند) قادمة لامحالة وسوف تحقق التوازن فى مدى ربع قرن (٢٥ عامًا) ووقتها سوف نجد أمريكا نفسها وقد ظهرت قوة تنافسها وتحاول أخذ زمام المبادرة منها ولاسيما أن أمريكا تعانى من مشاكل داخلية كثيرة ؛ لأنها شعب خليط من من شتى الأجناس ويعانى كسادًا اقتصاديًا ومشكلة الديون والأقليات والزنوج وغيرها من المشاكل التى تجعلها لاتستطيع أن تولى العناية الكاملة للولاية الإحدى والخمسين (إسرائيل) إن إسرائيل مهما كانت تربطها علاقات مع أمريكا وغرب أوربا فإن ذلك سوف يكون على المدى البعيد فى طريقه إلى التراجع ؛ لأن مصالح أمريكا لأن تكون فى قوة إسرائيل وسوف لايكون الشرق الأوسط بعد نضوب البترول ومصادر الطاقة يشكل محور اهتمام للغرب ولاسيما أمريكا وسوف يكون ذلك عامل مساعد للحركة العربية الموحدة التى سوف يكون القرن الحادى والعشرين قرنًا يشهد متغيرات جوهرية فى البنية العربية التحتية ، حيث التعليم والصحة والثقافة والديمقراطية وتقارب إن لم يكن توحد العالم العربى فى أى شكل من أشكال الوحدة ؛ لأنه لاسيما بعد أن ظهرت كيانات قوية (الوحدة الأوربية) التافتا (أمريكا - كندا - المكسيك - الأسيان فى شرق آسيا) فلابد أن تكون السوق العربية المشتركة وليس السوق الشرق أوسطية أو الوحدة الكونفدرالية العربية أو قيام أربعة كيانات عربية فى الوطن العربى لأن توحد ٢٧٠ مليون أو ٢٠٠ مليون يشكلون قوى تضعف من الوجود الإسرائيلى مهما كانت العلاقات فإن التعامل العربى قادر على مواجهة التحدى ومن ثم فإن إسرائيل المكونة من

جنسيات كثيرة وطوائف غريبة وفكرة خاطئة سوف تجد نفسها فى حالة حرجة لاسيما أن إسرائيل تجمع غريب التكوين من شتات الأرض يجمعه الإحساس بالخطر فى ظهور قوات عربية على الحدود ولكن فى حالة السلام فإن الصراع سوف يكون داخليًا بين الفئات (السفارديم ، الأشكيناز ، واليهود الفلاشا ٩٥٪ من يهود إسرائيل) عناصر خزرية من وسط آسيا ثم تفرقوا فى شرق أوربا ولايشكلون أدنى صلة بيهود التوارة الذين ذابوا فى المجتمعات واعتنقوا المسيحية والإسلام ولم يعد لهم أدنى كيان فى تشكيلة الخريطة السكانية الإسرائيلية ، وكذلك وجود مليون عربى إسرائيلى يعيشون حاليًا داخل إسرائيل فإنهم سوف يزداد تعدادهم وتنمو قوتهم (ثورة خمسين قرية عربية فى إسرائيل ضد الاحتلال الإسرائيلى بمناسبة يوم الأرض ١٩٨٦م) بعد مرور عشرة أعوام (راديو لندن مساء ٣٠/ ٣/ ١٩٩٦) دليل قوى على الدور العربى فى إسرائيل الذى سوف يكون له دور فعال فى المدى البعيد لاسيما أن هناك ثلاث أحزاب عربية ولها اثنا عشر عضو فى الكنسيت كل ذلك سوف يكون عامل هدم فى بناء إسرائيل داخليًا .

إن الانهيار الخارجى سوف يكون عندما تتعارض المصالح الفلسطينة الإسرائيلية فى العديد من الأمور لاسيما مصادر المياه والحدود والمستوطنات فإن ذلك يشكل خطر لابد أن يحدث من صراع فى حرب قادمة ؛ لأن ١٩٧٣م لن تكون آخر الحروب ؛ لأن الكيانات الإقليمية لابد أن تحدث بينها صراعات وهنا يكون للعالم العربى المحيط بالدولة الفلسطينية دور فى إدارة دفة الصراع لأن خسران إسرائيل لمرحلة واحدة سوف تكون نهايتها الأبدية .

وعلى هذا فإن كيان إسرائيل إلى زوال . لاسيما أنى تعلمت وأنا صغير فى قريتى الغنايم الواقعة فى حضن الجبل فى صعيد مصر الجوانى أن نقطة الدم لاتزيلها الأيام والسنين وأنها غير قابلة للعفن والعطن ، فكيف لاتتحرك الدماء فى عروق الأجيال القادمة على الطريق ليغسلوا وصمة عار قيام إسرائيل فى القرن العشرين (١٩٤٨) لاسيما أن أبناء العروبة فى القرون القادمة لن يكونوا مثل جيلنا هذا فلن ولن تدوم إسرائيل مائة عام بل مأتى عام بل خمسمائة عام وهكذا تزول إسرائيل من خريطة العالم العربى والعالم كله مصداقًا لقوله تعالى ﴿ وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا ما جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ [سورة الإسراء آية ١٠٤] . أى جمعناكم فى أرض إسرائيل من بقاع الأرض لتسكنوا هذه الأرض ويكون جمعكم هو النهاية.

* * *



١ - الإسلام والمسلمون فى جمهوريات آسيا الوسطى والاتحاد السوفيتى سابقا . دار الأمين، ١٩٩٦م .
٢ - الإسلام والثقافة العربية فى أوربا . عالم الكتب ، ١٩٧٩م .
٣ - معركة بلاط الشهداء فى التاريخ الإسلامى والأوربى . عالم الكتب ، ١٩٩٦م .
٤ - الإسلام والعروبة فى السودان . مكتبة العربى ، ١٩٨٥م .
٥ - حركة المد الإسلامى فى غرب أفريقيا . مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٦م .
٦ - الإسلام والمسلمون فى جزر البحر المتوسط . مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٦م .
٧ - دور مصر الحضارى فى القارة الأفريقية . دار الموقف العربى ، ١٩٩٣م .
٨ - جمال حمدان فى ذاكرة التاريخ . دار الإشعاع ، ١٩٩٣م .
٩ - عروبة مصر قبل الإسلام . القاهرة ، ١٩٩٣م .
١٠ - كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون . القاهرة ١٩٩٣م .
١١ - موسوعة تاريخ المغرب العربى . ستة أجزاء . بيروت . مدبولى ، ١٩٩٤م .
١٢ - الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين . مدبولى ١٩٩٥م .
١٣ - الإسلام وحضارته فى وسط أفريقيا . مكتبة مدبولى ، ١٩٩٦م .
١٤ - الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا . مدبولى ١٩٩٦م .

وقد تُرجِم بعض من هذه الكتب إلى اللغة اليابانية والإنجليزية .

له أكثر من ألف مقال فى العديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية والإسلامية فى مختلف أقطار العالم الإسلامى :

السعودية - الكويت - الإمارات العربية - اليمن - المغرب - الهند .

كتب فى : الأهرام - الندوة - أخبار العالم الإسلامى - المدينة المنورة - مجلة رابطة العالم الإسلامى - مجلة التضامن الإسلامى - مجلة الفيصل - مجلة الدعوة - مجلة العرب - مجلة الوعى الإسلامى - مجلة البلاغ (الكويت) - مجلة قافلة الزيت - مجلة منار الإسلام - مجلة الضياء - مجلة الإرشاد - مجلة دعوة الحق (المغرب) - مجلة الرائد (الهند) .


مطابع
٩٣٢٧٠٦



إسـرائـيـل إلى زوال

هذه الدراسة ليست قصةً خياليةً أو روايةً بوليسيةً أو أضغاثَ أحلام ، بل هي دراسة تاريخية سياسية تضرب فى أعماق الزمن البعيد قبل الميلاد لتؤكد عروبة فلسطين منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد ، وكيف كان الاغتصاب الصهيونى الإسرائيلى لأرض أولى القبلتين وثالث الحرمين نكبةً حلت بالعالم العربى فى عصره الحديث بعد أن فشل الاستعمار فى العصور الوسطى (الحروب الصليبية) والعصر الحديث فى السيطرة على دار العروبة والإسلام ، فكان زرع إسرائيل تقسيمًا وسيطرةً على العالم العربى .

لكن ذلك لن يكون نهايةً للتاريخ ، فالصراع مستمر ، والزمن قادم ، والعرب باقون ، ولن تكون الأيامُ إلا شاهدًا على زوال إسرائيل ، ولقد عالج الباحث المدقق الدكتور عبد الفتاح مقلد هذه الدراسة ربطًا بين الماضى والحاضر والمستقبل ؛ ليضع أمام الأجيال رؤيةً تاريخيةً لنهاية إسرائيل .

وهذا الكتاب لاغنى عنه لكل فئات القرَّاء الذين يتابعون حركة التاريخ ويدركون أن الحتمية التاريخية تؤكِّد زوال إسرائيل مهما كانت الأحداث الحالية على السَّاحة العربية والعالمية .

الناشر

دار الأمين DAR AL AMEEN طبع ★ نشر ★ توزيع

٨ شارع أبو المعالى (خلف مسرح البالون) العجوزة ت : ٣٤٧٣٦٩١
١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم
١٠ شارع بستان الدكة (من شارع الألفى) القاهرة ت : ٩٣٢٧٠٦

